

سلطنة عُمان
وزارة التراث القومي والثقافة

حصاد

ندوة الدراسات العُمانيّة

البحوث والدراسات التي قدمت في الندوة

ذوالحجة ١٤٠٠هـ - نوفمبر ١٩٨٠م

الطبعة الثانية

المجلد الأول

بسم الله الرحمن الرحيم



مقدمات

تقديم

تزدهى عمان بحاضرها كما ازدهت بماضيها ، ويقف حضرة صاحب الجلالة السلطان « قابوس بن سعيد » المعظم موقف الرائد الذى قاد البلاد الى النور ، ودفع بها الى المجد والحضارة ، والسنوات العشر الماضية سنوات قصيرة فى عمر الزمن ، ولكنها بالنسبة لعمان سنوات طويلة ، فى كل عام منها ، وفى كل شهر ، وفى كل يوم ، جهد يبذل ، وأمل يتحقق ، ولاشك أن من يتصور عمان قبل عهدها الحالى الميمون ، ويقارن ذلك بما نراه حاليا فى عمان ليجد الفرق هائلا والمسافة طويلة ، فقد فتح حضرة صاحب الجلالة السلطان قابوس المعظم نوافذ الخير والبركة على البلاد ، وأحاطت به البلاد تعمل وتكدح حتى ظهرت نتائج هذا العمل فى كل مجال ٠

وقد كان من جهود السلطان المعظم أن وجّهنا الى احياء الماضى لنصل حاضرنا بماضينا ، وتنفيذا لتوجيه جلالته دعت وزارة التراث القومى والثقافة مجموعة من العلماء والمفكرين من مختلف الأقطار ، ليشتركوا فى ندوة عن الدراسات العمانية ، وقد استجاب للدعوة هؤلاء الباحثون ، وقدموا بحوثا رائعة فى مختلف المجالات العمانية ، وعقدت الندوة فى المدة من أول نوفمبر الى الثامن منه سنة ١٩٨٠ ، وفى هذه الاجتماعات قدّم كل باحث خلاصة لبحثه ، وكانت تدور مناقشات علمية جادة حول هذه البحوث ٠

وفى هذه الندوة كذلك أُعلن عن « مشروع رحلة السندباد » ، وقدم المشرفون على هذه الرحلة للمؤتمرين خطوطا عريضة عن مشروعهم ، كما قدموا نموذجا لسفينة الرحلة « صحار » التى صنعت حديثا على نمط السفن التقليدية الصنع ، التى كانت تنقل البضائع من الخليج الى الصين ومن الخليج الى افريقية ٠

ولم يقف نشاط المشتركين فى الندوة عند العاصمة مسقط ، بل أعدت لهم رحلات متعددة الى داخل البلاد حيث زاروا العواصم القديمة لعمان ، ورأوا حصونها الشاهقة ، كما نظمت لهم زيارات لبعض المصانع الحديثة التى تتحدث عن نهضة عمان واسراعها فى السباق لتأخذ نصيبها فى الحضارة العالمية ٠

وقد أشترك عدد كبير من العمانيين فى البحوث والدراسات والمناقشات ، وأشرف الكثيرون منهم على سير هذه الندوة المباركة ، وقد رأت الوزارة أن تحقق المزيد من الفائدة ، فأصدرت هذه البحوث فى عدة مجلدات لتعم بها الفائدة ولتبقى المنفعة لهذا الجيل والأجيال التالية ٠

ان هذه الندوة شعاع من أشعة النور التى سكبها العهد الجديد على البلاد ، ومن هنا فأحق ما نعمله أن تقدم أعمالها هدية متواضعة لراعى النهضة وقائد الركب ورائد المسيرة :

« حضرة صاحب الجلالة السلطان قابوس المعظم » ٠٠٠

حفظه الله وأيده ، وجعل عهـده أسعد العهود على عمان وعلى العـالم العربى والاســـلامى ،،،

فيصل بن على بن فيصل

وزير التراث القومى والثقافة

مقـــدمـــة

بقـلم
الدكتور أحمـد شلبى
الأســتاذ بجـامعة القـاهرة

سعدت كل السعادة عندما تلقيت دعــوة من وزارة التراث القومى والثقافة بسلطنة عمان للاشتراك فى « مهرجان التراث العمــانى » وحضور « ندوة الدراسات العمانية » التى أقيمت فى مســقط من أول نوفمبر الى الثامن منه سنة ١٩٨٠ وذلك بمناسبة احتفــال السلطنة بعيــدها الوطنى العاشر فى العهد الزاهر لحضرة صاحب الجلالة سليل الأمجاد :

الســلطان قابوس بن سعيد المعظم

وسرعان ما اخترت موضوعا أسهم به فى هذه الندوة ، وفى الموعــد المحدد كنت هناك ، حيث التقيت بعدد كبير من الباحثين والدارسين دُعوا لهذه الندوة من الأقطار العربية والاسلامية والغربية •

وفى مسقط عشنا فى رحاب وزارة التراث القومى والثقافة فترة رائعة ، شاهدنا فيها عمان الحديثة ، وهى تصل تاريخها المعاصر بأمجادها القديمة ، ونَعِمْنا بالاخوة العمانيين الذين أحاطونا بكل مظاهر الكرم والحفاوة •

وكلمة حق لابد أن تقال هى أن صاحب السمو معالى فيصل بن على بن فيصل كان طيلة أيام الندوة يحيط الأعضاء والباحثين بكامل الرعاية ، وكان يعيش معنا ، ويشترك بكل اهتمام فى سير العمل مما أضفى عــلى الندوة جوا من الدقة والتوفيق •

وقد بدأت الندوة مساء السبت أول نوفمبر بحفل افتتــاح رسمى كبير حضره مجموعة من أصحاب السمو أفراد الأسرة المالكة الكريمة ،

كما حضره أصحاب المعالى الوزراء ومجموعة من علماء عمان الأجلاء ومن أعيان البلاد .

وابتداء من يوم الأحد بدأت البحوث والدراسات فى الصباح والمساء ، وقد وضع تخطيط دقيق لضمان حسن سير العمل ، فخصصت أربعة أيام هى أيام : الأحد والاثنين ، والأربعاء والخميس لالقاء البحوث ومناقشتها ، أما يوم الثلاثاء ويوم الجمعة فقد خصصا لرحلات داخل عمان .

وقد لوحظ أن البحوث كانت غزيرة المادة ، وأن المناقشات كانت جادة ومثمرة ، مما أضفى على الندوة جوا من الاهتمام والنجاح .

أما الرحلات فكانت ممتعة حقا ، فقد زرنا فيها المناطق العريقة فى عمان ، ورأينا العواصم القديمة والقلاع الشاهقة ، وكم وقف الباحثون باعجاب أمام جبرين ونزوى وبهلا وبدبد وبيت النعمان وحصن الحزم والرستاق ....

على أن اعجابنا بالقديم لم يصرفنا قط عن اعجابنا بالحديث ففى كل خطوة خطوناها ، وفى كل مكان وقفنا به ، كانت معالم النهضة الحديثة تنطق أمامنا بالتحية والاجلال لقائد هذه النهضة وباعث هذا المجد حضرة صاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم ، الذى بعثته الأقدار ليقوم بنهضة شاملة فى هذا القطر العظيم ، وقد استجابت عمان لید الاصلاح فاذا كل شىء نابض بالحركة ، واذا الأمل يفيق ، والخير يمتد ويعم الأرجاء .

وقد كانت لمسات التقدم ظاهرة فى كل مكان زرناه ، رأينا هذه اللمسات فى الانسان العمانى ، وفى العمران والطرق والحقول ، فى القرى والمدن ، مما دفعنا جميعا للدعاء لصاحب الجلالة بحسن الجزاء من الله الذى لا يضيع أجر من أحسن عملا .

وكان لى الشرف أن أسند لى الاشراف على طباعة البحوث التى قدمت للندوة ، وهذا التكليف استلزم أن أقوم بالخطوات التالية :

أولا ــ كتابة تاريخ موجز ومتصل لعمان حتى يستطيع أى قارىء لبحوث الندوة أن يضع كل بحث على خريطة التاريخ بسهولة •

ثانيا ــ تصنيف البحوث :

رغبة فى أن تخرج هذه البحوث فى شكل علمى اتجهت الى تصنيفها للمحافظة على التسلسل التاريخى بين بعضها والبعض من جانب ، وعلى الوحدة فى كل مجلد من جانب آخر ، ولهذا قسمت البحوث للأقسام التالية :

ــ عمان فى العصور القديمة •

ــ تاريخ عمان ونشاطها الداخلى من مطلع الاسلام حتى الآن •

ــ عمان فى شرقى افريقية •

ــ صلات عمان بالمغرب العربى •

ــ عمان فى مواجهة البرتغال •

ــ الحصون والعمران فى عمان •

ــ علاقات عمان الخارجية سياسيا وحضاريا واقتصاديا •

مع ملاحظة أن الرغبة فى سرعة اخراج هذه البحوث جعلنا نبدأ بطبع البحوث العربية الى أن تتم ترجمة البحوث الأخرى الى اللغة العربية •

ثالثا ــ تنفيذ الاصلاحات التى أشار بها الباحثون العمانيون :

كانت البحوث قد أحيلت الى مجموعة من الباحثين العمانيين لمراجعتها قبل الطبع ، وقد أثبت هؤلاء الباحثون بعض الملاحظات المهمة ، وكان علىّ أن أضع هذه الملاحظات موضع التنفيذ •

رابعا ــ الاشراف على الطبع والاخراج :

وهذا الاشراف استلزم إعداد الأكلشيهات والخـرائط والتنسـيق والمراجعة ، ثم عمل الفهـارس ، وعلى العموم محاولة إخراج هذه المجموعة من البحوث فى شكل يلائم المناسبة ويلائم القيمة العظيمة لهذه الدراسات الرائعـة .

ومن الاعتراف باليد لصاحب اليد أن نذكر أن صاحب السمو معالى وزير التراث القومى والثقافة السيد فيصل بن على بن فيصل قـد أولى هذا العمل كل العناية ، وكمـا رعى النـدوة رعى اخـراج بحـوثها فى أحسن ثوب .

وفى البدء والختام ندعو الله أن يمد جلالة السـلطان المعظم بعونه ، وأن يحفظه ذخراً لبلاده وللعروبة والاسلام ، وأن يهيىء المزيد من الخير على يديه ، انه سميع مجيب .

عُمان فى التاريخ

من أقدم العصور حتى الآن

للدكتور أحمد شلبى

أستاذ ورئيس قسم التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية

بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة

تقـــديم :

فى عمان يلتقى الماضى المجيد بالحاضر المشرق ، فعمان ابان العصور القديمة كانت مركز حضارة فائقة ، وكان الملاح العمانى والتاجر العمـانى نموذجاً يحاول ملاحو العالم وتجاره أن يحتذوا حذوه ، وأن يسيروا على منواله ، وعمان الحديثة تَجدَّد نشاطها ولمع بريقها بالدفعة الهائلة التى قام بها السلطان العظيم سليل السلاطين ووارث عرش الأمجـاد « السلطان قابوس المعظم » فالتقى الماضى بالحاضر ، وتهيأت بذلك عمان لتقـــوم بدور هائل فى المستقبل •

موقع عمان على خريطة الجزيرة العربية :

تقع عمان فى أقصى الجنوب الشرقى لشبه الجزيرةالعربية ممتدة شمال بحر العرب ، وعلى طول خليج عمان حتى امارة الفجيرة احـدى امارات دولة الامارات العربية ، وبعد امارة الفجيرة توجد منطقة تابعة لعمان أيضا وهى منطقع مسندم وتقع على مضيق هرمز •

وتقع جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية الى الجنوب الغربى من عمان • وتقع المملكة العربية السعودية فى الجهة الغربية منها ، كما تقـع دولة الامارات العربية فى الناحية الشمالية الغربية منها •

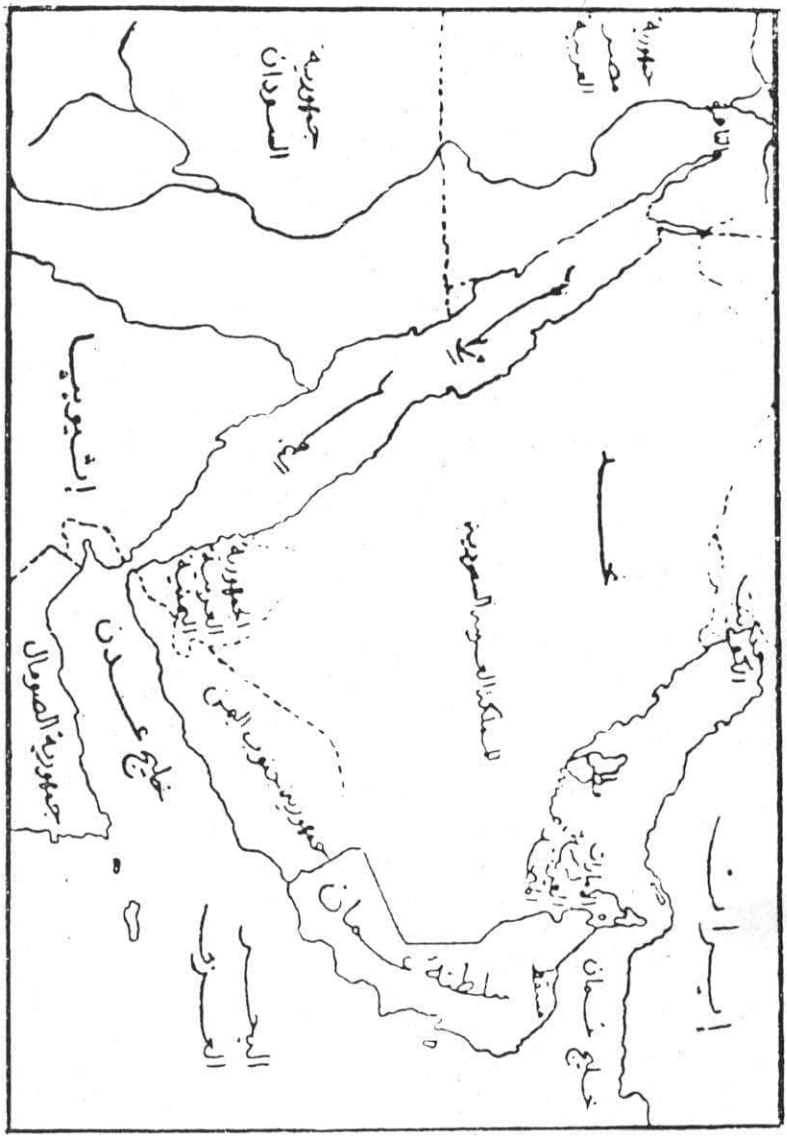
وعمان تطل على البحر من جهة ، وتطل على الصحراء من جهة أخرى ، ومن هنا يمكن تقسيم سكانها الى طائفتين متميزتين هما الحضر والبدو ، والحضر هم الذين يسكنون الساحل ، وهم أشد اتصالا بالعالم الخارجى ، أما البدو فيعيشون فى المناطق الداخلية ، وهم شديدو المحافظة على عاداتهم وتقاليدهم [١] •

---

(١) عمر رضا كحاله : جغرافية شبة جزيرة العرب ص ٤٤٣ .

ومساحة عمان حوالى مائة وعشرين ألف ميل مربع ، وهى مساحة انجلترا تقريبا ، وعدد سكان عمان حوالى مليونين ، وهو عدد أقل مما تستوعبه هذه البلاد الفسيحة كثيرة الخيرات .

والخريطة التالية توضح موقع عمان فى الجزيرة العربية :



سلطنة عمان : موقعها فى الجزيرة العربية

مقاطعـــات عمـــان :

تنقسم عمان الى عدة مقاطعات هى :

ـــ مقاطعة الباطنة التى تطل على خليج عمان الى الشمال من مسقط ، وهى سهل خصيب •

ـــ المقاطعة الداخلية ، وهى مقاطعة فسيحة ، تضم الجبل الأخضر ، كما تضم المناطق المحيطة بهذا الجبل والتى توجد بها العواصم القديمـــة والمدن الشهيرة مثل نزوى والرستاق وسمايل ، وفى الجبل الأخضر توجد أهم أنواع الفاكهة ، وتشمل هذه المقاطعة منطقة الظاهرة ، وسميت بذلك لأنها أول ما يظهر من سلطنة عمان للوافد من الجزيرة العربية ، ومنطقة الظاهرة أرض جبلية تتخللها الواحات والسهول الخصبة والوديان التى تعتبر مصدرا مهما من مصادر المياه فى الصحراء •

ـــ ومقاطعة جعلان ، واسمها مشتق من اسم سكانها القدامى ، وأهمها بلاد بنى بو حسن وبو على وصور •

ـــ والمقاطعة الجنوبية المســـماة « ظفار » وتتألف من سهل ساحلى منبسط تحاذيه الجبال •

ويفصل بين مراكز العمران الرئيسية حواجز طبيعية تتمثل فى سلاسل الجبال الشاهقة ، وأهمها سلاسل جبال الحَجْر التى تمتد من الحجر الغربى الى الحجر الشرقى ويفصل بينهما وادى ســـمايل الذى يعتبر الطـــريق الرئيسى بين الســـاحل وبين المناطق الداخلية ، وفى جبال الحجر الغربى تقع منطقة الجبل الأخضر التى تعتبر أعلى القمم فى سلسلة تلك الجبال ، اذ يصل ارتفاعها الى اثنى عشر ألف قدم ، ويمكن مشاهدتها على بعـــد مئات الأميال من البحر •

وهناك مجموعة من الجزر تتبع سلطنة عمان وهى جزر كوريا موريا

« الحلانيات » وهى تقع فى بحر العرب مواجهة لمقاطعة ظفار ، وجزيرة « مصيره » وهى تواجه مقاطعة جعلان ، وجزيرة الغنم ، وتقع عند مدخل مضيق هرمز .

وعلى هذا يمكن القول بأن عمان تحتـــل أقصى الزاوية الشرقية من شبه الجزيرة العربية ، وتلتف حولها مياه المحيط الهندى وخليج عمان ، وتكمل الصحراء العربية حركة الالتفاف حولها من الجهة الغربية ، ومن الطبيعى أن هذا الموقع له أهميته العظمى من النـــاحية الاستراتيجية ومن الناحية الجغرافية كما سيتضح فيما بعد .

تسمية عمـــان :

ان دولة عمان مرّت بهـــا تسميات متعددة ، فقـــد سميت « مجان » أى مراكز بناء السفن ، وسميت « مزون » أخـــذا من المزن وهو انهمـــار المياه وتدفقها ، ولعل ذلك راجع الى ما تمتاز به هذه البـــلاد من أفـــلاج وأمطار ، ويقال ان الفرس هم الذين أطلقوا هذه التسمية على البـــلاد ، ويروى فى ذلك قول الشاعر : « ان كسرى أسمى عمانا مزونا » [١] ولكن ارتباط التسمية بالكلمة العربية « المزن » أوضح وأدق .

وقد وردت « مزون » فى المسعودى بالراء المهملة [٢] ولعل الاعجام أشـــهر :

ونقل السالمى أن قبيلة الأزد اليمنية التى هاجرت الى عمان بعد حادثة سيل العرم سنة ١٢٠ ق.م الذى سبب انهيار سد مأرب هى التى أطلقت على هذه المناطق اسم « عمـــان » اذ كان هؤلاء يعيشون فى واد قـــريب من مأرب يدعى « عمان » فسموا الموطن الجديد باسم موطنهم الأصيل[٣] .

---

(١) انظر كشف الغمة الجامع لأحكام الأمة لأحد علماء الاباضية ص ٣٢ .
(٢) مروج الذهب ج ١ ص ٩١ .
(٣) تحفة الأعيـــان ج ١ ص ٥ .



مقاطعات سلطنة عمان

ولما انتقلت عاصمة البلاد من الداخل الى الساحل واختيرت مسقط لتكون العاصمة سميت البلاد سلطنة « مسقط وعمان » ، فلما جاء عهد حضرة صاحب الجلالة السلطان قابوس المعظم أمر جلالته أن تسمى البلاد « سلطنة عمان » وأن تكون مسقط عاصمة السلطنة •

أهم المدن فى عمان :

وبمناسبة ذكرى مسقط العاصمة ينبغى أن نعطى بعض المعلومات عن هذه المدينة المهمة وأن نعرّف أيضا بالمدن المهمة بعمان ، ويقول المؤرخون عن مسقط انها تشتمل على كثير من خصائص السلطنة ، فهى تطل على البحر الذى يمتد امتدادا طويلا مع بلاد عمان ، وأن بها الجبال الشاهقة التى تنتشر فى عمان ، وتصلها طريق ملتوية الى « مطرح » وإلى أماكن الخصوبة داخل البلاد ، وعلى هذا فمسقط تتمثل فيها الخصوبة والبحر والجبال ، وتلك هى أبرز مظاهر الحياة فى عمان •

أما منظر مسقط من البحر أو الجو فهو منظر رائع اذ يمتد صف فوق صف من الجبال مسافات طويلة ، وتقبع فى الخليج الصغير الذى يلتقى عنده البحر بالجبال مدينة مسورة تطل عليها قلعتاها القديمتان ، وقلما يوجد ركن فى مسقط لا يمكن منه رؤية هاتين القلعتين ، ولم يكن القصد من بناء مدينة مسقط قديما أن تكون صالحة للسيارات على الاطلاق ، ومازال السير على الأقدام فى أنحائها هو الطريقة الواقعية الوحيدة التى يمكن بواسطتها التعرف عليها •

على أن مسقط لم تكن دائما عاصمة عمان ، فقد ذكر الاصطخرى أن قصبة عمان هى صُحار ، وذكر أنها على البحر وبها متاجر ومرفأ للمراكب ، وهى أعمر مدينة بعمان ، وأكثرها مالا ، ولا تكاد توجد على شاطىء الخليج مدينة أكثر عمارة ومالا منها [١] ويقول ابن حوقل عن صحار انها قصبة

---

(١) المسالك والممالك ص ٢٥ .

عمان وتقع على البحر ، وبها من التجارة والتجـار مالا يحصى كثرة [١] ، ومن البلاد التى كانت عواصم لعمان كذلك « بهـلاء ونزوى » وكانتـا عاصمتين لعمان قديما ، وأحيانا كانت العاصمة هى مدينة « الرسـتاق » أو مدينة « ازكى » •

وفى عمان مدن كثيرة شهيرة ، يحمل بعضها آثار الماضى ومظاهره ، ودرج بعضها فى طريق المدنية والحضارة الحديثة فتلألأت به الأنوار ، وظهرت المبانى الضخمة ومظاهر المدنية المختلفة ، ومن هذه المدن مدينـة « مطرح » وهى تقع على بعد ميلين من مسقط ، وبها ميناء قابوس الجديد الذى أعد أعظم اعداد فجذب اليه النشاط البحرى ، واتجهت له السـفن من مختلف البقاع ، وقد ظلت هذه المدينة عدة قرون الميناء الذى يصـل بين عمان والعالم الخارجى واسمها مأخوذ من طرح أى حط الرحال ، وأهم معالمها « سورها التاريخى العظيم » وهو يضم منطقة مسورة داخل المدينة ، وسكانها جماعة من التجار المهرة الذين لهم سمعة كبيرة فى مجال التجارة •

ومن المدن الشهيرة فى عما ن مدينة « قلهات » التى زارها ماركوبولو فى أواخر القـرن الثالث عشر ، ورآها كذلك الرحـالة العربى ابن بطوطة ، وهى تبعد عن مسقط بحوالى ٨٢ ميلا إلى الجنوب الشرقى •

ومن المدن الشهيرة مدينة صُور ، وقد زارهـا ابن بطـوطة أيضـا وكانت فى يوم من الأيام الميناء الرئيسى فى عمان ومركزا للتجـارة مـع ساحل أفريقيا الشمالى ، وكان سكانها من البحارة والتجـار ، مما يوحى بارتباط بينها وبين مدينة صور الفينيقية •

ويقول الشيخ سالم بن حمود بن ساسى السيابى : وجاء فى بعض الرسومات التاريخية أن « صور » هى احدى مدن الخليج التى استوطنها الفينيقيون وربما بنوها ، وما إن هجروا الخليج إلى البحر المتوسط لسبب

---

(١) صـورة الأرض ص ٤٤ .



أشهر المدن فى سلطنة عمان

من الأسباب حتى أنشأوا لهم هناك مدينة أطلقوا عليها الاسم نفسه ، وأهل صور كالفينيقيين لهم مهارة فى الأسفار البحرية ، ولهم بها ولع ، وهم أهل علم بأحوال البحر [١] .

ومن المدن المهمة بالداخل مدينة عبْرى وهى أكبر مدن مقاطعة الظاهرة وهى مركز منطقة كانت فى وقت من الأوقات منطقة زراعية مهمة .

ومن المدن المهمة « الرستاق » التى كانت عاصمة لعمان فى الماضى ، وهناك بلدتان تشبهانها ، ولكنهما أصغر منها قليلا هما « العَوابى » و « نَخَل » وهذه المدن الثلاث تسيطر على ممرات الجبل الأخضر ، وتقع العوابى بين « نخل » و « الرستاق » وفى كل منها نبع يتدفق من سفح الجبل ، وقد زارها الكولونيل « مايلز » وكتب عنها كتابة رائعة .

كما تشتهر المنطقة الجنوبية بمدينة من أعظم مدن عمان التاريخية هى مدينة صلالة التى تمتاز بآثارها العريقة ومناخها الجميل وزراعاتها الفينانة وحدائقها الغناء ، وتعتبر صلالة عروس المقاطعة الجنوبية ظفار حيث السهل الأخضر السندسى وحيث الجمال الطبيعى الخلاب بين الخضرة والمياه .

صورة عمان بصفة عامة

لو أردنا أن نرسم صورة بالقلم لعمان لقلنا إنها بلاد تكثر بها المفارقات ، فهى قمم شاهقة تطل على وديان منحدرة ، وصخور جرداء ، بجوار سهول البساتين والبيارات ، وبحر زاخر من جانب ورمال مترامية بلا نهاية من جانب آخر ، وشعبها تبعا لذلك يشتغل بالرعى والزراعة كما يعمل فى صيد الأسماك ، ولكن بحر العرب وخليج عمان والواقع الاستراتيجى قدمت لشعب عمان مهمة أخرى هى السفارة التجارية ، فعمان

---

(١) سالم بن حمود بن ساسى السيابى : العنوان فى تاريخ عمان .

تسيطر على أقـدم وأهم الطرق التجـارية البحرية فى العـالم ، وهو الطريق البحرى بين الخليج والمحيط الهنـدى ، وقد استغل أهل عمـان هذا الموقع البحرى أعظم استغلال ودرسوا اتجاهات الرياح أعمق دراسة ، وراحو بسفنهم الشراعية تدفعهم الرياح الموسمية عبر بحر العـرب الى الهند ثم الى ما بعد الهند من أقطار ، وهنـاك كانوا يبيعون ما يحملون من سلع تحتاجها هذه البلاد ، ويجمعـون من منتجاتهـا ما يملئون به سفنهم ، وينتظـرون حتى موسم هبوب الرياح العاكسة التى تدفعهم فى رحلة العـودة الى عمان ومن عمان يبدءون رحـلة جديدة داخل الخليج حتى حوض دجلة والفرات ..... وكان ذلك هو طابع الحياة لتلك البلاد فى العصور القديمة والوسيطة .

ويقول المؤرخون الغربيون أن موقع عمان الجغرافى كفل لعمان أهمية خاصة لأنها تحتل مركزا مهما بالنسبة للطرق الواصلة الى الهند وافريقيـة والبحر الأحمر ، كما أن الرياح الموسـمية كانت خـير وسيلة للعمانيين ليزاولوا هذه التجارة بين هذه المناطق .

اقتصـــاد عمـــان

وبمناسبة الحديث عن التجارة البحرية التى كانت عمان تقوم بهـا خلال قرون طويلة مضت ، نقرر أن هذه التجارة كانت وسيلة ربح وفـير للعمانيين ، ليس فقط للذين يزاولون التجـارة ، بل لعدد كبير غـيرهم ، كالذين يعملون فى بناء السفن ، ويقومون بشحنها أو تفريغهـا وكأولئك الذين كانوا يحرسـون المخازن التى تودع فيهـا البضائع الى أن تجىء السفن .....

وهكذا شهدت الموانى العمانية حركة تجارية نشطة للغـاية ، وكان

نشاط العمانيين أبرز نشـــاط ملاحى فى المحيط الهندى قبل أن تظهر السفن التجارية الكبيرة ، واستتبع هذا النشاط أن قام أبناء عمان بدور واســع فى انشاء عدد من المدن البحرية على امتداد شواطىء افريقية الشرقية ، كما اتخذوا مراكز لهم فى المدن الساحلية التى كانوا يفدون لها على طول المحيط الهندى وحتى شواطىء الصين .

وتقرر المراجع العمانية أن عمان كانت فى النصف الثانى من القــرن الثامن عشر تملك أسطولا من السفن يقدر بنحو خمس عشرة سفينة من الطراز الغربى المربع الهيكل ، وثلاث سفن كبيرة ، ونحو ٢٥٠ ســفينة شراعية أغلبها من سفن الشحن الكبيرة الحجم والحمولة ، الى جانب مائة سفينة أخرى تزاول مختلف ألوان النشاط الملاحى ، وكانت السفن الكبيرة من هذا الأسطول التجارى تربط بين ميناء مسقط وميناء زنجبار من جانب ، وبين مسقط وكلكتا وجاكارتا من جانب آخر [١] .

وكانت عمان تزاول هذا النشاط التجارى من أقدم العصور ، ولما اقتحم البرتغاليون عمان اتجه نشاط العمانيين لمصارعتهم ، وما إن أجلى العمانيون البرتغال عن بلادهم فى النصف الأول من القرن السابع عشر حتى ورثوا معاقلهم ، وورثوا الخطوط البحرية التى كان البرتغاليون يزاولون فيهــا نشاطهم ، وفرضوا سيطرتهم على ضفتى خليج عمــان ، وامتد سلطانهم قويا عزيزا الى ساحل افريقية الشرقية .

وهكذا كانت التجارة مصدر رزق وفير لأبناء عمان طيلة عدة قرون .

وبالاضافة الى التجــارة كانت الزراعة مصــدرا مهما من مصــادر الاقتصاد العمانى ، بل انها كانت المصدر الرئيسى الذى يعمل فيه حوالى ٨٠ ٪ من أهل البلاد ، وقد ســاعد على نشاط الزراعة فى عمان أن بهــا

---

(١) عمــان الماضى والمستقبل ص ١٩ — ٢٠ .

مساحات واسعة من الأراضى الخصبة ، كما أن بها بعض الواحـات التى تكثر بها أنواع الفاكهة ، ويبرز فى الحديث عن الزراعة بعمان منطقـة الباطنة الساحلية ، ووادى سمايل حيث توجـد المساحات الخصبة والماء الوفير ، وتنتج أرض عمان الحنطة والشعير والخضروات وقصب السكر ، كما تكثر بها فواكه المناطق الاستوائية كالمانجو والرمان والجوز ، وينمو العنب فى منطقة الجبل الأخضر ، وتكثر أشجار جـوز الهند فى مقاطعـة ظفار ، كما تكثر أشـجار النخيل فى الواحات ، وهى تنتج أنواعا متعددة من التمور تصل الى مائتى نوع •

وفى الحديث عن الانتاج الزراعى بعمان لا يمكن أن ننسى الأفـلاج أى الينابيع الأرضية التى تكثر فى الجبال وفى الصحارى ويتدفق منها ماء عذب يروى مزارع النخيل الفسيحة ، كما ينبت به أنواع من الحبـوب ، ولهذه الأفلاج دراسة سيطالعها القارىء ضمن بحوث الندوة •

ويتصل بالانتاج الزراعى تربية الحيوانات ، وتتنوع هذه الحيوانات بتنوع المناطق فى عمان ، فالقبائل فى الصحراء تهتم بتربية أجـود أنواع الجمال ، وتكثر الأغنام فى مناطق الرعى الجبلية ، ويوجد البقر فى مقاطعة الباطنة ، وتكثر الجياد العربية فى مقاطعة الظاهرة •

ومن مصادر الاقتصاد العمانى الثروة السمكية ، اذ تمتد سـواحل عمان مساحات طويلة على المحيط الهندى وخليج عمـان ، ويقدر طـول الشاطىء العمانى بـ ١٥٠٠ كيلو متر ، وقد اتجه الأهالى منذ عهـد طويل الى اتخاذ صيد الأسماك حرفة مهمة يعتمدون عليها فى الطعام والتجارة ، كما يقومون بتجفيف الأسماك أحيانا ثم سحقها لاستعمالها سماداً أو غذاء للحيوان ، وساعدهم على ذلك أن السـاحل العمانى من أغنى البحـار من حيث كثافة الأسماك وتنوعها ، اذ تشمل سـمك « التن » و « المازلين » « والقرش »و « السردين » وغـيرها من الأنواع ، ويستعمل صـيادو

الأسماك القوارب والشباك وغيرها من الأنواع البدائية والمتطورة لتحقيق أهدافهم فى صيد الأسماك •

ولعمان حماسة لتصبح الصناعة مصدرا من المصادر الاقتصادية بها ، وتدل البحوث على أن بأرض عمان مناجم للنحاس والفضة ، ومن الممكن أن تحقق هذه الحماسة الخير الوفير للبلاد ، وقد بدأت فعلا نتائج هذا الاتجاه •

ومن أكبر مصادر الثروة بعمان فى الوقت الحاضر البترول الذى انبثق فى منتصف العقد السابع ، وبدأ تصديره سنة ١٩٦٧ ، وقد فتح لعمان بابا واسعا من أبواب الخير يرجى أن يكون باب ثراء وبركة •

جولة تاريخية عن عمان

لمحة عن التاريخ القديم :

يتجه كثير من الباحثين الى أن الحضارة البحرية الأولى ظهرت على مياه الخليج ، وأن هذه المنطقة جذبت لذلك جماعات الوافدين عبر البحر أو عبر الصحراء غزاة أو تجارا أو نازحين •

وبجانب الحضارة البحرية القديمة تدل الآثار على حضارة زراعية قديمة ارتبطت بمناطق الخصب والمياه فى عمان ، وتدل عليها القنوات والسدود التى لا تزال آثارها واضحة للعيان •

وهناك مظاهر حضارية من الفخار ، والأدوات الحجرية ، ومن نظام الرى ، والأسلحة ، تدل على أن عمان كانت جزءا من الحضارة التى شملت مع عمان منطقة بلاد فارس وامتدادها الى أفغانستان وغرب الهند فى القرن الثالث قبل الميلاد [1] •

---

(1) Arian's History of Alexander's Expedition vol. I p. 108.

سكان عمان :

سكان عمان يرتبطون بأصول عربية عريقة ويقرر التاريخ أن السواد الأعظم من أهل عمان يرتبط بهجرتين عربيتين كبيرتين ، أولاهما هجرة منذ زمن سحيق من قلب الجزيرة العربية الى جبال عمان وشواطئها ، وقد وفد هؤلاء المهاجرون بسبب الجفاف فى نجد وما حولها ، بحثا عن أرض خصبة ، أو بحثا عن الماء ولا يعرف بالضبط تاريخ هذه الموجة من المهاجرين ويغلب أن يكون هؤلاء قد وفدوا على عدة دفعات ، وينتسب هؤلاء الى قبائل نزار ، ويعرفون بالنزاريين •

وأما الهجرة الثانية فقد وفدت من الجنوب الغربى للجزيرة العربية ، أى من مناطق اليمن ، وارتبطت هذه الهجرة بانهيار سد مأرب سنة ١٢٠ ق •م• وقد بدأت هذه الهجرة مع بدء الانهيار فى القرن الثانى قبل الميلاد ، وظلت تتوالى كلما تعرض السد الى مزيد من التصدع حتى كمل هذا التصدع فى نهاية القرن السادس الميلادى ، وبهذا تكون الهجرات اليمنية الى عمان قد استغرقت ثمانية قرون ، ويعرف هؤلاء الوافدون باليمنيين أو القحطانيين ، ويقال أن احدى موجات اليمنيين كانت بقيادة نصر بن الأزد ، وأن موجة أخرى يمنية كانت بقيادة مالك بن فهم وهو أيضا من بنى أزد •

وبالاضافة الى عرب الشمال وعرب الجنوب الذين يكونون العنصر الرئيسى فى عمان توجد بعمان جماعات أخرى وفدت على عمان من خارج الجزيرة العربية ، واستقرت بها ، وأصبحت عمانية الجنس ، عربية اللسان ، تدين بالاسلام •

عمان الاسلامية

فى عهد الرسول :

عندما جاء الاسلام كانت أكثر مناطق عمان تحت حكم أسرة الجلندى الأزدى ، وقد اشتهر من هذه الأسرة شخص عظيم هو « جيفر » وكان

ينزل من قومه منزلة الملوك بين الرعية ، فبعث اليه الرسول عمرو بن العاص بن وائل السهمى فى العام السابع للهجرة بكتاب يدعوه هو وقومه الى الاسلام فى نفس الوقت الذى كتب فيه الرسول بذلك الى الملوك والرؤساء فى الجزيرة العربية وخارجها ، وقد أورد أبو عبيدة نص كتاب الرسول الى ملك عمان مع ما أورد من نصوص لكتب الرسول الى الملوك والرؤساء[١] ، ويذكر الخثعمى السهيلى أن من الملوك من اتبع محمدا صلى الله عليه وسلم كملوك اليمن وملك عمان[٢] ، وقد أسلم مع ملك عمان وجوه العشائر وبقية الناس .

ولم يكتف جيفر بإسلامه ، وإنما أرسل من قبله رسلا تحمل دعوة الإسلام إلى مهرة وغيرها من المناطق المجاورة لعمان ، وقد استجاب أكثر العرب فى هذه المناطق إلى الدعوة الجديدة ، ولكن الفرس الذين كانوا يقيمون بها رفضوا دعوة الإسلام ، فاجتمع الأزد إلى جيفر وقالوا له : لا يجاورنا العجم بعد هذا اليوم ، وأجمعوا على إخراجهم ، فدعا جيفر مرازبة الفرس وقال لهم : اما أن تدخلوا فيما دخل فيه الناس أو تخرجوا من أرض العرب ، فرفضوا الاستجابة لأى من هذين الاتجاهين مما سبب صراعا شديدا بين الجماعتين ، كان النصر فيه لأهل عمان ، واضطر المرازبة أن يطلبوا الصلح ، وتم الصلح على أن يخرج الفرس من عمان بأنفسهم وذراريهم ، وعقب ذلك خلت عمان من الفرس تقريبا .

وأقام عمرو بن العاص عاملا على عمان من قبل الرسول فكان يجمع الصدقات ويوزعها ، ويعلّم الناس مبادىء الاسلام ، ويقضى بينهم حسب تعاليم الدين الجديد ، وكان زعماء الأزد من بنى الجلندى عونا له فى أداء مهمته ، وقد ظل كذلك حتى جاءت الأنباء بوفاة الرسول صلوات الله عليه ، فعاد عمرو الى المدينة ومعه عبد الله بن الجلندى وبعض بنى أزد ، وألقوا زمام الأمر الى أبى بكر ليختار من يراه ليكون واليا على البلاد .

---

(١) الأموال لأبى عبيد ص ٢٠ — ٤٢ .
(٢) انظر الروض الآنف حـ ١ ص ٢٥٠ .

ويقرر المفكرون العمانيون أن الاسلام استطاع أن يوحد القوى القبلية فى عمان تحت لوائه ، فقد منحها شخصيتها الدينية كما أمدها بنظام سياسى وتشريعى أقامت عليه دعائم مجتمعها •

عمان فى عهد الخلفاء الراشدين :

يذكر السالمى[1] أن أبا بكر استقبل عمرو بن العاص ووفد عمان بترحاب وتقدير ، وأن أبا بكر قال لهم : انكم يا معشر أهل عمان أسلمتم طوعا ، فجمع الله على الخير شملكم وبعث الرسول صلوات الله عليه لكم عمرو بن العاص بلا جيش ولا سلاح فأجبتموه اذ دعاكم مع بعد داركم ، وأطعتموه اذ أمركم على كثرة عددكم ، فأقام فيكم عمرو مكرما ما أقام ، وكنتم على خير حال حين أتتكم وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأظهرتم ما يضاعف فضلكم ، وقمتم مقاما حمدناكم فيه••• وأقر أبو بكر جيفر وأخاه عبدا على ملكها ، وجعل على الصدقات حذيفة بن محصن •

وفى عهد عمر عين على صدقات عمان عثمان بن أبى العاص وهو الذى أغرى عمر أن يعبر الخليج الى بلاد فارس ، وظل جيفر وأخوه عبد يقومان بعملهما الى أن ماتا فى عهد عثمان ، فتولى السلطان بعدهما عباد بن عبد الجلندى ، وأقره عثمان على ذلك ، وظل على حاله تلك طيلة عهد عثمان وعهد على كرم الله وجهه •

عمان فى العصر الأموى :

عندما قامت الدولة الأموية هبت فى عمان حركة مناهضة لها ، اذ كانت مشاعر العمانيين مع الامام على كرم الله وجهه ، واشترك فى حركة المقاومة السكان الأصليون وزعماء الاباضية الذين كانوا قد وفدوا الى عمان ، ونشروا

---

(١) تحفة الأعيان : حـ ١ ص ٤٧ ، ٤٨ .

بها مذهبهم ، وتوثقت بها صلاتهم ، وقد وجد أهل عمان فى ذلك فرصة لاعلان استقلالهم عن الحكم المركزى ، وهذا الاتجاه الاستقلالى واضح فيهم عبر التاريخ وساعدهم عليه مكان بلادهم النائى ، وانشغال الخلافة الأموية بكثير من المشكلات ، ثم ان طبيعة عمان الجغرافية تجعل الاتصال بها والتغلغل بداخلها أمرا عسيرا ، وعلى هذا فان أية حركة انفصالية بعمان تجد أمامها فرصة معقولة للنجاح[١] وعلى هذا أصبح أمر عمان كما يقول السالمى[٢] — بيد أهلها ، ولم يكن لمعاوية ، ولا لمن بعده نفوذ فى عمان حتى عهد عبد الملك .

وفى عهد عبد الملك تغيرت الأمور ، فقد أصبح الحجاج صاحب السلطة فى أرض العراق ، ومن هنا تطلع الى الخليج ، وبالتالى الى أرض عمان ، ورأى أن نفوذه بالعراق لا يتم الا اذا امتد هذا النفوذ الى الخليج العربى وخليج عمان ، ومن هنا قام صراع طويل بين أهل عمان وبين جيوش الحجاج ، وانتصر الحجاج فى نهاية الأمر ، وفر زعماء أسرة الجلندى من وجه الحجاج الى بلاد « زنجبار » واضعين أساسا لصلة طالت وامتدت بعد ذلك بين عمان وساحل افريقيا الشرقى ، واستعمل الحجاج على عمان الخيار بن صيره المجاشعى ، وعندما آل الأمر الى الوليد بن عبد الملك عين هذا سيف الهمدانى واليا على عمان ثم عين سليمان بن عبد الملك على عمان صالح بن عبد الرحمن الليثى ، وبعده زياد بن المهلب بن أبى صفرة .

واتجه عمر بن عبد العزيز وجهته الاسلامية ، فعين واليا صالحا هو عمر بن عبد الله الأنصارى ، فأحسن السيرة بين الناس ، ومن أجل هذا ظل مكرما محبوبا بين أهل عمان حتى وفاة الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز ، وحينئذ تنحى هذا الوالى عن الولاية ، وأعاد السلطة لزياد بن المهلب قائلا له : هذه البلاد بلاد قومك فشأنك بها . وخرج عمر بن عبد الله من عمان ، وقام بالولاية زياد بن المهلب[٣] .

---

(١) سلطنة عمان ص ٣٣ بتصرف .
(٢) تحفة الأعيان حـ ١ ص ٥٧ .
(٣) السالمى : تحفة الأعيان حـ ١ ص ٥٩ .

عمان فى العصر العباسى :

كان ارتباط عمان بالخلافة العباسية قصير المدى ، وسرعان ما استقل أهل عمان بعدها بشئونهم ، ويذكر المؤرخون العمانيون أنه لما آل الأمر لبنى العباس وولى السفاح أخاه أبا جعفر شئون العراق الجنوبى استعمل هذا على عمان جناح بن عباد بن قيس بن عمر الهنائى ، فقدم الى عمان عاملا عليها ، وهو صاحب المسجد المعروف بمسجد جناح بصحار ، ثم عزله المنصور وولى ابنه محمد بن جناح ، وكان هذا سمحا عاقلا أدرك رغبة العمانيين فى أن يكون واليهم منهم ، وأن يكون لهم حق انتخابه بأنفسهم ، فوافقهم على ذلك ، فعقدوا الامامة للجلندى بن مسعود بن جيفر بن جلندى، وبدأت به الامامة فى عمان سنة ١٣٥هـ[1] .

عمان والمذهب الاباضى :

ان تفاعلا دقيقا حدث فى عمان بين الأمانى الوطنية ، وبين المذهب الاباضى وكان المذهب الاباضى قوى الصلة بمذهب أهل السنة وقد قام الاباضيون فى عمان بدور واسع فى الصراع العسكرى ضد النشاط الأموى ، ومن هنا امتزجت الحركة الاستقلالية العمانية بالفكر الاباضى . وانبثق عن هذا الامتزاج فكر جديد هو الذى ساد عمان منذ ذلك التاريخ حتى العهد الحاضر . ومن هنا حق لأهل عمان أن يكرهوا أن يقال عنهم أنهم خوارج ، ومما جعلهم يكرهون أن يسموا خوارج أنهم لا يريدون أن يرتبطوا بجماعة خرجوا على الامام على كرم الله وجهه ، ويفضلون أن يرتبطوا بعبد الله بن اباض الذى خرج على عبد الملك بن مروان ، ثم انهم من ناحية المذهب لم يأخذوا اتجاه الخوارج ، بل كانوا معتدلين جدا ، واعتبروا أنفسهم ورثة للفكر الاسلامى الأصيل الذى جاء به القرآن الكريم وسنة الرسول ، وتبعه الخلفاء الراشدون من بعده .

---

(١) تحفة الأعيان للسالمى حـ ١ ص ٧٤ ، ٨٩ ، ٢٠٦ — ٢٠٨ .

وجاء فى كتاب سلطنة عمان[1] ما يلى عن الامتزاج بين المذهب الاباضى والدم العمانى : كان المذهب الاباضى هو النبراس الذى أضاء قلوب العمانيين ، ووحد بينهم فى كفاحهم لنيل استقلالهم وكان العمانيون فى هذا الكفاح يستبسلون فى الدفاع عن عقيدتهم وتقاليدهم .

عصـــور الحـكم فى عمـــان
عبر التاريخ الاسلامى

١ ــ الأئمة الاباضية : ١٣٥هـ (٧٥٢م) حتى القرن الخامس عشر الميلادى ، مع تسلسل حينا ، وانقطاع حينا آخر ، ومع ظهور آل نبهان الذين كونوا لهم ملكا عدة قرون ، ومع قيام أسر ملكية قصيرة العمر ، وحدوث تمزق فى بعض الأحيان مما مهد لاحتلال البرتغاليين لعمان سنة ٩١٣هـ = ١٥٠٧م .

٢ ــ عصر الاحتلال البرتغالى : من ٩١٣هـ = ١٥٠٧م الى سنة ١٠٣٤هـ = ١٦٢٤م .

٣ ــ الأئمة اليعـــاربة : ١٠٣٤ ــ ١١٥٤هـ (١٦٢٤ ــ ١٧٤١م) مبتدئين بالامام ناصر بن مرشد الذى خلص البلاد من حكم البرتغاليين ، وفى آخر حكم اليعاربة خضعت بعض البلاد لنفوذ الفرس .

٤ ــ البوســـــعيديون : ١١٥٤هـ (١٧٤١م) حتى العهد الحاضر ، وهؤلاء هم الذين خلصوا البلاد من نفوذ الفرس .

وسنتحدث بايجاز عن كل من هذه العصور فيما يلى :

---

(١) المرجع السابق حـ ١ ص ٣٤ .

الأئمـــة الاباضية

أول من يواجهنا من حكام عمان عقب الحركة الاستقلالية التى بدأت من مطلع العصر العباسى الأئمة الاباضية ، وكان هؤلاء ينتخبون بواسطة أهل العلم على أن يوافق الجمهور على الاختيار ، والأئمة الاباضية الأول هم :

جلندى بن مسعود بن جعفر بن جلندى الأزدى	من ١٣٥هـ
محمد بن عفان الأزدى	١٤٥هـ
الوارث بن كعب اليحمدى	١٨٥هـ
غسان بن عبد الله	١٩٢هـ
عبد الملك بن حميد الأزدى	٢٠٨هـ
مهنا بن جعفر اليحمدى	٢٢٦هـ
الصلت بن مالك الأزدى	٢٣٧هـ
راشد بن نضر (أو النظر)	٢٧٣هـ
محمد بن الحسن	٢٨٤هـ
عزان بن خضر	٢٨٥هـ
عبد الله بن محمد	٢٨٦هـ
عزان بن تميم	٢٨٧هـ
الصلت بن القاسم	٢٨٧هـ
محمد بن الحسن (للمرة الثانية)	٢٨٧هـ
الحسن بن سعيد[1]	٢٨٧هـ

---

(١) زامباور : معجم الأنساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الاسلامى حـ ١ ص ١٩١ .

ونقف عند هذا الامام دون أن نتبع سياسة زامباور الذى راح يسرد بعد ذلك عددا من الأئمة دون أن يحدد تاريخا لتعيين أكثرهم ، أو يذكر نهاية حكمهم أو مداه .

وبعد هؤلاء الأئمة قفزت الى السلطة أسرٌ أقامت لها ملكاً فى عمان ومن هؤلاء :

أولا ــ أسرة بنى وجيه :

وقد قويت شوكة هذه الأسرة حتى تطلّع ملوكها الى السيطرة على البصرة أيام « البريدى »[١] الذى كان يشغل منصب أمير الأمراء ، وملوك بنى وجيه هم كما جاء فى رواية زامباور[٢] :

يوسف بن وجيه	٣٣٢هـ
نامع علام يوسف	٣٣٢هـ
محمد بن يوسف	٣٤٠هـ

ثانيا ــ ملوك آل نبهان :

ظهر ملوك آل نبهان ولاة للبويهيين فى عمان فى القرن الرابع الهجرى واستطاعوا أن يكون لهم النفوذ فى أكثر ربوع عمان ، ويقول السالمى عنهم[٣] ان المُلك انتقل الى آل نبهان وذلك لما أراد الله انفاذ أمره فى أهل عمان لأنهم افترقوا فرقتين ، فسلط الله عليهم قوما من أنفسهم ، وكانت دولة آل نبهان مبنية على الاستبداد بالأمر والظلم .

وأهم ملوك بنى نبهان هم أبو عبد الله محمد بن عمر بن نبهان واخوته

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حـ ٨ ص ١٣٠ حوادث سنة ٢٣١ .
(٢) معجم الأنساب : حـ ١ ص ١٣٩ .
(٣) المرجع السابق ص ٢٧٧ .

أبو الحسين أحمد ، وأبو محمد نبهان ، وأبو عمر معمر ، ثم أبو القاسم على بن عمر بن محمد بن عمر بن نبهان ، وأبو الحسن ذهل ابن عمر ... وقد ذكر زامباور[1] منهم الفلاح بن المحسن النبهانى ، وعرار بن الفلاح والمظفر بن سليمان ومخزوم بن الفلاح .

وقد ظلت حركة بنى نبهان حتى القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى) حيث عاد معظم النشاط الى الأئمة من جديد .

الأئمة خلال عهد آل نبهان وبعدهم

لم تنقطع محاولات انتخابات الأئمة بعمان بعد الحسن بن سعيد (٢٨٧هـ) ، فحتى خلال حكم آل نبهان ظهر بعض الأئمة الاباضية ، ولكن سلسلتهم لم تكن منتظمة ، ولم تكن تواريخهم محددة ، وأحيانا تعدد الأئمة فى وقت واحد ، وأحيانا خلت البلاد من وجود الأئمة تماما ، وفى بعض الأحيان ظهرت فترات يقظة ووحدة لبعض الأئمة ، ومن الأمة الجديرين بالذكر بعد الحسن بن سعيد نذكر :

الحوارى بن مطرف	٢٩٢هـ
عمر بن محمد بن مطرف	٣٠٠هـ
سعيد بن عبد الله بن محمد بن محبوب	٣٢٠هـ
راشـــد بن الوليد	٣٢٨هـ
الخليل بن شاذان بن الصلت بن مالك	٤٠٠هـ
حفص بن راشـــد	٤٤٥هـ
راشـــد بن على	٥١٣هـ

---

(١) معجم الأنساب حـ ١ ص ١٩٤ ، وانظر كذلك تاريخ الدولة الاسلامية لأحمد السعيد سليمان حـ ١ ص ٢٣١ .

موسى بن أبى المعالى ٤٥٩هـ

محمد بن خنبش ٥٥٦هـ

ومن الواضح أن هناك فترات خلت من الأئمة فى عهد بنى نبهان ، ولكن عندما زالت دولة آل نبهان بدأ الأئمة يظهرون من جديد ، فى سلسلة متصلة تقريبا ، وقد أوردها زامباور كالآتى :

أبو الحسن عبد الله بن خامس بن عامر الأزدى ٨٣٩هـ

عمر بن الخطاب بن محمد بن أحمد بن شاذان بن صلت اليحمدى ٨٥٥هـ

عمـــر الشريف ٨٩٦هـ

أحمـــد بن محمـــد ٨٩٧هـ

أبو الحسن بن عبد الســلام ٩٠٥هـ

محمد بن اسماعيل ٩٠٦هـ

بركات بن محمد بن اسماعيل ٩٣٦هـ

عبد الله بن الهنائى ٩٦٧هـ

بركات (للمرة الثانية) ٩٦٨هـ[1]

عمان هدف لعدوان خارجى

أسفر التمزق والخلاف بعمان عن استهانة الأعداء بها ، فأصبحت هدفا لعدوانين من الخارج ، وكان أولهما من بلاد فارس سنة ٦٧٤هـ فى عهد الملك عمر بن نبهان فقد هاجم أهل شيراز عمان وكانوا عددا من الفرسان الأشداء واستطاعوا أن يحتلوا نزوى وأن يسلبوا أموال الناس ، وحاصروا بهلاء ولكنهم لم يستطيعوا فتحها فارتدوا على أعقابهم بعد احتلال دام أربعة شـــهور .

---

(١) معجم الأنساب حـ ١ ص ١٤ .

أما الاحتلال الثانى فكان احتلالا أوربيا قامت به البرتغال فى مطلع القرن السادس عشر الميلادى ففى القرن الخامس عشر استطاع الرحالة البرتغاليون ، أن يجدوا طريقا الى الهند بالدوران حول افريقية وبدون المرور فى البحر المتوسط والبحر الأحمر ، ويعرف الطريق الجديد بطريق رأس الرجاء الصالح ، وقد اشترك عدد من البحارة البرتغاليين فى المحاولة التى أدت لهذا الكشف ، وكان النجاح النهائى على يد فاسكو دى جاما الذى بدأ رحلته سنة ١٤٩٦م[١] .

وبفتح هذا الطريق بدأ الاستعمار الأوربى للشرق فى العصر الحديث وتحولت تجارة الشرق من الطرق البرية ــ البحرية الى هذا الطريق البحــرى المتصل .

وبفتح هذا الطريق اتصل البرتغاليون بالهند وبالشرق الأقصى ، وأخذوا يبنون لأنفسهم ملكا واسعا على يد مستعمرين معروفين ، وقواد ذوى خطر من أمثال (كيرال و البوكرك Alfonso de Albuquerque) وأصبح المحيط الهندى والهادى تحت سلطانهم وكانت تلك البحار مقصورة على ملاحى المسلمين من عرب وفرس[٢] .

وحاول البرتغاليون أن يقيموا مراكز للتموين والحراسة على طول الطريق ، فاتجهوا بوجه خاص الى عمان التى كانت مركزا مهما ، وكانت فى الوقت نفسه تصلح لحماية الخط البرتغالى الى أبعد حد ، ومن هنا اتجه البرتغاليون الى عمان فاحتلوا صور وقريات ثم مسقط وصحار سنة ١٥٠٧م ، وكان البوكرك هو قائد الجيش البرتغالى الذى أسقط مدينة مسقط ، وسرعان ما اتجه هذا القائد الى تدمير سفن مسقط ومبانيها[٣] . واتجه المستعمر

---

(١) انظر موسوعة التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية للمؤلف حـ ٥ ص ٢١٣ .
(٢) حسين مؤنس : الشرق الاسلامى فى العصر الحديث ص ٤٣ .
(٣) محمد صبيح : مواقف حاسمة فى تاريخ القومية العربية ص ٤٦٧ .

لاقامة القواعد والقلاع هنا وهناك ليدعم مركزه ويقوى سيطرته على تلك المنطقة الاستراتيجية ذات الموقع الملاحى الممتاز[١] .

واستولى البرتغاليون كذلك على بعض الموانى بشرقى افريقية لتكون محطات لسفنهم فى الذهاب الى الهند والعودة منها .

وحاول البرتغاليون الاستيلاء على الطرق البحرية البرية القديمة لتصبح جميع المنافذ التجارية فى أيديهم ، فاستولوا على خليج عمان وعلى جزيرة هرمز فى مدخل الخليج العربى سنة ١٥٠٧ ، ودمروا مدينة عدن وعقدوا محالفة مع الأحباش ضد مصر ، وكان من أساليبهم لضرب مصر أن يحاولوا تحويل مجرى النيل ، وعلى كل فقد كان صراعا صليبيا مريرا قادته آنذاك البرتغال ضد عدد من المواقع الاسلامية[٢] .

ولنعد للطريق الملاحى الجديد لنقرر أن المماليك المصريين لم يستطيعوا أن يتغلبوا على البرتغاليين وأن يعيدوا الأوربيين الى الطريق التقليدى القديم ، ولا استطاع ذلك السلطان سليم بعد فتح مصر[٣] وكانت المشكلة بالنسبة لعمان مزدوجة ، فلم تتوقف عند ضرب الاقتصاد بل امتدت الى احتلال الأرض ، ومن هنا اتجهت عمان لمصارعة الاستعمار الذى جثم على البلاد ، وكما يقولون ان المشكلة اذا استعصت على قوم خلقت القيادة الرشيدة ، وسنتحدث فيما يلى عن القيادة التى صارعت البرتغال وطردتهم من عمان وأعادت عمان الى الاستقلال والضوء :

---

(١) Stephan and Nandy Ronart : Arabic civilization p. 396.

(٢) شكيب أرسلان : حاضر العالم الاسلامى حـ ٤ .

(٣) انظر تفاصيل ذلك فى الجزء الخامس من موسوعة التاريخ للمؤلف من ص ٢١٣ — ٢١٦ .

اليعـــــــــاربة

١٠٣٤ — ١١٥١هـ = ١٦٢٤ — ١٧٣٨م

قبيـــلة اليعـــاربة :

قبيلة اليعاربة من أصل أزدى ، فهى قبيلة هناوية جنوبية ، وكانت هذه القبيلة قبل ظهور الزعيم ناصر بن مرشد قبيلة عادية بين قبائل عمان ، فلما سقطت البلاد ضحية التفكك والانقسام فى الداخل ، والهجـــوم الاستعمارى من الخارج ، ظهر ذلك الرجل العملاق الذى دفع قبيلته الى القمة وقاد بلاده الى السلامة ، وكأنما كانت البلاد تنتظر ظهور القائد لتلتف حوله لينقذها مما ألم بها من ضيم ، فلما ظهر ناصر بن مرشد سرعان ما بدا فيه امتيازه ومواهبه واخلاصه للمهمة الكبرى التى كانت تنتظره ، وكان فى « الرستاق » حيث ظهر ناصر عالم تقى صالح اسمه الشيخ خميس بن سعيد ، وكان هذا الشيخ مسموع الكلمة ، فلما اجتمعت الحلبة لاختيار الامام قاد هذا الشيخ المناقشات والمشاورات ، فأجمع الكل على اختيار ناصر بن مرشد اليعربى اماما لعمان ، فبويع بالأمامة فى الرستاق سنة ١٦٢٤م وبه بدأت امامة بنى يعرب ، والأئمة اليعاربة هم :

ناصر بن مرشد بن سلطان بن مالك	١٠٣٤هـ = ١٦٢٤م
سلطان بن سيف بن سلطان بن مالك	١٠٥٩هـ = ١٦٤٩م
بلعرب بن سلطان بن سيف	١٠٧٩هـ = ١٦٦٨م
سيف بن سلطان بن سيف بن مالك	١٠٧٩هـ = ١٦٦٨م
(توفى سنة ١١٢٣)	
سلطان بن سيف بن سلطان	١١٢٣هـ = ١٧١١م
سيف بن سلطان بن سيف بن سلطان	١١٣١هـ = ١٧١٨م
مهنا بن سلطان بن سيف	١١٣١هـ = ١٧١٨م
يعرب بن بلعرب	١١٣٤هـ = ١٧٢١م
سيف بن سلطان (للمرة الثانية)	١١٣٥هـ = ١٧٢٢م

محمد بن ناصر بن غافر	١١٣٧هـ = ١٧٢٤م
سيف بن سلطان (للمرة الثالثة)	١١٤٠هـ = ١٧٢٧م
سلطان بن مرشـــد	١١٥١هـ = ١٧٣٨م
	الى سنة ١١٥٤هـ = ١٧٤١م[1]

وسنتكلم فيما يلى عن أشهر الأئمة اليعاربة :

الامـــام ناصر بن مرشـــد

كانت بيعة الامام ناصر بن مرشد عودة للفكر الاباضى المتأصل فى عمان ، وقد وجد ناصر أن أمامه مشكلات كبرى ليعيد البلاد الى الوحدة ، حتى يستطيع أن يواجه الغزاة الأوربيين ، ومن أبرز هذه المشكلات الملوك الذين كان كل منهم يحكم فى منطقة من مناطق عمان ، ومن أبرزهم خمسة كانوا يحكمون فى الرستاق والنخل وسمائل وسمد وأبرا ، كما كانت بعض الحصون والمدن فى قبضة عدد من رؤساء القبائل ، أما البرتغاليون فكانوا يحتلون مسقط وغيرها من المناطق الساحلية كما ذكرنا من قبل ، كما كانوا يحتلون جزيرة هرمز حتى سنة ١٦٢٢م ، وكانوا كذلك يمدون نفوذهم على ساحل افريقية الشرقى الذى تربطه بعمان روابط عميقة منذ زمن بعيد ، فقد سبق أن ذكرنا أن حكام عمان الذين فروا من الزحف الأموى اتخذوا من الشرق الافريقى موطنا لهم ، وكان ذلك أساسا لصلات القربى بين هذين الموقعين .

وخطا ناصر خطوته الأولى نحو توحيد البلاد تحت قيادة واحدة والقضاء على حكام المناطق ، فاستجابت له البلاد ، والتفت تحت لوائه ، وتجمعت عمان تحت قيادة واحدة بعد فرقة طويلة ، واتجه ناصر عقب ذلك

---

(١) زامباور : معجم الأنساب والأسرات الحاكمة حـ ١ ص ١٩٤ — ١٩٥ .

لمصارعة البرتغاليين الذين عاثوا بالبلاد ظلما ، ونهبوا خيراتها أكثر من مائة عام .

ومن الظروف التى ساعدت الامام ناصر فى نضاله ضد البرتغاليين الاتجاه الدينى ، فقد ظهر التعصب الصليبى فى تصرفات البرتغاليين وهذا دفع المسلمين للتجمع والحماسة فيما يمكن أن نسميه « الجهاد » ضد هذا الزحف الصليبى .

ومن الظروف كذلك ضياع منطقة هرمز من البرتغاليين وسقوطها فى يد أعدائهم .

ومن الظروف كذلك سوء معاملة البرتغاليين لكل المناطق التى نزلوا بها ، فقد اتسمت أساليبهم فى الحكم بالاستبداد والجور .

وقد انتهز ناصر هذه الظروف فأعلن — بعد توحيده البلاد — الحرب لاستقلال بلاده ، ولما كانت أجزاء كبيرة من عمان تابعة لهرمز وبالتالى للبرتغاليين ، فان هزيمة البرتغاليين فى هرمز دفعت الامام ناصر أن يعلن استقلال هذه الأجزاء ، وأن يطرد البرتغاليين منها ، ومن أهمها « صحار » وخاض ناصر حربا ضد الفرس الذين حاولوا أن يرثوا البرتغاليين فى سيطرتهم على البلاد فنجح فى تخليص جلفار « رأس الخيمة » منهم .

واتجه ناصر بعد ذلك لمواجهة البرتغاليين فى مراكزهم الرئيسية بعمان أى فى مسقط ومطرح ، وقد حاصرهم ناصر حصارا طويلا ، ولكن الحامية البرتغالية التى كانت متصلة بالبحر استطاعت أن تصمد لهذا الحصار ، فاضطر الامام أن يعقد صلحا يحقق له بعض الأهداف ، فعقد صلحا التزم فيه البرتغاليون بدفع الجزية لعمان ، وألا يعترضوا نشاطهم التجارى ، وأن يكفوا عن الاتيان بأية حركة عدائية ضد عرب عمان ، وأن يهدموا التحصينات التى أقاموها فى سمد وقريات[1] .

---

(١) السالمى : تحفة الأعيان حـ ٢ ص ١١ .

وقد كسر هذا الصلح قوة البرتغاليون وأذلهم ، وترك ناصر لخليفته وابن عمه أن يجهز على هؤلاء الأعداء كما سنرى .

سلطان بن سيف

بويع سلطان بن سيف سلطانا على عمان عقب وفاة البطل ناصر ، وكان سلطان عونا لابن عمه فى أثناء حكمه ، ومن هنا كانت بيعته دفعة لاستمرار النضال الذى بدأه ناصر ، ومن الواضح أن البيعة لسلطان استمرار للفكر الاباضى الذى لا يمنع اختيار امامين أو أكثر من أسرة واحدة مادام ذلك هو رأى أهل الحل والعقد ، وكان سلطان جديرا بالثقة التى ارتبطت به .

واستمرارا للجهود التى بدأها ناصر استطاع أن يستعيد من البرتغاليين كل ما كان قد تبقى بأيديهم من عمان ، فطردهم سنة ١٦٥٨ من مسقط ومطرح .

ولم يكتف سلطان بذلك بل راح يتتبعهم فى المراكز الأخرى التى أنشئوها فى شرقى افريقية أو فى الهند ، ففى افريقية استطاع تخليص جزيرتى بمبا وزنجبار ، ثم اتجه لحصار ممبسة بناء على استغاثة أهلها ، وتلقى سلطان بن سيف رسالة سرية من أهل الصومال يشرحون فيها ما يعانونه من استعمار البرتغاليين المسيحيين ، فأرسل لهم جيشا كبيرا يقوده بطل اسمه سالم الصارمى ، وقد حقق هذا الجيش كثيرا من الانتصارات ضد البرتغاليين ، وطردهم من الصومال ولم يكن لسلطان عمان مطامع فى الصومال فغادرتها جيوشه عقب النصر بعد أن أسلمت الزمام للأهالى ، وهناك مخطوطة صومالية تصور النصر الذى أحرزه القائد العمانى كما تصور فرح الصوماليين بالاستقلال[1] .

وفى الهند وصل أسطول سلطان الى ساحل كوجرات بالهند واجتاحت عساكره (ديو) و (دامان) وقفلت بغنائم وافرة .

---

(١) اقرأ بعض ما جاء بها فى الجزء السادس من موسوعة التاريخ للمؤلف ص ٦٥٧ .

وكان سلطان بالاضافة الى قدراته العسكرية رجل تعمير ، فقد وجه همته الى ترويج التجارة وعمارة الأسواق ، كما كان حسن السيرة فى الرعية ، واتجه كذلك الى تجديد القلاع والحصون وجلب الأسلحة حتى يحافظ على استقلال البلاد ومكانها[١] .

سيف بن سلطان

بعد سلطان بن سيف تولى ابنه بلعرب السلطة فترة قصيرة ثم توفى فآلت السلطة الى سيف بن سلطان . وكان سيف من أبرز القادة والأئمة فى تاريخ اليعاربة ، وقد وجه عنايته للقضاء على البرتغاليين فى شرقى افريقية ، فخطا خطوة حاسمة حينما استولى سنة ١٦٩٨ على ممبسة التى كانت تعد عاصمة المستعمرات البرتغالية بشرقى افريقية . والتى عز الاستيلاء عليها على من سبقه ، وقد استلزم الاستيلاء عليها حصارا دام ثلاثة وثلاثين شهرا بسبب حصنها المنيع ، ولكن قوة العمانيين كانت أعظم من مناعته ، وقد وضع سقوط ممبسة نهاية لتفوق البرتغاليين فى شرقى افريقية[٢] وكان أساسا لانهيار آمالهم فى تلك المناطق .

واهتم سيف بالأسطول اهتماما كبيرا ، فقد كان الأسطول أهم وسائل الدفاع عن البلاد ، وأهم وسائل الهجوم على أعدائها ، وقد بلغ عدد سفن الأسطول ثمانية وعشرين سفينة كبيرة ، يحمل بعضها ثمانين مدفعا[٣] مما يدل على تقدم عمان فى فن الملاحة ، وعلى القدرة فى تسليح السفن ، وهو فن كان آنذاك جديدا .

وقد استطاع سيف بهذا الأسطول أن يحتل بعض الجزر القريبة من بومباى بالهند ، وأن يطرد البرتغاليين منها ، ومن بعض المدن التى كانت تحت سيطرتهم .

---

(١) سعيد باوزير : معالم تاريخ الجزيرة العربية ص ١٦٩ .
(٢) Caupland : East Africa and its Invaders p. 67.
(٣) السالمى : تحفة الأعيان حـ ٢ ص ٨٩ .

وكان سيف كأبيه محبا للعمران يصفة الأستاذ سعيد باوزير[1] بأنه كان بصيرا بالاصلاح ، شديد الاهتمام بمرافق البلاد ومصالحها ابتكر حفر القنوات تحت الأرض ليجلب الماء من الأعماق ، مما سبب تطور الزراعة ، واعتنى بغرس النخيل حتى أصبح محصولا يدر على الأهالى كثيرا من الثراء .

سلطان بن سيف (الثانى)

تولى سلطان بعد أبيه ويعتبر آخر الأئمة العظماء ، وقد استطاع أن ينزع البحرين من أيدى الفرس الذين كانوا قد استولوا عليها سنة ١٦٢٢ عند طرد البرتغاليين من هرمز .

من مآثر اليعـــاربة

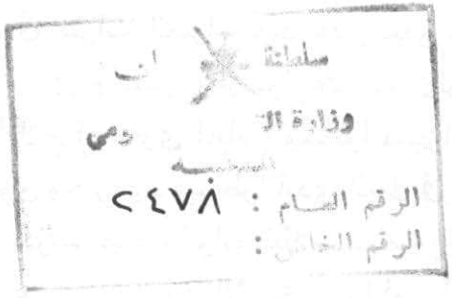
أنشأ اليعاربة جيشا جرارا ضم حوالى ٩٠٫٠٠٠ مقاتل ، وأسطولا ضخما بلغ غاية مجده فى عهد سيف بن سلطان كما أشرنا من قبل ، وشيدوا القلاع والحصون فى كثير من المناطق الاستراتيجية ، واهتموا اهتماما بالغا ببناء البلاد وتعميرها بعد ما أحدثه البرتغاليون بها من اهمال ، وبعد التدمير الذى أصاب البلاد فى فترات الصراع ضد هذا العدو ، واهتم اليعاربة بالزراعة فأحيوا البرارى والقفار وغرسوا عشرات الألوف من الأشجار المثمرة ، وشقوا الأفلاج (مجارى المياه) وحققوا منجزات معمارية رائعة الفن الهندسى فى نزوى وجبرين ، وبسطوا أيدى العمل فى كل ناحية وأقاموا فى كل قصور جبرين مدرسة فتحت أبوابها لطلاب العلم من عمان ومن سواها من الأقطار ، وأشاعوا مناخات من الاستقرار والأمن أسهمت فى اشاعة الرخاء والتقدم والازدهار فى جميع مرافق الحياة .

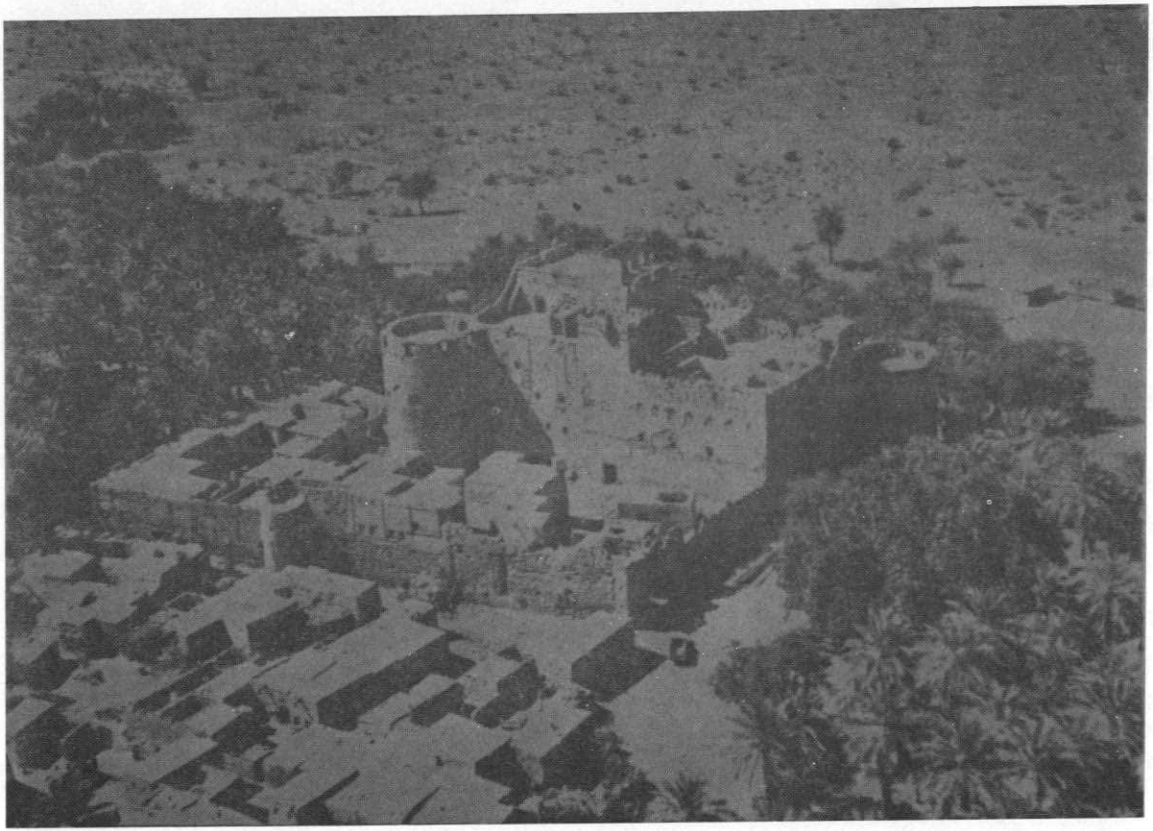
---

(١) معالم تاريخ الجزيرة العربية ص ١٧٠ .

دراسة الآثار المعمارية لليعاربة :

ولا شك أن آثار اليعاربة شيء يدعو للزهو والافتخار ، وهى جديرة بأن يعكف عليهـا الدارســون والباحثون ليبرزوا ما بها من فن وقدرة معمارية ، ثم ليبرزوا ما كانت تحويه القصور من مجالس للعــلم وخدمة للمعـرفة ، وقد زرنا بعض هذه القصــور ، ووقفنا فيها وقفات إعجاب وتقـــدير •





حصن جيرين : أحد حصون عمان الشهيرة

آل بوســـــعيد

١١٥٤هـ = ١٧٤١م حتى الآن

قبيلة آل بوســـعيد :

كان اهتمام قبيلة آل بوسعيد متجها للتجارة ، ثم دفعتها الكفـاءة والظروف الى عالم السياسة فحققت شهرة عظيمة فى هذا المجال ، سواء فى الجزيرة العربية أو فى العالم الخارجى بوجه عام ، وسنتحدث فيما يلى عن نشأة هذه الأسرة المجيدة وعن أشهر سلاطينها :

المستشار أحمد بن سعيد :

شهدت السنوات الأخيرة من حكم اليعاربة اضطرابا واسع المدى فى عمان ، وقد كانت الأمور حول سيف بن سلطان الذى تولى الامامة ثلاث مرات حافلة بالأكدار والدسائس ، فأحس بحاجته الى مستشار يلجأ لرأيه كلما اشتد الأمر ، فذكر له أحمد بن سعيد ، فقد كان شخصية موهوبة لامعة ، فعينه مستشارا له ، وعهد اليه بادارة ميناء صحار ذى الأهمية الكبرى ، ثم أصبح واليا لصحار ، وبدأ أحمد بن سعيد بذلك خطواته نحو المجد .

وفى الصراع الذى حدث فى أخريات أيام اليعـاربة تقدم الفرس فاحتلوا جزءا من عمان ، وفى نفس الوقت مات قادة الصراع الداخلى وبقى فى الميدان أحمد بن سعيد ليحمل عبء طرد الفرس من البلاد وليعيد لها مكانتها وازدهارها .

أحمد بن سعيد يتزعم عمان :

نشط أحمد بن سعيد ليدافع عن بلاده ، وليعيد لها الوحدة والاستقلال وقد استطاع أن يحقق خطوات ثابتة فى هذا المجال ، فقد سار من صحار التى حافظ على استقلالها حتى حاصر مسقط ، وساعدته الظروف فقضى

على الحامية الفارسية ، وأصبح أحمد بن سعيد مؤسسا لأسرة آل بوسعيد . واجتمعت حوله الرايات .

وسلاطين أسرة آل بوسعيد بعمان هم :

أحمد بن سعيد	١١٥٤هـ = ١٧٤١م
سعيد بن أحمد	١١٨٨هـ = ١٧٤١م
حامد بن سعيد	١١٩٣هـ = ١٧٧٩م
سلطان بن أحمد	١٢٠٦هـ = ١٧٩١م
سعيد بن سلطان	١٢١٩هـ = ١٨٠٦م
ثوينى بن سعيد	١٢٧٣هـ = ١٨٥٦م
سالم بن ثوينى	١٢٨٣هـ = ١٨٦٦م
عزان بن قيس	١٢٨٥هـ = ١٨٦٨م
تركى بن سعيد	١٢٨٧هـ = ١٨٧٠م
فيصل بن تركى	١٣٠٥هـ = ١٨٨٧م
تيمور بن فيصل	١٣٣٢هـ = ١٩١٣م
سعيد بن تيمور	١٣٥١هـ = ١٩٣٢م
قابوس بن سعيد	١٣٩٠هـ = ١٩٧٠م

البوسعيديون فى شرقى افريقية :

رأينا من قبل الجهود التى بذلها اليعاربة لطرد البرتغاليين من شرقى افريقية ، ولكن اليعاربة اكتفوا بالسلطة الاسمية على هذه المناطق لشدة ارتباطهم بالجزيرة العربية وحراسة أملاكهم بها ، وعينوا على المناطق الافريقية أمراء يحكمونها باسمهم ، فعينوا أسرة الحارث لجزيرة زنجبار ، وأسرة النبهانيين لحكم باتا ، وأسرة المعمودى لحكم ممبسة ، وتلتها أسرة

المزروعى ، وكانت هذه الأسر خاضعة خضوعا اسميا لأئمة عمان ، ولكن عندما انتهت أسرة اليعاربة فى عمان ، وقامت على أثرها أسرة بنى سعيد (البوسعيدية) اكتمل سلطان أئمة عمان على الساحل الافريقى ، وعلى الجزر المواجهة له ولم يقبل البوسعيديون أن ينافسهم الأمراء فى حكم هذه الجزر وبخاصة الأمراء من أسرة المزروعى الذين كانوا قد حاولوا الاستقلال بجزيرة ممبسة ، وقد بلغ من اهتمام البوسعيديين بافريقية أن نقل سعيد بن سلطان (١٨٠٦ — ١٨٥٦) عاصمة ملكه من مسقط الى زنجبار سنة ١٨٣٢ واستطاع سعيد أن يفرض العشور على التجارة الداخلية والخارجية وأن يجعل زنجبار مستودعا هائلا للتجارة ، تخزن فيه البضائع التى تأتى من أنحاء كثيرة بافريقية ، ومنها توزع على التجار العرب الذين يحملونها الى سواحل شبه الجزيرة ، والى المناطق المختلفة بآسيا وافريقية ، كما توزع على التجار الأوربيين والأمريكيين الذين يحملونها الى بلادهم[١] .

وبالاضافة الى الحركة التجارية والنشاط الاقتصادى اتسع نفوذ زنجبار السياسى فى عهد السلطان سعيد ، فشمل مسافة على الساحل تقدر بأكثر من ألف وستمائة كيلو متر ممتدة من جنوب مقدشو شمالا الى سفالة وتونجى جنوبا ، كما امتد نفوذه أيضا داخل القارة حتى وصل الى حدود الكونغو وأوغندا وروديسيا ، وانتشرت فى هذه الأجزاء كلها شبكة من خطوط القوافل تربط بين الساحل وبين شواطىء فيكتوريا وتنجانيقا ونياسا ، وتابع سعيد توغله فى الأجزاء الشرقية من الكونغو وعلا صيته حول البحيرات العظمى حتى كان يقال : ان النـاس على شواطىء البحيرات يرقصون على أنغام زنجبار [٢] .

وعلى هذا فقد صادف السلطان سعيد نجاحا كبيرا على الرغم من أن

---

(١) دكتور صلاح العقاد ، والدكتور جمال قاسم : زنجبار ، وانظر موسوعة التاريخ الاسلامى للدكتور أحمد شلبى الجزء السـادس ص ٤٠٨ — ٤٠٩ .

(٢) See Ruete, R : Said Bin Sultan, Rulers of Oman and East Africa.

عصر الاستعمار الأوربى كان قد بدأ ، واتجهت القوى الأوربية لمصارعة السلطان المسلم فى هذه المنطقة[١] .

وعقب وفاة السلطان سعيد انقسمت دولته الى سلطنتين مستقلتين احداهما افريقية حكمها ماجد بن السلطان سعيد ، والثانية آسيوية عاصمتها مسقط حكمها ثوينى بن السلطان سعيد .

تعريف بأشهر سلاطين البوسعيديين

تكلمنا فيما سبق بشىء من التفصيل عن أحمد بن سعيد مؤسس أسرة (آل بوسعيد) ويبقى بعده بعض سلاطين البوسعيديين جديرين بشىء من التفصيل كذلك وهؤلاء هم :

سلطان بن أحمد	(١٧٩١ — ١٨٠٤)
سعيد بن سلطان	(١٨٠٦ — ١٨٥٦)
قابوس (السلطان الحالى)	(١٩٧٠)

وفيما يلى كلمة عن كل من هؤلاء السلاطين :

سلطان بن أحمد :

عندما تولى سلطان بن أحمد جعل التوسع الخارجى سياسة ثابتة له ، وبدأ بالجزر المواجهة لساحل عمان وهى قشم وهرمز ، ثم بسط سلطته على الموانى المهمة فى ساحل مكران ، واستولى على مينائى شهبار وجواردوفر وبواسطة هذين الميناءين توثقت الصلات بين بلوخستان وبين عمان ، واستولى كذلك على بندر عباس ، وهكذا صارت دولة عمان فى عهد سلطان بن أحمد تتكون من عمان فى شبه جزيرة العرب ، ويضاف اليه عدة جزر وموان حتى حدود باكستان الحالية بالاضافة الى جزيرة زنجبار .

---

(١) دكتور عبد العزيز كامل : قضية كينيا ص ٢٢ وانظر الجزء السادس من موسوعة التاريخ للمؤلف ص ٤٠٩ .

وهذا التكوين الجغرافى لعمان استوجب أسطولا قويا ، وقد امتلك سلطان بن أحمد هذا الأسطول الذى ساعده على تحقيق انتصاراته البحرية الواسعة وعلى حماية دولته .

وبالاضافة الى هذه الانتصارات العسكرية والتوسع الخارجى يضيف المؤرخون الى سلطان بن أحمد فضلا عظيما فى المجال الحضارى ، فقد فتح الباب لألوان من التقدم والمدنية كانت بعيدة عن بلاده من قبل ، كما تعاون من العثمانيين على حماية البصرة من الفرس ، مما جعل له مكانة خاصة لدى الباب العالى .

سعيد بن سلطان :

عندما توفى سلطان بن أحمد سنة ١٨٠٤ كان ابنه سعيد فى مطلع الشباب وقد حاولت قوى متعددة أن تنتهز حداثة سنه ، ولكن سعيدا استطاع أن يتغلب على منافسيه ، وأن يمسك بزمام الأمور ، وقد وجه سعيد عنايته الى افريقية ، واسترد ما كان قد ضاع من الساحل خلال الصراعات التى سبقته ثم آثر سنة ١٨٣٢ أن ينتقل الى زنجبار ويتخذها عاصمة له وقد سبق أن تحدثنا عن جهود سعيد فى الســـــاحل الافريقى وعن المكانة السياسية والاقتصادية التى حققها هناك .

وكان سعيد معروفا بالتواضع يميل الى الشورى ، ولا يصدر حكما مهماً الا بعد اجتماع مجلس من الرؤساء والشيوخ للتشاور فى هذا الأمر ، وكان محبوبا لدى الرعية ، معظماً بينهم[1] .

وكان سعيد ذكيا مستنيرا حريصا على تنمية معلوماته والتعرف على أعمال الزعماء من معاصريه .

ويقول عنه الرحالة Wellested انه كان يحتفظ بكثير من الصفات

(١) حسين بن غنام : روضة الأفكار والأفهام حـ ١ ص ٩ .

البدوية الأصيلة ، وكان يلبس لباس مواطنيه ، وكان يظهر فى الاحتفالات والمناسبات بدون المظاهر التى يحرص عليها السلاطين والملوك ، وكان يزور والدته يوميا كدليل على البر والتقدير[١] .

وتوفى السلطان سعيد سنة ١٨٥٦ وهو فى سفينة من مسقط الى زنجبار ودفن فى هذه الجزيرة ، كأن القدر أراد له أن يوارى جسده فى الجزيرة التى أحبها واستوطنها .

السلطان قابوس :

فى الثالث والعشرين من شهو يوليو سنة ١٩٧٠ انبثق فى عمان فجر جديد ، فقد تولى السلطان قابوس مقاليد الحكم فى البلاد .

وقد أخذ جلالة السلطان قابوس يعمل بسرعة هائلة ليدفع عمان الى النور الذى يليق بها ، وأسرع فى اقامة اصلاحات فى مختلف الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، ورعى جلالته كل اتجاهات الحضارة ، رعى الفكر بالعلم والعقل بالوعى ، والنفس بالأمل والأمن ، فاذا كل شىء يبتهج واذا بالقطر يزهو ويزدهر .

وفى أكتوبر سنة ١٩٧١ دخلت سلطنة عمان جامعة الدول العربية ، ثم دخلت الأمم المتحدة ، وأقامت علاقات ديبلوماسية بينها وبين كثير من الدول العربية ومن دول العالم ، وأخذت تلعب دورها فى الحياة العربية والعالمية .

لقد كان قابوس نافذة نور لعمان ، وكانت يده تعمل فى كل مجال ، فى مجال التعليم ، وفى مجال الزراعة والمواصلات والتخطيط والتعمير والصحة وبناء الانسان العمانى بوجه عام ، ومن هنا فالسلطان قابوس

---

(١) Travels in Arabia vol. I, p. 5 ff.

يستحق تقدير المنصفين لأنه خطا أوسع الخطوات فى أقصر وقت ، وهو بهذا يفوق الكثيرين من الأنداد .

أما سياسة السلطان قابوس الخارجية فكانت مثالا فى الدقة والحكمة وبُعد الرأى ، فقد عمل لصالح بلاده فى علاقاته بالآخرين ، وجلالته يصف هذه السياسة بأنها سياسة تعيش فى الضوء ، وأنها تعمل لتحقيق آمال الشعب العمانى ، وآمال الأمة العربية والاسلامية .

وعلى هذا وقف جلالته كالطود الشامخ يتدارس المشكلات بعمق وأصالة ليضع بلاده فى الوضع الذى يخدم العروبة والاسلام ، وليستعيد لعمان ما كان لها من مجد تليد ، لقد رأت عمان فى عهـد السلطان قابوس أنضر عهودها فى كل اتجاه بارك الله له وهيأ الخير على يديه .

مشكلة المقاطعة الجنوبية « ظفار » :

تحكى المصادر العمانية الوثيقة قصة الصراع فى ظفار فتقول : انه عندما تسلم العهد الجديد بقيادة السلطان قابوس مقاليد الحكم وضع فى اعتباره حل المشاكل المختلفة ومن بينها مشكلة ظفار ، وكانت مشكلة ظفار قد ظهرت الى الوجود فى منتصف الستينات ولكن عندما قام السلطان قابوس بحركته التاريخية تهاوت كل القوى أمام عزمه من جانب ، وأمام الاصلاحات الميمونة التى قام بها من جانب آخر .

وفى العيد القومى لعمان فى نوفمبر سنة ١٩٧٦ ألقى السلطان قابوس فى احتفال ضخم عقد فى مدينة مسقط خطابا حافلا عدد المنجزات التى حققها والمشروعات التى ينوى السير فى تحقيقها وكان أهم ما حققته البلاد الانتصار الشامل على حركة ظفار والعمل بجد لاعادة البناء للديار التى خربتها هذه الحركة ، واعادة المهجّرين الى دورهم ، وتحدث السلطان كذلك عن النهضة التعليمية الكبرى بالبلاد ، وعن السير نحو ايجاد مكان لكل طفل بعمان فى

المدارس ، وعن الاهتمام بالجانب القومى فى التاريخ حتى يكون الجيل الجديد فخورا بما حققه أجدادهم من تطور وتقدم •

وتكلم السلطان عن مشروعات الصحة والاسكان والشباب والبترول ، فرسم للبلاد مستقبلا طيبا ، كما تحدث عن مشاركة عمان للدول العربية فى الجهود التى تبذل لتأييد الحق العربى بفلسطين ولخدمة قضية السلام بوجه عام •

والناظر الى عمان يحس أن نافذة عمان التى فتحها السلطان قابوس قد اتسعت ، وتتجه دائما الى مزيد من الاتساع ، والقافلة تسير •

حضارة عمان :

أول ما نبرزه أن عمان كانت الدولة الوحيدة بين الأقطار العربية التى كانت لها امتدادات خارج المنطقة العربية ، نالتها بحد السيف بعد أن طردت المستعمر الأوربى منها ، وبقيت عمان فى هذه البقاع برغبة سكانها لتحميهم من أطماع الغرب التى بدأت تظهر عقب طرد البرتغال •

وصلة أهل عمان بشرقى افريقيا تحتاج لمزيد من الدراسة ، فان عمان اتصلت بهذه المنطقة من وقت مبكر يرجع الى فترة الصراع بين العمانيين ، وبين الدولة الأموية كما ذكرنا من قبل ، فقد هاجر آنذاك عدد من العمانيين ونزلوا شرقى افريقية التى كانت منذ عهود سحيقة معروفة لأهل عمان •

ولما احتلت البرتغال بعض عمان احتلت كذلك منطقة شرقى افريقية ، فلما طرد العمانيون البرتغاليين من أراضيهم أدركوا أن نجاحهم لا يتم بدون طرد البرتغاليين من الساحل الافريقى ، وقد تمكن الأئمة اليعاربة من ذلك كما رأينا من قبل ، ثم أصبحت منطقة شرقى افريقية جزءا من مملكة عمان •

وخلال فترة العلاقات الطويلة بين عمان وبين شرقى افريقية لعب

العمانيون دورا هاما حضاريا هائلا فى شرقى افريقية بوجه خاص ، وفى قلب افريقية بوجه عام فقد كانت الحياة فى افريقية خاضعة لحكم الغاب ، فكانت السيطرة للأقوياء وكان الضعاف عبيدا لا يملكون حولا ولا طولا ، كما كانوا لا يعرفون ديناً ولا حضارة .

فلما دخل الرجل العمانى هناك نشر الاسلام ، ونشر العدالة ، وشق الطرق ، وبنى المساجد والمدارس ، وجعل الأمن مستتبا ، فانتقل بذلك الأفارقة من حال الى حال ، وعرفوا الاخاء والحب ، وحقوق الانسان وغير ذلك من صور المعاملة التى لم يشاهدها الأفارقة الا على يد العمانيين .

ومما يذكر لعمان بكثير من الفخر أنها قاومت البرتغاليين بدون معونة من أحد ، وهى بهذا تعد فى صفوف الدول التى حطمت بالسيف قوى المستعمر الغاشم وأذلته وألزمته أحيانا أن يدفع الجزية وأحيانا يستسلم .

ومن المواقف الحضارية التى تحسب لعمان دورها التجارى العظيم فى دنيا ذلك الزمان ، فقد غطت تجارتها أكثر دول آسيا وافريقية ، وكانت لها السيطرة على أكثر بحار هذه المناطق كما كانت لها مراكز تجارية على جميع السواحل التى يرسو بها أسطولها التجارى العظيم ، وقد استدعت هذه الحركة التجارية النشطة تطهير ساحل ملبار من القراصنة الذين ينتمون الى مختلف الجنسيات الآسيوية والأوربية ، وهكذا سبق العمانيون الانجليز الى تلك السياسة التى ترمى الى تأمين الملاحة التجارية فى المحيط الهندى[1] .

وكانت الجوانب الحضارية بافريقية تسير دائما مع الجهود الاقتصادية فقد برزت هذه الجوانب الحضارية ليس فقط فى افريقية ، بل فى مناطق مختلفة من الهند وبعض سواحل الصين .

وقد انجبت عمان صفوة ممتازة من الناس فى مختلف نواحى المجد فمنهم

---

(١) السالمى : تحفة الأعيان حـ ١ ص ١٠ وما بعدها .

الابطال ، ومنهم العلماء والقادة ، وفى قمة الأبطال العمانيين الذين عرفهم التاريخ الاسلامى المهلب بن أبى صفرة ، ومن علمائها صحار العبدى صاحب الخلفاء الراشدين ، وكعب بن سور قاضى عمر بن الخطاب على البصرة ، والخليل بن أحمد الفراهيدى واضع علم العروض وصاحب كتاب العين ، ومن خطبائها صعصعة بن صوحان ، ومن أجوادها مرة بن الوليد ، ويقال : انه لم يكن فى الأرض أجود منه وكان رسول المهلب الى الحجـــاج ، من فصحائها بشر بن المغيرة ، ولم يكن فى الأرض أنطق منه ، ومنهم الربيع بن حبيب الفراهيدى وكان يضرب به المثل فى العلم ، ومنهم أبو حمزة الشارى وهو من بنى سليمة ، ومنهم أبو بكر أحمد بن دريد صاحب كتاب الجمهرة ، ومنهم أبو العباس المبرد صاحب كتاب الكامل وكثيرون جدا غيرهم ممن ذاع صيتهم فى ميادين السياسة والبطولة والعلم •

وقد عرف التاريخ مجموعة عظيمة من نساء مسقط شاركن بنصيب كبير فى النشاط السياسى والاجتماعى ، ومن هؤلاء السيدة معازة التى كانت وصية على سالم وسعيد ابنى سلطان بن أحمد فأحسنت قيادة الأمر ، وظهرت كثيرات من النساء على رأس الثورات التى كانت تشتعل أحيانا ؛ وكان حجاب النساء فى مسقط أقل مما كان عليه فى البلدان العربية الأخرى[١] •

ويشتهر سكان عمان بالنظافة وسماحة الخلق ، وقد كان هذا الاتجاه مما لفت أنظار الرحالة الأوربيين فقال Buckingham أنهم أنظف وأشد رقة وأكثر أناقة من جميع العرب الذين صادفهم فى رحلاته[٢] •

---

(١) Bohem : The Persian Gulf p. 6.

(٢) Travels in Assyria, Media and Persia vol. 2, p. 413.

بحوث الندوة

القسم الأول

البحوث العربية

أولاً

عُمان فى العصور القديمة

دور عمان الحضاري في فجر التاريخ

للأستاذ الدكتور رشيد الناضوري

قبل دراسة دور إنسان عمان في حضارات عصور ما قبل التاريخ في منطقة الشرق الأدنى القديم وفي اقليم عمان تنبغي الاشارة بإيجاز الى حضارات منطقة الشرق الأدنى القديم في عصور ما قبل التاريخ باعتبار اقليم عمان يمثل جزءا رئيسيا فيها ، ومتأثر بطبيعة الحال بكافة الظروف الطبيعية والانسانية المحيطة في تلك المنطقة .

منطقة الشرق الأدنى القديم :

منطقة الشرق الأدنى القديم منطقة فريدة في تاريخ الانسانية فهي تتمتع بأولوية خاصة في تاريخ الحضارة منذ عصور ما قبل التاريخ ، فقد ثبت بالدراسات المقارنة المعتمدة على الأدلة الأثرية أولوية انسان تلك المنطقة في صنع الحضارة الانسانية ابتداء من مرحلة انتاج الطعام أو بالأحرى العصر الحجري الحديث خلال الألف السادس قبل الميلاد . أما بالنسبة للمراحل الحضارية السابقة على العصر الحجري الحديث فقد كانت الإنسانية جمعاء في مشارق الأرض ومغاربها على حد سواء تعيش في مرحلة جمع الطعام المعروفة باسم « العصور الحجرية القديمة » بأقسامها السفلى والوسطى والحديثة ، ورغم وجود بعض الخصائص الفنية في صناعة الأدوات الحجرية المستخدمة في كافة المتطلبات السلمية والحربية أثناء تلك العصور في بعض المناطق ، فان النمط الحضاري السائد كان إلى حد كبير واحدا على أساس أن الظروف الحياتية لانسان العصر الحجري القديم في كافة أنحاء المعمورة كانت الى حد كبير متشابهة من حيث انشغال انسان تلك المرحلة في البحث عن الطعام والدفاع عن النفس بكافة الوسائل في مواجهة الصعوبات البيئية المتعددة ، سواء كان ذلك في مجال الحياة الحيوانية أو

النباتية أو فى مجال الطبيعة الأرضية والنهرية والبحرية والجبلية وكذلك الأحوال المناخية وغيرها • فالحضارة الشيلية والحضارة الأشولية فى كافة أرجاء الأرض حضارات متشابهة الى حد كبير من حيث نوعية الآثار ووظيفتها والنمط الحضارى السائد فى تلك المراحل المبكرة والمتميز بسمة عدم الاستقرار والتنقل المستمر والصيد والقنص والالتقاط وجمع الطعام ، وكان ذلك هو النمط المميز لحياة انسان الشرق الأدنى القديم فى تلك العصور الحجرية القديمة ، ويلمس المؤرخ ما خلفه الانسان فى كافة المواقع المفتوحة والكائنة فى التجمعات المؤقتة على سفوح الهضاب والتلال الطبيعية المطلة على مصادر المياه العذبة فى العيون والواحات والأودية والسهول والأنهار ، وكذلك فى بعض الطبقات السفلى من أرضيات بعض التلال المتخلفة عن التجمعات الانسانية وأيضا بعض التلال الكائنة داخل الكهوف التى كان يلجأ اليها الانسان للاقامة المؤقتة •

ودور إنسان عمان فى هذا الصدد يماثل نظيره فى كافة المناطق الأخرى من العالم ، وتدل الشواهد الأثرية وبخاصة فى مجال الأدوات الحجرية فى عمان على عدم العثور حتى الآن على أدوات تنتمى الى مرحلة العصر الحجرى القديم الأسفل ولكن من المنتظر العثور عليها مستقبلا حيث أنه قد عثر على نماذج منها فى مواقع أخرى فى شبه الجزيرة العربية ، أما بالنسبة الى آثار العصر الحجرى القديم الأوسط فى عمان فقد عثر على كميات من الشظايا وبصفة خاصة فى مواقع Awaify و Natih • وقد تضمنت هذه الأدوات المكاشط والأدوات المتميزة بأطرافها الدقيقة • أما بالنسبة الى آثار العصر الحجرى القديم الأعلى فى عمان فقد عثر على مجموعات من صناعة الأدوات النصلية وبصفة خاصة فى موقع Shisur • ويلاحظ وجه شبه واضح فى تقنية الصناعة بين آثار هذه المرحلة الحضارية ونظائرها فى قطر وكذلك يمكن مقارنتها بصناعة الأنصال فى موقع هوافتيح فى ليبيا والتى يقدر ماكبرنى Mc Burney وهو العـــالم الانجليزى الذى سبق قيامه بالتنقيب فى عصور ما قبل التاريخ ، بارجاعها الى زمن يقدر بحوالى ١٥٫٠٠٠ سنة قبل الوقت

الحاضر[١] • وفى أواخر العصر الحجرى القديم الأعلى فى عمان عثر على بعض الأنصال المتطورة فى موقع Bir Khasfa والتى يمكن مقارنتها بالحضارة الأوريجناسية الوسطى والتى عثر عليها فى موقع الخيام بالأردن • ويلاحظ أيضا أن رؤوس السهام العمانية المنتمية الى تلك المرحله تحمل وجه شبه مع نظائرها فى الحضارة العاترية فى شمال افريقيا (انظر شكل رقم ١ فى نهاية البحث)(*) •

وموقف المؤرخ تجاه ظاهرة وجه الشبه فى تقنية الصناعة هو القول بامكانية حدوث نوع من الاتصال الحضارى نتيجة تجوال الانسان فى تلك المرحلة المبكرة ، وهى العصر الحجرى القديم الأعلى فى منطقة الشرق الأدنى القديم من أجل البحث عن طعامه وشرابه مما أدى الى صنع أسلحة وأدوات متشابهة الى حد كبير •

وخلال العصر الحجرى القديم الأعلى بدأت معالم التحول الحضارى عندما أعطى الانسان القديم بعض الوقت لذاته من أجل التعبير عن بعض تصوراته الحياتية وذلك عن طريق الرسم على جدران الصخور وأيضا أسقف بعض الكهوف وقد ترك انسان عمان بعض النماذج الجيدة فى مجال تلك الرسوم وقد قام العالمان كيث برستون Keith Preston [٢] و س • ف • كلارك C. F. Clark [٣] بعمل مسح أثرى لتلك النقوش فى بعض مناطق الجبل الأخضر فى عمان منذ عام ١٩٧٥ ، وقد نتج عن هذا العمل الأثرى الهام العثور على العديد من النماذج الغنية لرسوم ونقوش ملونة تجمع بين

---

(١) Mc Burney, The Prehistory of North Africa., Smith, G. H., «Neolithic Sites in Oman», In The Journal of Oman Studies, vol. 2 (1976), p. 192.

(*) جميع الصور والأشكال والخرائط موجودة فى نهاية البحث .

(٢) Preston, K., «An Introduction to the Anthropomorphic Content of the Rock Art of Jebel Akhdar», In The Journal of Oman Studies, vol. 2 (1976), pp. 17-39.

(٣) Clark, C. F., The Journal of Oman Studies, vol. I (1975), pp. 113-122.

الأشكال الإنسانية والحيوانية ، وأيضا بعض الأدوات والأسلحة التى كان يستخدمها انسان عمان القديم ، ويلاحظ أن بعض تلك النقوش والرسوم الانسانية كانت لأفراد ممتطية بعض الحيوانات مثل الخيول والجمال فى أشكال فردية أو أشكال جماعية (انظر شكل رقم ٢) • ومن ناحية أخرى تُظهر بعض الرسوم والنقوش مناظر الصراع ضد الأعداء والدفاع عن النفس (انظر شكل رقم ٣) • وقد تعددت الرسوم والنقوش المصورة للأسلحة المختلفة كالدروع والسيوف والأقواس والخناجر والمقامع وغيرها • وقد اختلف العلماء بالنسبة الى التقويم الزمنى بالنسبة الى تلك النقوش فقد يبدو أن سمة التطور فى الأسلحة والتعبير الفنى تدل لأول وهلة على حداثة العهد المنتمية إليه ، ولكن ذلك يغلب أن يعود إلى احتمالية كون اقليم عمان بمثابة معبر طبيعى للعديد من القوافل المتنقلة من شبه الجزيرة العربية الى جنوبها الشرقى ، وأيضا الجماعات البشرية الوافدة الى اقليم عمان من جهة الساحل والتى سجلت فى أثناء عبورها لتلك المناطق الجبلية بعض المناظر الحياتية المختلفة التى مرت بها • ولكن لا شك أن الجذور الأولى لتلك النقوش تعود الى المرحلة المبكرة التى سارت فيها ظاهرة التعبير بالرسم على الصخور والتى ترجع الى العصر الحجرى القديم الأعلى ، والواقع أن الحسم النهائى لمسألة التقويم الزمنى لتلك النقوش يعتمد على المزيد من التنقيبات الأثرية للمواقع والمحطات الحضارية المجاورة لتلك النقوش على أساس امكانية وجود نوع من العلاقة الحضارية فيما بينها مما يساعد على تحديد تقويمها الزمنى كما أنه من ناحية أخرى فإن المخلفات العظمية الحيوانية المنتمية إلى العصر الحجرى القديم الأعلى لتساعد أيضا فى امكانية التعرف على طبيعة الحياة الحيوانية والمناخية التى كانت سائدة فى تلك الفترة ويتطلب ذلك المزيد من البحث الأثرى مما قد يساعد فى توضيح العمر الزمنى لتلك النقوش والرسوم الصخرية القديمة •

أما المرحلة الحاسمة فى تاريخ الشرق الأدنى القديم والتى تعتبر بمثابة تحول جذرى فى حياة الانسان فهى المرحلة المعروفة بعصر انتاج الطعام أو العصر الحجرى الحديث فى الشرق الأدنى القديم • وقد تعددت

الأبحاث الأثرية فى مختلف أرجاء تلك المنطقة بحثا عن أقدم القرى والمواقع المستقرة لأول مرة فى تاريخ الانسان وتنبغى الاشارة فى هذا المجال الى مواقع العصر الحجرى الحديث فى بلاد الرافدين والمتمثلة فى قرى ملفعات وجرمو وحسونه وجميعها تقع فى شمال شرقى بلاد الرافدين ومواقع قرى سيالك وباكون وجيان فى الهضبة الايرانية وقرى العمق بصفة خاصة فى تل الشيخ وتل عطشانه فى شمال سوريا وقرى تشاتال وهاكيلار جنوب الأناضول وجبيل فى لبنان وموقع تل السلطان فى فلسطين ومواقع الفيوم ومرمدة بنى سلامة وحلوان العمرى ودير تاسا فى مصر وغيرها من المواقع الصحراوية المكتشفة حديثا فى الصحراء الغربية لوادى النيل الأدنى وشبه الجزيرة العربية • ولاشك أن هذه الدفعة الحضارية الكبرى فى تاريخ الانسانية والتى نجح انسان منطقة الشرق الأدنى القديم فى احداثها والتى ثبت بالدراسات المقارنة اسبقيتها على كافة المواقع الأخرى فى العالم فى عملية اكتشاف الحياة الزراعية المستقرة وبناء القرى وبداية الاستقرار فى المجالات الفكرية والخاصة بالاعتقاد فى بعض القوى الإلهية وانشاء المعابد الخاصة بها وكذلك الاعتقاد لعملية استمرار الحياة الدنيوية الى ما لانهاية فى العالم الآخر ، قد أثرت تأثيرا فعالا على كافة أرجاء الحياة الانسانية فى منطقة الشرق القديم بل وفى المواقع المحيطة بها • وقد عثر أيضا فى بعض تلك المواقع الأثرية على مراحل التطور التدريجى فى الانتقال من مجتمع العصر الحجرى القديم الأعلى الى مرحلة العصر الحجرى الحديث • مما يؤكد استمرارية التطور الحضارى فى تلك المنطقة • ويلاحظ أن ذلك التطور كان تطورا إقليميا ، أى أن الانسان فى كل اقليم من منطقة الشرق القديم كان يتطور محليا وينجح بوحى من المقومات البيئية المحلية الى تحقيق الانتقال الى مستوى التطور الحضارى فى العصر الحجرى الحديث خلال الألف السادس قبل الميلاد ، وبينما تتجه بعض الآراء الى الاعتقاد فى وجود نوع من الصلات الحضارية المتبادلة بين أقاليم المنطقة فى تلك المرحلة فإن النماذج الأثرية التى عثر عليها فى حفائر تلك المواقع تدل على أنها نتاج محلى صرف • ولكن سرعان ما اتجهت تلك المجتمعات والقرى المبكرة الى تحقيق

الاتصال الاقتصادى والحضارى فيما بينها فى المراحل الحضارية التالية ابتداء من عصر الحجر والنحاس الذى يعود الى منتصف الألف الخامس ق • م تقريبا وذلك من أجل البحث عن مجالات جديدة فى مختلف أنشطة الحياة وخاصة فى مجال البحث عن مادة النحاس التى اكتشفها الانسان فى تلك المرحلة الأخيرة واتجه الى البحث عنها واعتبرها مادة يسهل تشكيلها الى أدوات دقيقة تحقق ما تطلبته التطورات الحضارية فى مرحلة العصر الحجرى الحديث والتى تعجز الأدوات العظمية والخشبية والحجرية والعاجية عن تحقيقها • ومن الأهمية الإشارة بإيجاز إلى بعض العناصر الحضـــارية الرئيسية التى نجح انسان المنطقة فى صنعها وعثر عليها فى كافة تلك المواقع ويمكن تصنيفها الى الأقسام التالية :

(أ) المخلفات النباتية الناتجة من المحاصيل الزراعية التى قام الانسان بزراعتها وبصفة خاصة القمح والشعير وبعض البقول والخضر • ويتصل بتلك المخلفات الصناعات الزراعية ومخلفات الحيـاة الحيوانية المستأنسة والمتصلة بالحياة الزراعية باعتبارها قوى معاونة فى عملية الانتاج الزراعى •

ومن أهم المخلفات الأثرية فى هذا المجال المناجل والأجران والأوانى الفخارية والسلال وبعض الآثار من الكتان والبردى وغيرها من مخلفات الحياة الإنسانية المستقرة الأولى (انظر الأشكال من ٤ إلى ٧) •

(ب) مخلفات المساكن الدنيوية والمساكن الأخروية (المقابر) والمساكن الخاصة بالآلهة (المعـابد) وقد عثر على بعض بقايا تلك الآثار المعمارية الأولى ، (انظر شكل ٨ وشكل ٩) ويتضح منهما مدى ملاحظة الانســان للامكانيات البيئية وخصائصها وعلى رأسها مادة الطين وقدرته على تشكيلها ليس فقط على شكل أوانى مخازن مختلفة ومتعددة الوظائف بل أيضا فى تشكيل الكتل الطينية من أجل بناء الحوائط اللازمة لمساكنه الأولى • ويلاحظ وجود بعض قش القمح أو الشعير فى ثنايا تلك الكتل مما يساعد على تماسكها العضوى وتحملها الى حد كبير فى استمرار بقائها فترة زمنية طويلة وأن الاضافة الحضارية الهامة فى العصر الحجرى الحديث لا تقتصر على النتاج

المادى الثرى فى مختلف مجالات الصناعات الحجرية والفخـارية والكتانية والبردية وغيرها بل تتجسم فى المجال الفكرى حيث حاول الانسان الاستقرار فى هذا النطاق وتوصل الى الاعتقاد فى القوى الخفية الخالقة للحيـــاة الانسانية والحيوانية والنباتية وغيرها والتى اتجه حسب تصوره الانسانى الى التعبير عنها بما أسماه بآلهه الانتاج أو الخصوبة أو الأمومة وقـد عثر علماء الآثار على نماذج من أشكال آلهه الأمومة فى مجتمعات تلك المرحلة • وقد اقتصرت طاقات تلك المجتمعات من الناحية المادية على استخدام الحجر والطين والخشب والعاج وغيرها من المواد الطبيعية ولم يصل الى استخدام أو اكتشاف معدن النحاس باستثناء مجتمعات العصر الحجرى الحديث فى الهضبة الايرانية حيث تمكن الانسان فيها من التوصل الى معدن النحاس وتصنيفه ويرجع ذلك الى توفره فى البيئة الايرانية مما ساعد على التمكن من اكتشـــافه •

وهذه الخلفية الحضارية الضخمة التى نجح انسان منطقة الشرق الأدنى القديم فى صنعها كان من الطبيعى أن تخرج عن نطاقها المحلى وتتصـل بالعالم الخارجى عن طريق المنافذ الطبيعية الكائنة فى المنطقة والتى تحقق عملية الاتصال الاقتصادى والحضارى بين مواقع الشرق الأدنى القـديم من ناحية وأرجاء العالم القديم المجاور من ناحية أخرى • وهنا يتضـح الدور الاقتصادى والحضارى الكبير الذى قام به انسان اقليم عمان باعتبار هذا الاقليم بمثابة نافذة خارجية يطل فيها انســان الشرق القديم تجـاه العالم الخارجى • وقبل التعرف على هذا الدور الحضارى الهام الذى نجح انسان عمان القديم فى تحقيقه وكذلك الظروف الاقتصادية والحضارية المحيطة بذلك الدور تنبغى الاشارة أولا الى آثار المجتمعات المستقرة الاولى فى عمان والتى تعتبر الى حد كبير بوادر نشأة القرى وبداية الزراعة والاستقرار أو بالأحرى العصر الحجرى الحديث فى اقليم عمان •

العصر الحجرى الحديث فى عمان :

لايزال البحث التنقيبى عن آثار هذه المرحلة فى التاريخ الإنسانى جاريا على أمل العثور على المحطات الحضارية التى تتضح فيها مواقع القرى الأولى التى نشأت على أثر اكتشاف الحياة الزراعية المستقرة ، ولاتزال الصورة الناتجة عن آثار هذه المرحلة فى حاجة ماسة الى الدعم بالأدلة الأثرية المباشرة والدالة على الحياة الزراعية المستقرة ، ولكن هناك بعض المخلفات الأثرية التى قد تساعد فى القول بامكانية التوصل الى تلك المرحلة فى عمان وذلك بناء على التطور فى التقنية الصناعية • وتلك الأدلة الأثرية تتمثل فى عدد من الأدوات الحجرية النصلية التى تعتبر بمثابة تطور مباشر لصناعة الشظايا والأدوات الحجرية السابقة عليها • فالأدوات النصلية ورؤوس السهام والأدوات الحجرية الدقيقة المعروفة باسم الأدوات الميكروليثية تعبر عن مرحلة من التطور الصناعى المتصل بالحياة المستقرة • وقد قام العلماء بتحديد عدد من تلك المواقع التى اعتبروها منتمية الى العصر الحجرى الحديث أو بالأحرى العصر النيوليتى وهى مواقع : قبور جُهال Qubur Juhhal وعمله Amlah و Al-Mays ومسكين Miskin و Ad Dariz و Wihi Amurr وقرن كبش Qarn Kabsh (انظر الأشكال ١٠ ، ١١ ، ١٢) • وقد عثر فيها على عدد من الأدوات الحجرية ، وهى أدوات نصلية مصنوعة من حجر الظران وكذلك بعض الشظايا والأسلحة المستخدمة فى مختلف الوظائف ، وتحمل هذه الأدوات الحجرية مختلف جهود التشظية والتهذيب المتطور الذى يعتبر من الناحية التقنية منتميا الى العصر الحجرى الحديث ، وقد قام بعض العلماء بمقارنة هذه الآثار بنظائرها فى مناطق الربع الخالى وكذلك قطر • ومن الاهمية أيضا الاشارة الى بعض رؤوس السهام التى تنتمى الى تلك المرحلة وكذلك الى بعض المكاشط مختلفة الأحجام • وفيما يلى بعض رسوم تلك الأدوات الحجرية العمانية (انظر شكل رقم ٤) ويصعب التحديد الزمنى الدقيق بالنسبة للعصر الحجرى الحديث فى عمان فى الوقت الحاضر نظرا لأن ذلك يتطلب المزيد من المادة الأثرية المتنوعة وخاصة المواد العضوية التى يمكن تأريخها بوسائل التقويم الزمنى

المباشرة كطريقة الكربون المشـــع ك ١٤ ولذلك يميل الباحثـــون فى الوقت الحاضر الى عدم تحديدها على أساس امكانية تحقيق ذلك مستقبلا • ورغم ذلك فقد تمكن انسان عمان القديم من البروز فى مجال التطور الحضارى فى تصنيع معدن النحاس الذى يعتبر عاملا مميزا فى المرحلة الحضارية التالية من عصور ما قبل التاريخ وهو عصر الحجر والنحاس •

عصر الحجر والنحاس فى الشرق الأدنى القديم :

نجح انسان منطقة الشرق الأدنى القديم فى التوصل الى اكتشاف طاقة صناعية جديدة فى مجال التطور الحضارى وهى اكتشاف معدن النحاس والقيـــام بتصنيعه وتشكيله من أجل صنع أدوات نحاسية دقيقة تؤدى بعض الوظائف والأغراض التى لا تستطيع المواد الأخرى الحجرية أو العظمية أو الخشبية أو العاجية تحقيقها وتنبغى الاشـــارة فى هذا المجال الى أن الانسان فى الهضبة الايرانية وكذلك فى منطقة عمان بالذات قد نجح فى أولوية اكتشاف هذا المعدن واستغلاله وتشكيله وتصديره ، وقد ثبت نجاح إنسان حضارة سيالك فى ايران وهى تلك الحضـــارة المنتمية الى العصر الحجرى الحديث فى استخدام هذا المعدن قبل غيره من حضارات منطقة الشرق الأدنى القديم ويمكن القول أن توفر هذا المعـــدن قد ساعد فى أسبقية انسان ايران فى التعرف عليه واستغلاله فى مختلف مجالات الصناعة ثم سرعان ما اكتشفت الحضارات الأخرى فى منطقة الشرق الأدنى القديم تلك الطاقة المعدنية الهامة وبادرت باضافتها الى مختلف الامكانيات الأخرى وذلك حوالى منتصف الألف الخامس قبل الميلاد وعلى سبيل المثال يتضح ذلك فى حضارة تل حلف عند رافد الخابور فى شمال غربى بلاد الرافدين ، وكذلك فى حضارة البدارى جنوب شرقى أسيوط فى مصر الوسطى بوادى النيل الأدنى وأيضا المواقع المعاصرة فى كل من العمق بسوريا وجبيل فى لبنان وتل السلطان فى فلسطين وغيرها • ويصعب التحقق من مشكلة توصل تلك الحضارات الى استخدام معدن النحاس من المنـــاجم المحلية فى مختلف تلك المواقع أو عن طريق استيرادها من المناطق التى تتوفر فيها فى الهضبة الايرانية مثلا أو

منطقة عمان أو شبه جزيرة سيناء أو غيرها وينبغى ضرورة العثور على محطات حضارية فى الطرق المؤدية الى مواقع تلك المناجم من أجل التثبت من الحصول عليها ثم تصـــديرها الى المواقع الخارجية ، وقد ساعد الحصول على هذا المعدن فى تطوير العديد من الأدوات الصناعية وبصفة خاصـــة الأزامل والمكاشط وأيضا صناعة الأدوات الدقيقة كالإبر والدبابيس والتى عثر على نماذج منها منتمية الى تلك المرحلة • كما أن الحياة الحضارية فى الشرق الأدنى القديم فى ذلك العصر حوالى منتصف الألف الخامس قبل الميلاد قد تطورت كثيرا فى مختلف المجالات المادية والفكرية ويتضح ذلك فى صناعات الأوانى الفخارية التى بدأت تنتقل من مجال الناحية الوظيفية البحتة كمواد تستخدم لتخزين مختلف الحبوب والبقول والسوائل وغيرها الى مجال الناحية الكمالية المتصلة بنواحى التعبير الفنى ، ظهرت الأوانى الفخارية المصقولة والمزخرفة بأشكال هندسية وتعبيرية وأيضـــا الأوانى الملونة وكذلك تطورت مختلف الصناعات الخشبية والعظمية والعاجية وعلى سبيل المثال ظهرت صناعة الملاعق وغيرها من الأدوات الكمالية فى حضارة البدارى المنتمية الى عصر الحجر والنحاس فى مصر • كذلك تطورت العمارة فى هذا العصر تطورا ملحوظا ، فتتمثل عمارة المنازل باستخدام الآجر على الأسس الحجرية ويلمس المؤرخ ذلك فى حضارة تليلة الغسول فى الأردن كما زينت الحيطان الطينية بتلك المنازل بالرسوم الملونة أما فيما يتعلق بالجانب الفكرى فقد تطور تفكير الانسان فى هذا المجال تطورا كبيرا حيث تأكدت عقيدة الخـــلود واستمرار الحياة الى ما لانهاية فى العالم الآخر كما يتضح ذلك فى حضارة البدارى فى مصر التى لم يقتصر فيها ذلك الاعتقاد على الانسان بل شمل الحيوان ، حيث عثر على منازل أبدية أى مقابر تؤكد ذلك الاعتقاد وكذلك استخدمت بعض الأوانى الفخارية فى الحضارة الغسولية فى الأردن لحفظ عظام الموتى ، هذا بالاضافة الى العثور على آثار المعابد التى تمثل منازل خاصة بالآلهه فى العديد من حضارات تلك المرحلة فى الشرق الأدنى القديم • والواقع أن تلك المرحلة الحضارية الهامة قد شملت كافة جوانب الحضارة الانسانية مما يدفع المؤرخ الى اعتبارها مرحلة حضارية متفوقة فى تاريخ

الانسانية ساعدت فى النقلة الحضارية الى المرحلة الأخيرة من عصور ما قبل التاريخ وهى عصور ما قبل الاسرات فى الشرق الأدنى القديم .

عصر الحجر والنحاس فى عمان :

أما بالنسبة لهذا العصر فى منطقة عمان القديمة فيعتبر معدن النحاس وتوفره فى تلك المنطقة عنصرا طبيعيا وحضاريا هاما للغاية فى تاريخ التراث الحضارى العمانى القديم لأن هذا المعدن قد ثبت أثريا توفره فى العصور القديمة على نطاق واسع فى هـذه المنطقة ، فقـد قامت بعض البعثـات الاثرية[1] بالبحث عن هذا المعدن فى عمان وتمكنت من العثور على العديد من المواقع الأثرية الدالة على توفر هذا المعدن فى العصور القديمة (انظر شكل ١٣ ، وخريطة رقم ١) وأيضا القيام بتصنيعه فى مختلف الوظائف . وقد عكف الأثريون منذ العثور على الوثائق السومرية والاكدية التى أشارت الى اقليم ماجان باعتباره موردا لاستخراج معدن النحاس وتصديره الى البحث عن مكان أرض ماجان ، وقـد اختلفت الآراء فى هذا الصـدد ولكن البعثات الأثرية التى قامت بالتنقيب فى أرض عمان نجحت فى العثور على عدد من المناجم القديمة وكذلك أماكن أفران الصهر والتصنيع القديمة التى قد أكدت أن أرض عمان هى اقليم ماجان الذى أشارت اليه النصوص السومرية ، فقد أشـارات الملحمة السومرية المعروفة باسم « جلجامش وأرض الحياة » فى بعض فقراتها الى سفن ماجان مما يؤكد توفر أسلوب النقل البحرى لهذا الاقليم مما يسـاعد على تيسير وسائل الاتصال بينه وبين العـالم الخارجى فى منطقة الخليج ، كما ذكرت النصوص الأكدية أن نارام سن قد اتجه الى أرض ماجان وأسر ملكها مانو ـ دانو ، وكذلك يشير سرجون الأكدى فى نصوصه الى أن سفنا وافدة من ماجان كانت ترسو فى أكد مما يدل على وجود اتصال مستمر بين عمان القديمة وجنوب بلاد الرافدين .

وقد أشارت النصوص السومرية الى أرض ماجان وحكامها وعلى سبيل

---

(1) Weisgerber, G., «... und Kupfer in Oman», Der Anschnitt Zeitschrift fur Kunst und Kultur im Bergban, 1980, p. 62 ff.

المثال تشـــير هذه النصوص الخاصة بالملك اورنانمو الى احدى سفن الاله ننـــا واسمها مركب ماجان وأيضا فى نص سومرى يتعلق بتدمير أرض سومر ومدينة أور يشير إلى غاب وخيزران أرض ماجان المقدس[١] .

ويشير النص السومرى الخاص بأسطورة الفردوس والمعروف باسم انكى وننهور ساج الذى ذكر فى الفقرة رقم (٢٧٠) : « ... ليكن نينتولا سيد ماجان » وقد تصور س . ن . كريمر أن أرض ماجان يمكن التعرف عليها اما فى أرض شبه الجزيرة العربية أو مصر . والواقع أن هذا التحديد غير دقيق لانه كما سيتضح فى هذا المجال يغلب فعلا أن أرض ماجان هى أرض عمان القديمة[٢] .

وفى نص سومرى آخر عنوانه جلجامش وأرض الأحياء تشير الفقرة رقم (١١٠) الى احدى سفن ماجان مما يؤكد وجود نشاط بحرى لأهل ماجان . أما فى مجال النصوص الأكدية فيشير النص الخاص بقائمة الملك سرجون الأكدى الى أن ابن الملك نارام سن قد اتجه بقوته العسكرية ضد أرض ماجان وأسر شخصيا الملك مانو دانو ملك ماجان ، وقد اتجه بعض العلماء الى تصور أن هذا الملك الماجانى يمكن اعتباره مرادفا للملك « مينا » أول ملوك الاسرة الأولى فى مصر حسب قائمة مانيتو[٣] ولكن هـــذا الرأى بعيد عن الواقع التاريخى لاختلاف الظروف التاريخية اختلافا جذريا بين الشخصيتين . وتشير وثائق تاريخية أكدية أخرى الى سفن وافدة من ماجان لترسو عند أرصفة أكد[٤] . وهذا يؤكد مرة أخرى استمرار العلاقات الاقتصادية والحضارية بين الدولة الأكدية ومنطقة ماجان . كما تشير أيضا النصوص البابلية والآشورية فى فقرات متعددة الى أرض ماجان مما يؤكد اعتبارها من المعالم المعروفة آنذاك ولكن حدث لبس عند بعض الباحثين خاصة بالنسبة

---

(١) Pritchard, J. B., Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Tastament, Princeton, 1969, p. 611.

(٢) Ibid., p. 41.

(٣) Ibid., p. 266.

(٤) Ibid., p. 268.

للنصوص الآشورية ، فقد تصور بعضهم أن الملك آشور بانبيال قد اتجه بجيشه الى كل من ماجان وملوخا وتصـــوروا أن هذا النص يقصد بهما كل من مصر وأثيوبيا وهذا تفسير بعيد عن الواقع[١] ، ومن النصوص الأشورية أيضا التى أشارت الى أرض ماجان نصوص الملك اسرحدون[٢] • ويشير أيضا آشور بانيبال فى نصوصه الى نوع من خشب الأبنوس وخشب مس المستورد من أرض ماجان لمختلف الصناعات[٣] •

وعلى الرغم من كون تلك النصوص تشير الى أرض ماجان القديمة وتعود الى النصف الثانى من الألف الثالث قبل الميلاد والألفين الثانى والأول ق • م الا انها تعود الى المراحل المبكرة التى تؤرخ بعصـــور ما قبـــل الأسرات بل الى عصر الحجر والنحاس حيث اكتشف معدن النحاس فى هذا الاقليم وبدأ تسويقه فى المناطق المحيطة • وقد ثبت ذلك بالادلة الأثرية التى اتجه الى الكشف عنها العديد من علماء الآثار ، فقد كشفت تلك البعثات على الاقل على أربعة وأربعين موقعا أثريا لمراكز التعدين القديمة فى عمان ، ومن أهم هذه المراكز لسيل ، وسمادة ، وســـمار وعرجا ، ووادى بنى عمر الغربى ، وغيرها • وقد تعرف العلماء على مواقع المناجم القديمة للنحاس وكذلك مواقع تصنيعه من العثور على بقايا الفضلات المختلفة من عملية الصهر فى تلك المواقع • ويلاحظ ان الوقود الذى كان يستخدم لهذا الغرض فى ذلك الوقت وهو المواد الفحمية بصفة خاصة كان يجلب الى هذه المراكز ، ويلاحظ أن كمية فضلات التصنيع القديمة كبيرة للغاية فهى تبلغ عدة أطنـــان فى موقع لسيل على سبيل المثال •

وقد لاحظ علماء الآثار أن النشاط الخاص بعمليات التعدين كان منحصرا فى بعض الحفر الصغيرة ذات الشكل الدائرى وقد حاول العلماء البحث عن

---

(١) Ibid., p. 294.

(٢) Ibid., p. 296.

(٣) Ibid., p. 317. no. 3.

الزمن الذى تنتمى اليه مواقع مناجم النحاس القديمة وتتجه Karen Frifelt الممثلة لمتحف الدانيمارك الى أن تاريخ هذه المناجم هو حوالى سنة ٢٥٠٠ ق٠م وقد طبق بعض العلماء طريقة الكربون المشع على بعض قطع صغيرة من الفحم وجدت بين فضلات المناجم • وقد عثر على بعض الآذان التى تستخدم فى تصنيع معدن النحاس وتقع هذه الأفران بجوار سفوح الهضاب وقد عثر على بقاياها ، وبالاضافة الى معدن النحاس هناك أيضا مواد أخرى مثل الملاخيت والفيروز وقد أمكن ملاحظتها بسهولة وبالتالى فصلها عن معدن النحاس • ومن ناحية أخرى يلاحظ أن مواقع صهر النحاس قد وجدت بجوار مصادر المياه ، كما يلاحظ أيضا وجود بعض المقابر بجوار تلك المواقع • (انظر شكل رقم ١٤) ومن ناحية أخرى عثر على عدد من القباب المنحوتة من الصخر فى نفس الموقع ، وقد وجهت بحيث تتواجد فى أماكن يمكن الاشراف منها على منطقة العمل ، وعلى ذلك يمكن اعتبار تلك القباب كمراكز مراقبة لعمليات البحث عن النحاس والتصنيع ، وكذلك لوحظ وجود مبان مكونة من طبقتين توجد على الجانب الشمالى الغربى لتلك العمائر يمكن اعتبارها قريبة الشبه بالزقورات العراقية القديمة المنتمية الى الألف الثالث قبل الميلاد • ويوجد أيضا فى نفس المنطقة بناء أثرى يبلغ قطره حوالى عشرين مترا يمكن اعتباره نوعا من صهاريج المياه المفتوحة • وتشير الدراسات الأثرية الخاصة بالبحث عن أماكن استخراج وتصنيع معدن النحاس القديم فى عمان الى مكان يعرف باسم جبل المعدن الى الداخل من سمار ويلاحظ أن مخلفات هذا المعدن لم تتضمن خام النيكل بوجه عام ، ولكن تضمنت نسبة محدودة من النحاس ، وهذا الموقع الاخير يمكن تحديده بقرية ميدان فى وادى Ahin • ويتساءل العلماء عن موضوع التصنيع المبكر لمعدن النحاس وضرورة توفر طاقات الحرارة اللازمة لتحقيق ذلك التصنيع وضرورة البحث عن مواقع الفحم أو غيره من المواد التى توفر تلك الطاقة وذلك يستوجب المزيد من التنقيب الأثرى •

تدل هذه الشواهد المتأخرة زمنيا على توفر معدن النحاس فى أرض

ماجان واستمرار التداول فى تجارته مع الأقاليم الأخرى المجاورة • وتنبغى الاشارة الى أن العناصر السومرية التى وفدت الى جنوب بلاد الرافدين والتى بدأت فى الانتقال بحضارة المجتمع هناك الى مرحلة عصور ما قبل الاسرات يغلب وفودها عن طريق الخليج من أماكنها الأصلية فى منطقة وادى السند ، ولا شك أن استخدام الطريق البحرى قد أتاح للعناصر السومرية التعرف على الامكانيات المختلفة لدى المناطق التى تمر بها ولا شك أن توفر معدن النحاس فى اقليم عمان القديم قد علم به السومريون واستمروا على تعاملهم مع أرض ماجان منذ ذلك الوقت وخلال العصر التاريخى ورغم توفر هذا المعدن فى الهضبة الايرانية المتاخمة لبلاد الرافدين فإن الطريق البحرى المباشر عبر الخليج الى جنوب بلاد الرافدين يمكن اعتباره طريقا مفتوحا أمام العناصر السومرية والأكدية وأكثر يسرا من الهضاب الايرانية المتاخمة • ومن الأهمية أيضا القول بأن هذه الصلات البحرية المبكرة قد مهدت الطريق الى توسيع دائرة الصلات الاقتصادية والحضارية فى المراحل التاريخية التالية ابتداء من عصور ما قبل الاسرات أى أثناء عصور حضارات العبيد والوركاء وجمدة نصر وخلال الألف الثالث ق•م ، ومن المؤكد أن المزيد من عمليات التنقيب الأثرى فى أرض عمان ستكشف عن المزيد من الحقائق الخاصة بهذه المرحلة الحضارية الهامة ، ومن حق المؤرخ الاعتماد على الأدلة الأثرية التالية من الناحية الزمنية لاستنباط بعض شواهد وحقائق تاريخية مبكرة لحد كبير ، وهذه الظاهرة تنطبق على هذا العصر فى تاريخ عمان القديم والشواهد الأثرية تنتمى غالبيتها الى مراحل حضارية تالية ولكنها تشهد بالقدرات المبكرة والدالة على الانتماء الى حضارة عصر الحجر والنحاس وذلك الى حين الكشف عن أدلة أثرية معاصرة لتلك المرحلة خلال منتصف الألف الخامس قبل الميلاد ، وأما بالنسبة للمرحلة الحضارية التالية فهى ما يسمى بعصور ما قبل الأسرات أو عصور ما قبيل الكتابة وهى المرحلة الحضارية الهامة السابقة للعصر التاريخى والتى تخللت فترة الألف الرابع قبل الميلاد والتى مهدت الى الانتقال الى بداية عصر انشاء المدن والتوصل الى اختراع الكتابة والحياة السياسية والاقتصادية المستقرة تماما •

عصور ما قبل الأسرات فى منطقة الشرق الأدنى القديم :

وقبل التعرض الى عصور ما قبل الأسرات ، وما قبل الكتابة فى عمان القديمة يلزم التعرض لمنطقة الشرق الأدنى القديم بحكم الاتصال الوثيق الاقليمى والاقتصادى والحضارى بين كافة أرجاء المنطقة متضمنة أرض عمان •

يتجه المؤرخ فى التعرف على هذه المرحلة الحضارية الهامة الى العديد من نتائج التنقيبات الأثرية فى كافة أرجاء منطقة الشرق الأدنى القديم الممثلة لتلك المرحلة ، ومن هذه المواقع الأثرية الرئيسية مواقع تل العبيد والوركاء وجمدة نصر وأور فى بلاد الرافدين ، ومواقع العمق وحماة وبيبلوس (جبيل) وأيضا تل السلطان وغيرها فى منطقة بلاد الشام القديمة ومواقع العمرة وجرزة والمعادى ونقادة وغيرها فى مصر وأيضا مواقع أم النار والبريمى فى دولة الامارات العربية ومواقع تاروت فى شرقى الجزيرة العربية ، وكذلك فى مواقع قطر والبحرين وأيضا فى سوسة فى عيلام غربى ايران وغيرها •

وفى المجال المادى تطورت مختلف جوانب الانتاج المعمارى والصناعى والفنى فى كافة مجالات الصناعات الحجرية والفخارية والنحاسية والعظمية والعاجية والخشبية تطورا ملموسا وصل الى درجة عالية من الاتقان الفنى وخاصة بعد أن استكمل الانسان احتياجاته الاساسية وبدأ فى مجال استيفاء بعض الكماليات مما أدى به الى التعبير عن كافة مشاعره ونشاطاته بمختلف الزخارف والنقوش ، وفى المجال المعنوى أيضا تطورت عقائده تطورا ملموسا، فبالنسبة لعقيدة استمرار الحياة فى العالم الآخر ازداد ايمان الانسان المصرى القديم بعقيدة الخلود وتطورت الأبنية السفلية للمقابر وازدادت كمية الآثار المؤكدة لعقيدة الخلود فيها فى مخازنها • أما فى بلاد الرافدين فقد تركزت العقيدة فى الاهتمام الواضح بمنازل الآلهة أى بالمعابد حيث بنيت الزقورات التى اعتبرت بمثابة المركز الذى تحيط به كافة أنشطة المدن

السومرية فى المجالات الاقتصادية والحضارية وكذلك بدأت بوادر اختراع الكتابة الصورية ببعض الرسوم الأولية للصور الهيروغليفية فى مصر والصور السومرية فى جنوب بلاد الرافدين ، كما ظهرت بوادر تكوين المجتمع فى نطاق حكومات المدن فى جنوب بلاد الرافدين مما ساعد على الانتقال بالمجتمع الى بداية الاستقرار من الناحية السياسية • وهناك عنصر اقتصادى وحضارى هام للغاية ويرتبط ارتباطا مباشرا بمنطقة عمان القديمة ، هذا العنصر هو ظاهرة الاتصالات الاقتصادية والحضارية الخارجية وقد نشط فى تحقيق تلك الظاهرة بصفة خاصة العنصر السومرى فى جنوب بلاد الرافدين والعنصر المصرى القديم فى وادى النيل الأدنى ، والعناصر القاطنة فى وادى السند فى تلك الفترة • والواقع أن التجربة الحضارية الانسانية المحلية لها اعتبارها الأول فى التكوين الحضارى ولكن اتساع مجال تلك التجربة الى خارج المراكز المحلية عن طريق الاتصال بالحضارات والتجارب الأخرى المحيطة كفيل باحداث تطوير جذرى فى الحضارة والانتقال بها الى مجالات تطورية دفعتها نحو العصر التاريخى وبدأ تطبيق هذه الظاهرة على أيدى العناصر السومرية التى سبق لها الوفود الى بلاد الرافدين بالخروج أساسا من منطقة وادى السند مستخدمة الطريق البحرى نحو جنوب بلاد الرافدين مارة بمناطق عمان وسواحل وجزر منطقة الخليج وبصفة خاصة البحرين وخيلكة الى أن استقرت فى جنوب بلاد الرافدين أثناء بداية عصور ما قبل الأسرات أى خلال الألف الرابع قبل الميلاد • وعلى ذلك فالخبرة السومرية فى مجال الرحلات البحرية الخارجية خبرة طويلة الأمد وكان من الطبيعى أن يستمر السومريون فى الاستمرار فى نشاطهم البحرى أثناء عصور ما قبل الأسرات وخلال العصر التاريخى وقد ثبت أثريا وصول تلك الرحلات السومرية الى كل من وادى النيل الأدنى فى مصر ووادى السند فى شمال غرب الهند بواسطة الطريق البحرى ، فقد عثر على بعض النقوش والرسوم لسفن سومرية الطابع على بعض الآثار المصرية مثل اليد العاجية لسكين جبل العركى والمحفوظة حاليا فى متحف اللوفر فى باريس وأيضا على حيطان مقبرة الكوم الأحمر فى مصر العليا وأيضا على بعض الرسوم على صخور

الصحراء الشرقية فى مصر وكذلك على بعض النقوش وأساليب التعبير الفنى السومرى الأصل كظاهرة الحيوانات المتشابكة فى بعض اللوحات المصرية وظاهرة التنوءات المنتظمة فى العمارة المصرية والتى استمرت حتى الأسرة الثالثة المصرية القديمة ، والتى ثبت أنها ترجع فى أصولها الى الأصول السومرية فى حضارة العبيد وكون هذه الآثار السومرية الأصل قد وفدت الى مصر عن الطريق البحرى ووجود صور السفن السومرية الطابع يؤكد استخدام الطريق البحرى عبر الخليج وسواحل عمان ثم السواحل المتاخمة لجنوب الجزيرة العربية واليمن والبحر الاحمر حتى موقع القصير ووادى الحمامات فى مصر وكانت السمة الاقتصادية والحضارية المسالمة هى السمة الرئيسية الغالبة على هذه الصلات السومرية المصرية القديمة ، وهناك اتجاه فى الرأى الى امكانية استخدام الطريق البحرى الصحراوى بين بلاد الرافدين والبحر الاحمر وامكانية اعتبار موقع وادى شرمة فى أرض مدين فى شمال غربى الجزيرة العربية كحلقة اتصال بين الحضارة السومرية والحضارة المصرية التى امتدت فى نشاطها الى شبه جزيرة سيناء وخليج العقبة ومنه الى المواقع المصرية فى وادى النيل الأدنى ولكن الطريق البحرى فى الاتصال بين الحضارتين السومرية والمصرية كان هو الطريق الأساسى بحكم نشاط السومريين فى النشاط البحرى بصفة خاصة وقدرتهم فى ارتياد البحار والملاحة البحرية منذ عصور ما قبل الأسرات • ومن ناحية أخرى كانت هناك صلات اقتصادية وحضارية أيضا بين المواقع السومرية والمواقع الحضارية فى وادى السند وبصفة خاصة حارابا وموهنجد أرو وبامبور وغيرها وكانت أيضا هناك صلات تجارية برية بين مصر من ناحية وفلسطين من ناحية أخرى وقد ثبت بالأدلة الأثرية خروج الانسان المصرى القديم عن دائرته المحلية الى نطاق العالم الخارجى لتسويق اقتصادياته والاطلاع على التجارب الحضارية الخارجية من ناحية أخرى ، هذا بالاضافة الى نشاطه الاقتصادى والحضارى أيضا فى بلاد النوبة جنوب مصر فى ذلك الوقت ، بل ان هناك من العلماء من يتابع ذلك النشاط الخارجى فى مجال الصحراء الافريقية الكبرى والصلات المبكرة بينها وبين وادى النيل الأدنى ، والواقع أن السمة الرئيسية

فى مجال النشاط الاقتصادى والحضارى فى عصور ما قبل الأسرات كان فعلا سمة الصلات الاقتصادية والحضارية الخارجية والتى سبقت الاشارة الى بعض نماذج مبسطة منها ، ولم تكن مهمة تحقيق تلك الصلات الاقتصادية بالمهمة السهلة ، وكان من الطبيعى ضرورة وجود حلقات متوسطة تؤدى دور الوسيط بين الأطراف المتصلة أو دور المحطات المتوسطة التى تحقق وتيسر عمليات الاتصالات الحضارية والاقتصادية البعيـدة المدى وهنا يأتى دور منطقة اقليم عمان القديم الذى يمكن اعتباره كمحطة حضارية هامة تؤدى دور الوسيط الاقتصادى والحضارى بين كافة أرجاء منطقة الشرق الأدنى القديم (انظر شكل رقم ٢٥) ويوضح الرسم المرفق طبيعة هذا الدور الحضارى الهام •

عمان فى عصور ما قبل الأسرات :

لا يزال البحث الأثرى جاريا فيما يتعلق بهذه الفترة الحضارية الهامة فى عصور ما قبل التاريخ فى عمان ، وتدل الشواهد الأثرية حتى الآن حسب ما كشف عنه فعلا على العثور على عصر ما قبل الأسرات الأخير فى بعض المواقع الاثرية العمانية أو بصفة خاصة موقع بات ، ولكن مما لا شك فيه أن إمكانية البحث عن عصر ما قبـل الأسرات الأول وعصر ما قبـل الأسرات الأوسط لايزال قائما وذلك لأن عصر ما قبل الأسرات الأخير يتطلب وجوده المراحل الحضارية الممهـدة له التى تشمل المرحلتين الأخيرتين وهمـا عصر ما قبل الأسرات الاول وعصر ما قبل الأسرات الاوسط • وقد قام بالحفر فى موقع بات بعثة دانمركية[1] وقد عثر على الموقع الخاص بمقابر تلك القرية ، ويلاحظ وجود الفخار فى تلك المقابر مما يؤكد وجود نوع من الاعتقاد لدى الانسان العمانى القديم فى تلك الفترة باستمرار الحياة فى العالم الآخر ، وقد لاحظ العلماء وجود علاقة حضارية بين حضارة بات وحضارة أم النار

(١) Frifelt, K., «Euidence of the Third Millennium B. C. Town in Oman», In The Journal of Oman Studies, vol. 2 (1976). pp. 57-73.

الى الشمال الغربى منها فى دولة الامارات العربية بجوار أبو ظبى وكذلك حضارة هيلى عند واحة البريمى والتى يعتقد أنها تنتمى من الناحية الحضارية الى عصر حضارة جمدة نصر والذى يمتد من الناحية الزمنية من حوالى ٣٤٠٠ إلى ٢٨٠٠ ق٠م أى قرب نهاية الألف الرابع وبداية الألف الثالث قبل الميلاد ٠ وتتضمن هذه الجبانة فى موقع بات حوالى مائة مقبرة مبنية من الحجر ويتضح بها تطور عمارة المقابر من المقابر البسيطة التى على شكل خلية النحل الى المقابر المتطورة ٠ أما موقع قرية بات القديمة فتقع حوالى كيلو متر واحد جنوب شرق الجبانة ، وتتوفر المياه العذبة بجوار القريه فى شكل آبار هذا بالاضافة الى مياه الأمطار مما ساعد على توفر الحياة الزراعية واستخدام نظام الأفلاج فى حفظ المياه ٠ والواقع أن قرية بات تعتبر نموذجا جيدا للتل الأثرى الممثل لقرية كاملة (انظر أشكال رقم ١٥ — ١٩) وقد عثر على نماذج من الفخار الذى أرخ ببداية الألف الثالث قبل الميلاد فى بعض الطبقات السطحية مما ساعد على تأريخ هذا الموقع ٠ وقد ركز البحث الأثرى بصفة خاصة على منطقة الجبانة فى هذا الموقع وقد تميز جزؤها الجنوبى بأنه على نمط مماثل لمقابر موقع أم النار فى أبى ظبى والذى تميز بوجود نظام الحوائط الداخلية فى عمارته ، أما المقابر التى على شكل خلية النحل فى الجزء الشمالى من الجبانة فهى على نمط مقابر موقع هافيت والتى تضمنت فخارا مماثلا لفخار عصر حضارة جمدة نصر ومن الأهمية الاشارة أن بعض الشقف القليلة التى وجدت فى مقابر موقع بات تتفق مع هذا النمط المشار اليه ، وتحوى الجبانة حوالى مائة مقبرة مبنية كلها من الحجر المحلى ويتضح فيها التطور المعمارى من عمارة المقابر التى على شكل خلية النحل الى المقابر الاكثر تطورا التى تعرف باسم مقابر حضارة أم النار ٠ هذا بالاضافة الى عدد من المقابر التى تنتمى الى الألف الثالث ق٠م وتقدر بحوالى مائتى مقبرة على المنحدرات الأرضية القريبة ٠ ويلاحظ أن المقابر التى على شكل خلية النحل تشمل دفنتين أو أكثر وتصل الى خمس دفنات لكن المقابر التى على نمط موقع أم النار هى مقابر جماعية ، تضم أحيانا حوالى ثلاثين فردا ٠ ونظرا للأهمية البالغة لدور حضارة أم النار

الكائنة فى الجانب الغربى لشبه جزيرة عمان بجوار مدينة أبو ظبى وباعتبار حضارة بات وغيرها من المواقع الاخرى العمانية المتوسطة والمتصلة حضاريا بحضارة أم النار فإن التحقق الدقيق لحضارات ما قبل الأسرات الأخيرة فى عمان يتطلب ضرورة بحث ما توصل اليه انسان حضارة أم النار وأيضا المناطق الأخرى الخليجية المحيطة بها • لان حضارة انسان عمان فى تلك الفترة قد تميزت بظاهرة الصلات الحضارية الخارجية المتصلة بطبيعة الحال بالنشاط الاقتصادى وتنبغى دراستها فى ضوء النشاط المحلى والنشاط الحضارى المحيط بها •

وعلى الرغم من أن حضارة أم النار (انظر شكل ٢٠) تتمثل فى موقع أم النار بالذات وهو عبارة عن جزيرة صغيرة بجوار مدينة أبو ظبى ، فإن التراث الحضارى الذى عثر عليه فى هذا الموقع فى غاية من الأهمية • ومن أهم أمثلته الحضارية ما عثر عليه فى المقابر الحجرية الدائرية فى هذا الموقع والتى يبلغ عددها حوالى خمسين مقبرة يتراوح قطر الواحدة من متر ونصف الى اثنى عشر مترا ، والمقبرة الصغيرة الحجم تكون لفرد واحد أما المقابر الكبيرة فهى مقابر جماعية ، ويلاحظ أن المقبرة الدائرية قد تميزت بوجود مجموعة من الحوائط الداخلية التى تعمل كدعائم للسقف وأيضا كحيطان تقسم المقبرة الى عدد من الحجرات ، ويلاحظ وجود الحائط الدائرى الخارجى وقد بنى من عدد من الكتل الحجرية مع ملاحظة وجود مدخل شمالى ومدخل جنوبى للمقبرة ويلاحظ أيضا وجود بعض النقوش وخاصة النقوش الحيوانية فى تلك المداخل • وداخل المقبرة عثر على عدد من الأوانى الفخارية التى تميزت بلونها الأحمر ورسومها الهندسية وقد تعددت أحجام الأوانى الفخارية وأشكالها • هذا بالاضافة الى بعض الأوانى الرمادية والتى تتميز بزخارفها الهندسية السوداء ، وكذا توجد بعض الأوانى الفخارية الكبيرة الحجم والتى كانت تستخدم للتخزين وهى تماثل بعض الأوانى المنتمية الى عصر جمدة نصر فى بلاد الرافدين وكذلك عصر فجر الأسرات السومرية ويوجد وجه شبه بين احداها وبين ما انتجته حضارة تبه يحى فى جنوب

شرقى ايران • وفى مجال الصناعات المعدنية عثر على بعض الخناجر ورؤوس السهام وبعض الدبابيس النحاسية والبرونزية ، ولكن المعدن الأول فى تلك الصناعات هو النحاس أما بالنسبة لقرية الاحياء فى هذا الموقع الأثرى فقد عثر على بعض منازلها المتوسطة الحجم وتصل سعة أكبر هذه المنـــازل الى ١٦ مترا عرضا وأكثر من ١٦ مترا طولا وتتضمن عددا من الحجرات • ومن الأهمية الاشارة الى العثور على انطباع خاتم اسطوانى على شقفة فخارية ويبدو أنه النموذج الوحيد الذى وجد فى حضارة أم النار وقد اتجه العلماء فى تأريخ هذا الانطباع الى حوالى المرحلة الأولى من عصر فجر الأسرات السومرية ولو أن انطباعات الاختام السومرية التى عثر عليها فى تبه يحى وموقع شهرى سخطه فى ايران تؤرخ من حـــوالى ٣٢٠٠ — الى حـــوالى ٢٨٠٠ ق•م أما فى خلال عصر حضارة جمدة نصر وبداية فجر عصر الأسرات السومرية وذلك حسب تاريخ الكربون المشع ، وقد عثر فى هـــذه الحضارة أيضا على عدد كبير من العظام الحيوانية وعظام الأسماك هذا بالاضافة الى عظام الماشية والجمال مما يؤكد أنها كانت تمثل حضـــارة قرية تجمـــع بين الحياة البرية والنشاط البحرى • ومن الاهمية الاشارة الى أن الجمل كان فعلا من الحيوانات المألوفة لدى مجتمع حضارة أم النار ، اذ عثر على عظامه بوفرة ، ويستدل من ذلك أنه كان وسيلة انتقال أساسية الى الداخل وخاصة فى عبور الطرق الصحراوية المتجهة الى موقع البوريمى على بعد حوالى ١٥٠ كيلو متر ، وقد عبر انسان تلك الحضارة عن ذلك بوسائل التعبير الفنى على أحجار المقابر •

وقبل القيام بنـــوع من الدراســـة المقارنة بين حضارة بات وحضارة أم النار والصلات الحضارية بينهما فى نطاق منطقة الخليج ككل ينبغى متابعة دراسة التركة الأثرية فى موقع بات العمانى[1] • فبالاضافة الى الجبانة التى

---

(1) Frifelt, K., «Evidence of a Third Millennium B. C. Tocun in Oman», In The Journal of Oman Studies, vol. 2 (1976), pp. 57-73.

سبقت الاشارة اليها يوجد موقع قرية الاحياء والتى تمثل قرية تعتمد فى حياتها على الانتاج الزراعى حيث يتوفر الماء العذب ، والحقيقة أن موقع بات يعتبر نموذجا جيدا للتلال الأثرية المنتمية الى عصر ما قبيل الأسرات أو عصر ما قبل الأسرات الأخيرة فى عمان • ويبلغ ارتفاعه حوالى ثمانية آمتار وتتضح فى التل حيطان حجرية أكبر حجما من تلك المستخدمة فى المقابر ، وقد عثر الأثريون على تل آخر مشابه لذلك التل ولكن أحجام الكتل الحجرية الكائنة فيه أصغر نسبيا ويقع ذلك الأخير جنوب الجبانة وقد عثر على بعض الشقف الفخارية المنتمية الى الألف الثالث ق•م منتشرة عليه ، والمبنى الرئيسى فى هذا التل كان دائرى الشكل ويتضمن بعض النتوءات أو الفجوات المنتظمة فى حائطه الخارجى • وقد بنى هذا المبنى على أساس مرتفع من الكتل الحجرية يبلغ ارتفاعه مترين وهذا الأساس كان فى الحقيقة يمثل رصيفا للجانب الجنوبى الشرقى من المبنى حيث يتواجد المدخل ، وقد عثر على مقبرة فى الجانب الغربى تتضمن هيكلا عظميا ممتدا على ظهره فى حفرة تبعد ستة أمتار من الحائط وقد عثر على عدد من الشقف الفخارية الحمراء التى يبلغ انتماؤها الى الألف الثالث ق•م ولكنها ليست على النمط التقليدى المعاصر فى تلك الفترة ، ويعتبر الجانب الشرقى من المبنى أهم جزء فيه وهو الذى سبقت الاشارة اليه ، وهو يتميز بالرصيف المعتمد على أسس قوية • أما فيما يتعلق بالأجزاء الداخلية من المبنى فقد عثر على ثلاث حجرات داخلية لم يكشف البحث فيها عن آثار ذات أهمية خاصة ، فقد عثر على بعض الشقف الفخارية وثلاثة رؤوس سهام وبعض الآثار النحاسية • ويوجد نوع من وجه الشبه بين عمارة هذا المبنى وعمارة المقابر فيما يتعلق بوجود الحيطان الدائرية الخارجية والداخلية ويلاحظ أن الجزء الداخلى قد بنى على طبقة أكثر ارتفاعا عن الجزء الخارجى • أما عن البئر الخاص بهذا المبنى فقد عثر عليه مملوءا بالأحجار المتساقطة من الأجزاء العلوية ، ويلاحظ أن الشقف الفخارية التى وجدت فيه تنتمى الى الالف الثالث ق•م • ويغلب القول أن ظاهرة عدم العثور على آثار اقامة دائمة ربما تدل على أن هذا المبنى لم يستخدم للسكن ولكن على الرغم من ذلك فقد لوحظ وجود مكان خاص باشعال النار أو بمعنى

أصح موقد فى الجانب الشمالى الغربى لاحدى حجرات هذا المبنى ، وان وجود بقايا الفحم فى هذا الموقد سوف يساعد على تأريخ هذا المبنى ويغلب أنه ينتمى الى الألف الثالث ق٠م ولا تعرف وظيفته من حيث الاستخدام بالضبط ، ولكن بالدراسة المقارنة يتضح وجود وجه شبه بينه وبين مبنى آخر من الطين أو الطوب النىء ولكن دون وجود نتوءات فى حائطه الدائرى وقد عثر عليه فى موقع هيلى بجوار البريمى بجوار مجموعة من المقابر المنتمية الى حضارة أم النار ويلاحظ وجود مجموعة من الحجرات بجوار البئر المبنى مثلما هو موجود فى موقع بات ، كذلك لم يعثر على أشياء ذات قيمة فى حجرات هذا المبنى وعثر خارج الحائط على عدد من المواقد وبعض الاوانى الفخارية • وبناء على الدراسة المقارنة يمكن القول أنه كان بمثابة قلعة أو مكان مراقبة • ومن الأهمية الاشارة الى أن ظاهرة القلاع والمبانى المحصنة والتى لا تزال كائنة حتى الوقت الحاضر بصورة واضحة فى عمان وأيضا فى بعض مواقع الشرق الأدنى القديم المنتمية الى تلك المرحلة الاخيرة من عصور ما قبل التاريخ أو بالأحرى عصر ما قبل الأسرات الأخير ، فقد انتشرت ظاهرة المبانى المحصنة أو القلاع على الحدود أو فى المواقع الصحراوية كنقاط رقابة وتأمين ضد التسللات البشرية التى قد تتعرض لها تلك المجتمعات المستقرة المبكرة واتجه الانسان القديم الى حمايتها بواسطة تلك العمائر المحصنة ، بل أن الدارس فى آثار منطقة الشرق الادنى القديم فى مواقع العصر الحجرى الحديث فى فلسطين يتضح له أن عمائر تلك المرحلة وبصفة خاصة فى الطبقة التاسعة من تل السلطان فى أريحا يتميز بالحصون الحجرية القوية منذ الألف السادس ق٠م وذلك لتأمين تلك القرية من التسللات السامية التى كانت تحاول الدخول الى الأودية المحيطة بها ، وكذلك فى وادى النيل الأدنى يلمس المؤرخ وجود بعض القلاع فى مواقع الكوم الأحمر وأبيدوس وغيرها فى مصر العليا وهى مواقع تنتمى الى مرحلة ما قبيل الأسرات وفجر التاريخ فى مصر القديمة ، وبناء على ذلك يغلب أن هذا المبنى فى موقع بات العمانى تكون له الصفة السالفة الذكر وهو حماية القرية والمجتمع المبكر بواسطة ذلك الحصن• ويمكن مقارنة هذا المبنى بقلعة نزوى وغيرها من القلاع العمانية التى لا تزال

تمثل عنصرا رئيسيا فى التراث العمانى ، ويقدر ارتفاع قلعة بات بحوالى عشرة أمتار •

واذا اتجه المؤرخ الى دراسة الأوانى الفخارية التى عثر عليها فى المنازل وتلك التى عثر عليها فى مبنى الحصن وكذلك التى وجدت فى الجبانة فيلاحظ أنها متشابهة تماما مما يؤكد انتماءها الى نمط حضارى واحد ، ولا يقتصر وجه الشبه الى هذه الدرجة بل أيضا يستمر مع حضارة أم النار وموقع هيلى مما يؤكد انتماءها جميعا الى مرحلة حضارة واحدة هى مرحلة عصر حضارة جمدة نصر ، أى المرحلة الأخيرة من عصور ما قبل التاريخ• ومن ناحية أخرى يلاحظ المؤرخ أيضا وجه شبه آخر يتضح فى صناعة ثنيات فوهات الأوانى الفخارية والتى تنتهى فى بعض الأحيان إلى شكل رأس ثعبان والتى تتضح فى تلك الحضارة حضارة بات وأيضا حضارات أم النار وهيلى بل أيضا فى حضارات بامبور وتبه يحى فى ايران وأيضا فى مواقع باكستان وهـذا بالاضافة أيضا الى استمرار وجه الشبه فى مواقع البحرين وبصفة خاصة فى الطبقات الأولى من قلعة البحرين مما يؤكد مرة أخرى أن هذا الأسـلوب الخاص فى صناعة الأوانى الفخارية وفوهاتها أسلوب سائد فى تلك المنطقة ومنطقة الخليج بوجه عام • وظاهرة متميزة أخرى فى موقع بات هى استخدام الزخارف الحلزونية ويستخدم أيضا ذلك الأسلوب الفنى فى كل من أم النار وهيلى • ومن الآثار المتصلة بالحياة المستقرة العثور على بعض نماذج من أحجار الطحن المستخدمة بطبيعة الحال فى طحن الحبوب • وعلى بعد حوالى كيلو مترا من غربى بات يوجد مبنى آخر دائرى كذلك يتضح فيه نظـام الحيطان الداخلية وبنفس أحجام المبنى السالف الذكر • ويمكن القول إن وظيفة هذه المبانى المحصنة لا تقتصر على المجال الدفاعى والوقائى من كافة المخاطر التى قد يتعرض لها مجتمع القرية بل يمكن القول قياسا على أساس استخدامات المبانى المحصنة فى الوقت الحاضر فى المواقع القريبـة كمراكز يشغلها حكام الأقاليم ، أن ذلك الاسـتخدام يغلب انه كان أيضـا نفس الاستخدام فى مجتمعات ما قبل التاريخ وربما يساعد انتشار الحصـون

والقلاع فى البيئة العمانية على القول بأن هذه الظاهرة الحضـــارية ظاهرة محلية منذ بداية استقرار الانسان وانشاء المجتمعات القروية بجوار المنابع ومصادر المياه العذبة •

ومن المواقع الأثرية العمانية الهامة المنتمية الى تلك المرحلة والتى كشف عن آثارها حديثا المواقع المحيطة باقليم عملى[١] (انظر شكلى ٢١ ، ٢٢) فى وادى العين فقد كشف عن اثنين وستين موقعا أثريا كشف فيها عن العـــديد من الآثار المتضمنة المقابر والمبانى الأثرية المحصنة بالحيطان الحجرية التى سبقت الاشارة الى أمثلة منها وكذلك عدد من التلال الأثرية ، وقد لوحظ منذ بداية الكشف وجود وجه شبه بين نتاج هذه المواقع وبين حضارة أم النار فى أبى ظبى سواء من ناحية العمارة والأوانى الفخارية وكذلك وجه شبه بينها وبين آثار موقع هيلى وواحة العين ، فيلاحظ المؤرخ أن الأوانى الفخارية الجنزية التى وجدت فى المقابر تضمنت أوانى حمراء عليها بعض الزخارف السوداء وكذلك على بعضها تتواجد بعض الخروز وكذلك أوانى رمادية عليها طلاء أسود وهى نفس النمط الفنى الذى وجد فى أبى ظبى وكذلك فى شرقى ايران فى المواقع التى سبقت الاشارة اليها فى بامبور وشهرى ســـخطه • وبالاضافة الى الأوانى الفخارية فقد عثر فى مقابر عملى على بعض الأوانى الحجرية المشكلة بطريقة مشابهة لتلك المصنوعة فى حضارة تبه يحى فى جنوبى ايران • ولم يصل الأثريون الى رأى نهائى بعد بالنسبة للعلاقة بين مقـــابر تلك المواقع من ناحية وبين المبنى الدائرى المحصن بالحيطان وكذلك تـــلال القرى التى يغلب أن تكون بمثابة منازل للأحياء من أفراد القرية • وقـــد كشف عن أحداها حيث عثر على أرضية حجرية دائرية الشكل وبعض الأوانى الفخارية الخاصة بالاستعمال اليومى • ويغلب أن هذه المساكن كانت معاصرة للمقابر وعلى ذلك يمكن القول أنها تمثل مجتمعا متكاملا يجمع بين قرى الأحياء

---

(١) B. de Cardi., «Excauations and Survey in Oman, 1974-1975, Eacavations at Amlah», in the Journal of Oman Studies, vol. 2 (1976), pp. 103, ff.

ومنازل الأموات وأيضا القلاع التى يغلب أن تكون بمثابة مركز للحـــاكم آنذاك •

وقد اعتبر الأثريون حضارة اقليم « عملى » ممثلة فى خمسة مواقع تحمل الأرقام من ١ — ٥ أما بالنسبة للموقع الأول فهو عبارة عن تل أثرى منخفض نسبيا ، فهو يرتفع حوالى مترين فوق سطح الأرض ، وقد كشف عن مبنى يتميز بحائطه الحجرى الدائرى السميك ، وقد فسره الأثريون على أنه يمثل مقبرة على نفس النمط الذى بنيت به مقابر موقع أم النار • ويلاحظ أن أرضية المقبرة حجرية وقد حوت بعض شقف الفخار وكذلك بعض العظام ، ربما تعتبر هذه البقايا قد تخلفت نتيجة نهب المقبرة • ومن الأهمية الاشارة الى أن علماء الآثار حاولوا الاستمرار فى الحفر تحت أرضية هذه المقبرة وتبين عدم وجود أى آثار دونها مما يؤكد أنها تمثل الطبقة الأثرية الأولى فى هذا الموقع • ولم يقتصر وجه الشبه بين هذه المقبرة ونظائرها فى أم النـــار بل هناك أيضا وجه شبه بين موقعى هيلى وبات •

أما بالنسبة للموقع الثانى فيتمثل فى أساس مقبرة دائرية بجانب بقايا أربعة مقابر أخرى • ويلاحظ وجود حائط داخلى يقسم المقبرة الى قسمين يمتدان فى محور من الشرق الى الغرب ، وفوق الأرضية عثر على خمسة أحجار منحوتة بيضاء اللون تشبه تلك التى وجدت فى مقابر أم النار وذلك فى الجانب الجنوبى من أرضية المقبرة • ويصعب التحديد الدقيق لوظائف تلك الأحجار ، ويمكن القول أن ظاهرة وجود حائط يقسم المقبرة الى قسمين أيضا يلمسها المؤرخ فى مقابر أم النار التى تنقسم فى بعض الأحيان بواسطة محورين الى أربعة حجرات • كما أنه من ناحية أخرى كما سبقت الاشارة يلاحظ وجه الشبه بين فخار « عملى » وفخار أم النار مما يؤكد وجود صلة حضارية بينهما •

أما بالنسبة لموقع عملى الثالث فيتمثل فى خمسة تلال أثرية منخفضة تنتشر فوق السهل الى الشرق عن طريق عملى — عبله • ويغلب ان تلك التلال

تمثل مواقع قرى للسكن ، وقد عثر على العديد من الشقف الفخارية والأدوات الظرانية وكذلك على جزء من حائط حجرى دائرى •

أما بالنسبة لموقع عملى الرابع فيتضمن مجموعة من الحيطان الملحقة ببنـــاء دائرى يتواجد فى جانبه الجنوبى الشرقى رصيف عليه بقايا بناء صغير مستطيل الشكل • ولم يعثر على شقف فخارية ، وعلى ذلك يصعب تحديد تاريخها وكذلك علاقاتها بالمقابر أو المنازل •

أما بالنسبة لموقع «عملى» الخامس فهو يتضمن مجموعة من المواقع تقع الى القرب من وادى العين ، وتتضمن آثار هذا الموقع مقبرة على نفس نمط حضارة أم النار وكذلك مجموعة أخرى من المقابر • ويلاحظ أن سقف المقبرة يستند على بعض الأحجار التى بقيت فى مكانها • ومن الأهمية الاشـــارة الى العثور فى هذا الموقع على كمية من العظام البشرية ، ولكن للأسف الشديد كانت كمية العظام غير كافية لكى يتعرف على تقويمها الزمنى بواسطة الكربون المشع ك ١٤ •

من ذلك يتضح للمؤرخ فى مواقع « عملى » الأثرية مجموعات متعددة من الآثار المنقولة والثابتة ، فهناك آثار الفخار المتعددة الأشـــكال والألوان والزخارف ، وآثار الأوانى الحجرية وكذلك الأصداف والخرز وبعض الآثار النحاسية وغيرها • ويمثل الفخار الرمادى أهمية خاصة بين علماء الآثار باعتباره يمثل نمطا وأسلوبا معينا فى الصناعة يعبر عن حضارة الموقع الذى ينتمى اليه وقد صنع غالبيته بواسطة عجلة الفخار ، ومن الحقائق التاريخية الهامة المبنية على الدراسات المقارنة وخاصة فى أسلوب التعبير على الأوانى الفخارية العمانية ظاهرة وجه الشبه الواضح فى صناعة الأوانى الفخارية الرمادية المحززة فى منطقة الخليج شرقية وغربية (أنظر الخريطة رقم ٢) مما يؤكد بصورة قاطعة وجود اتصال حضارى وبطبيعة الحال اقتصادى بين حضارات عمان والهضبة الايرانية بصفة خاصة ، كما يتضح فى المواقع الايرانية فى تبه يحى وشهرى سخطه (انظر شكلى ٢٣ ، ٢٤) وشاهدار شمال شرقى

كرمان ، وكذلك تتضح تلك الصلات فى بعض الأوانى ذات الشكل الأسطوانى والتى عثر عليها فى هيلى وأم النار وأيضا شاهد أربل فى أور السومرية. هذا بالاضافة الى وجه الشبه الكبير فى الصناعات الفخارية فى كافة المواقع العمانية والمواقع المجاورة لها ويتضح ذلك فى كل من عملى وبات وبهله من الجانب العمانى . وهيلى وأم النار من المواقع المجاورة . وفى مجال الأوانى الحجرية يتضح أيضا ظاهرة وجه الشبه فى مجال الزخارف الدائرية بين المواقع العمانية ومواقع أم النار وهيلى وتبه يحى . ومن الآثار التى تسترعى انتباه الباحثين أيضا العثور على صناديق حجرية مستطيلة الشكل فى موقع عملى الثانى ويلاحظ أن هذه الصناديق مقسمة قسمين وهى قد صنعت بمقدرة فنية فائقة وزينت هذه الصناديق بنقط دائرية ، وقد عثر على بعض نظائر لها فى هيلى أما فى موهنجدارو فقد عثر على ما يشابهها ولكن مربعة الشكل .

ومن الأهمية الاشارة الى أن ظاهرة الطبقات الأثرية فى موقع عملى ليست دقيقة للغاية ولذلك فالمؤرخ يعتمد على التقويم الزمنى لبقايا المواد العضوية بواسطة طريق الكربون المشع ك ١٤ والتى تعطى تأريخا مبدئيا قابلا للدراسة والفحص بالمزيد من طرق التقويم الزمنى الأخرى ، ومنها طريقة الدراسات المقارنة وبصفة خاصة مع موقع حضارة أم النار التى اتجه العلماء الى القول بامكانية كونها أكثر تبكيرا من المواقع الحضارية الكائنة فى هيلى وعملى وغيرها . والواقع ان حضارة أم النار فريدة فى نوعها من حيث كون موقع جزيرة أم النار يسمح باعتمادها على المصادر المحلية البرية الداخلية (انظر الخريطة رقم ٣) والمواقع الأخرى الخارجية بحكم مكانها على شاطىء الخليج والنتاج الحضارى لموقع أم النار نتاج متقن ويؤكد وجود نوع من الاستقرار الاقتصادى والاجتماعى لحد كبير ، ولذلك اتجه عدد من العلماء الى اعتبارها مقياسا يصلح أساسا للدراسات المقارنة فى كافة أرجاء منطقة الخليج والمواقع الايرانية أيضا .

ومن الملاحظات التى تسترعى الانتباه فى مجال التركة المعمارية انها

تحمل الشكل المستطيل أو الشكل البيضاوى سواء كان ذلك فى العمائر المدنية أو المتصلة بالعالم الآخر ، ويغلب ان هذا الأسلوب المعمارى يتصل بما سبقت الاشارة اليه وهو تصور أن هذا الشكل الدائرى أو البيضاوى يكفل الى حد كبير الأمن الدفاعى عن هذه المواقع هذا بالاضافة الى استخدام الكتل الحجرية فى تلك العمائر ، ويستمر علماء الآثار فى المداومة على التنقيب الأثرى للبحث عن المزيد من المستوطنات الأولى المنتمية الى عصور ما قبل وقبيل الأسرات للتعرف على المزيد من المعارف عن حياة الانسان وحضارته فى تلك الفترة فى عمان ومن تلك المواقع موقع دارى الفرع على بعد خمسة كيلومترات شمال الرستاق وغيرها من المواقع التى لاتزال محل الفحص والدراسة •

وعلى ذلك فدور انسان عمان القديم فى المجال الحضارى دور هام يستطيع المؤرخ عن طريقه استكمال الصورة الحضارية لنشاط الانسان القديم ليس فقط فى محيط اقليم عمان بل فى محيط منطقة الخليج وأيضا المراكز الحضارية الخارجية والمحيطة بالمنطقة ، ويمكن القول بأن النشاط الحضارى الخارجى يعتبر من أهم سمات عصور ما قبل وقبيل الأسرات فى منطقة الشرق الأدنى القديم فقد ازدادت حركة الصلات الخارجية بين كافة أرجاء المراكز الحضارية فى منطقة الشرق الأدنى القديم فى تلك الفترة • وكما سبقت الاشارة الى أن موقع عمان الجغرافى فريد منوعه بحكم شواطئه المطلة على مدخل الخليج من ناحية ومنه الى المناطق والمراكز الحضارية السومرية والايرانية بل والهندية الشمالية الغربية ومن الناحية الأخرى تؤدى تلك المنافذ البحرية الى القرن الافريقى والبحر الأحمر حتى مصر • أما من ناحية المنافذ البرية فقد كان الانسان العمانى على صلات أخرى برية مع المراكز الحضارية فى داخل شرقى الجزيرة العربية ، والصورة المثلى لبحث مدى دور عمان الحضارى فى نطاق النشاط الخارجى لمنطقة الشرق الأدنى القديم ككل تتطلب ضرورة القيام بدراسات مقارنة على نطاق واسع تحدد على أثرها بصورة دقيقة تفاصيل ذلك الدور كما ينبغى اعطاء أهمية خاصة الى المواقع الساحلية العمانية القديمة على طول الساحل وبصفة خاصة فى صحار وصلاله وذلك لانارة الطريق فى البحث عن المحطات الحضارية الساحلية التى

لاشك ان الرحلات البحرية المحققة لتلك الصلات البرية والبحرية قد مرت عليها وتركت بهـا بعض الآثـــار الدالة على ذلك • وقد حاولت فرايفلت K. Frifelt [١] بحث هذا الدور الحضـارى الخارجى وتحـديد معالمه فى نطاق منطقة الخليج معتمدة على الدراسة المقارنة للنتاج الأثرى فيها ومن ناحية أخرى حاول توسى M. Tosi [٢] بحث موضوع التقـويم الزمنى الخاص بالحضارات العمانية فى عصور ما قبيل التاريخ وكذلك تأريخ حضارات أم النار وبامبور وشهرى سخطه فى شرقى ايران من ناحية أخرى مما يساعد فى التعـرف على مدى الصلات الخارجية العمانية فى نطاق منطقة الخليج وايران وكذلك بلاد الرافدين • والواقع أن الرأى النهائى فى هذه المشـكلة لم يستقر بصورة حاسمة حتى الوقت الحاضر ، ولكن من المؤكد وجود صلات حضارية على نطاق واسع بين تلك الحضارات السالفة الذكر فى تلك الفترة بالذات ، والواقع أن عصر حضارة جمده نصر السومرية الأصل قد تميز بنشاط خارجى واسع النطاق متخذا منطقة الخليج العربى بمثابة طريق بحرى يحقق عنصر الصلات الخارجية ، ومن ناحية أخرى كانت حضارة أم النار ذات نشاط خارجى واضح فى تلك المرحلة ، ومن ناحية ثالثة يلاحظ المؤرخ وجود صلات قوية مع المواقع الحضارية فى بلوخستان فى شرقى ايران ، وعلى سبيل المثال فبالنسبة الى حضارة أم النار فقد تميزت فى مجال صناعتها الفخارية بفخارها الجامع بين اللونين الأحمر والأسود والزخارف الهندسية ، وقد تبين بالدراسات المقارنة ان هذا الفخار يشبه الى حد كبير الفخار الكائن فى شرقى ايران ومن ناحية أخرى فهناك فخار آخر يميز تلك الحضارة وهو الفخار

---

(١) Frifelt, K., «A Possible link between the Jemdet Nasr and the Umm an - Nar Graues of Oman», The Journal of Oman Studies, vol. I (1975), p. 76 ff.

———, «On Prehistoric Settlement and Chronology of the Oman Peninsula», from East and west, vol. 25 (1975), p. 359 ff.

(٢) Tosi, M., «The Dating of the Umm an - Nar Culture and a proposed Sequence for Oman in the Third Millennium B C ». The Journal of Oman Studies, col. 2 (1976), p. 81 ff.

الرمادى اللون والذى يحمل أيضا نقوشا هندسية ونقوشا حيوانية وأيضا الفخار الرمادى المخرز ، فقد عثر على نماذج متعددة منه فى نطاق المواقع العمانية وكذلك المواقع الايرانية ، ومن ناحية أخرى فقد عثر فى تل عقرب فى بلاد الرافدين على آنية فخارية تعتبر من أهم نماذج النتاج الحضارى لموقع أم النار[1] • أما فيما يتعلق بالمؤثرات الحضارية العراقية القديمة والمنتمية الى عصر حضارة جمدة نصر وكذلك الايرانية القديمة والمنتمية الى نفس الفترة فقد عثر على نماذج منها فى المواقع العمانية وأيضا فى المواقع الخليجية مثل تاروت وفيلكه أما فى مجال الأوانى الحجرية فقد سبقت الاشارة الى الصناديق المستطيلة من حجر الاستاتيت والتى عثر على نماذج منها فى وادى السند وفى بلوخستان وتبه يحى وهيلى وأيضا موقع بات العمانى ، وهذا مثال آخر على مدى انتشار نمط حضارى معين يؤكد وجود نوع من الصلات الحضارية • ومن الأمثلة الهامة التى تمثل الفخار العمانى فى هذه الفترة وهى المرادفة لعصر حضارة جمدة نصر الفخار المتعدد الألوان والذى يشبه فخار بلاد الرافدين بكل تفاصيله فى تلك الفترة بالذات ، والواقع أن المؤرخ يواجه العديد من الأنماط الأثرية التى تؤكد وجود وجه شبه بينها فى تلك الفترة وهى عصر حضارة جمده نصر وهى المرحلة الأخيرة من عصور ما قبل التاريخ والتى تؤرخ من الناحية الزمنية بنهاية الألف الرابع ق • م وبداية الألف الثالث ق • م والشواهد الأثرية فى مواقع أم النار والمواقع العمانية التى سبقت الاشارة اليها مثل بات وعملى وأيضا وادى سوق بجوار صحار فى منطقة عبرى وكذلك مواقع باربار فى شمال البحرين وأيضا المواقع الايرانية السالفة الذكر مثل تبه يحى وبامبور وشهرى سخطه هذا بالاضافة الى مواقع جمدة نصر واور وخفاجه فى بلاد الرافدين كلها تشهد بحقيقة الصلات الحضارية فى تلك الفترة فى كافة المجالات الفخارية والحجرية والصناعات العظمية والنحاسية وغيرها من الآثار المنقولة ، وعلى الرغم من

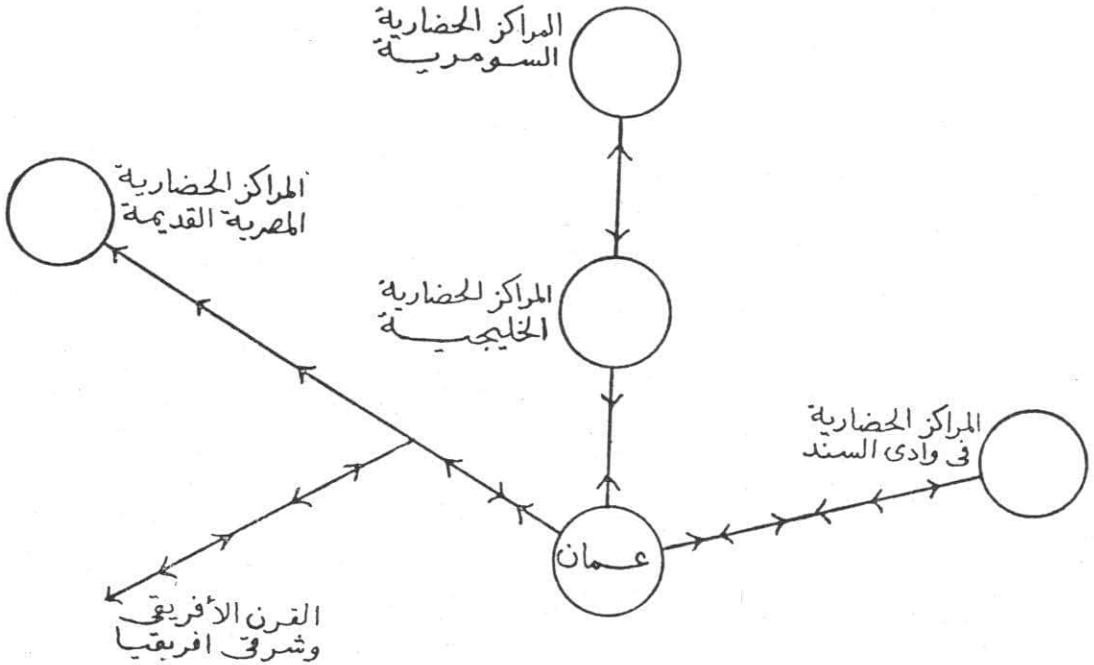
---

(١) Delougaz, P. Pottery from the Diyala Region, Oriental Instituite Publications, vol. 63, Chicago, 1952, p. 64 and pl. 54. e.

اختلاف العلماء فى التحديد الدقيق الخارجى لتاريخ تلك الفترة من حيث اتجاه البعض الى اعتباره ينتمى الى أواخـــر الألف الرابع ق • م وبداية الألف الثالث ، واتجاه البعض الآخر الى اعتباره ينتمى الى الألف الثالث ق • م فإن حقيقة تلك الصلات الاقتصادية والحضارية لا يمكن تجاهلها بأية حال من الأحوال •

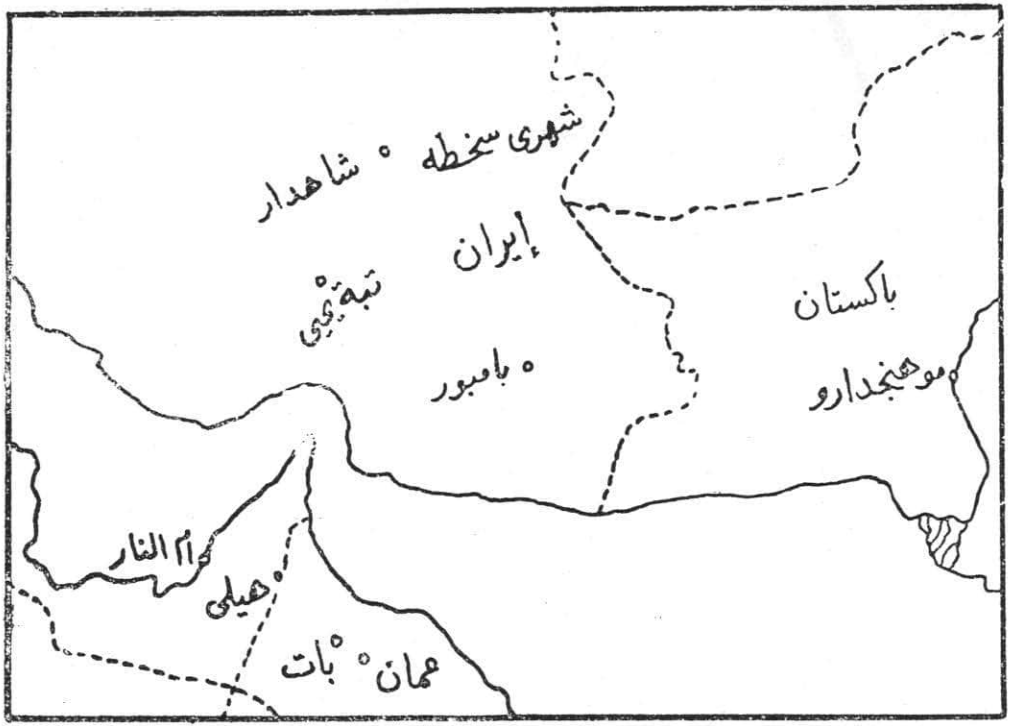
وعلى ذلك فتقييمى لدور عمان الحضارى فى المرحلة الأخيرة من عصور ما قبل التاريخ يؤكد الأهمية القصوى لذلك الدور ، باعتبار عمان تمثل فعلا النافذة الخارجية لمنطقة الخليج والمطلة على الطرق البحرية الى العـــالم الخارجى فى شرقيه تجاه وادى السند وفى غربيه تجاه القرن الافريقى والبحر الأحمر (انظر التخطيط رقم ١) ، ولذلك فإن حقيقة تلك الاتصالات الحضارية تؤكد صحة هذا الدور الاقتصادى والحضارى الهام الذى قام به انسان عمان القديم ، والواقع ان التطور الحضارى التدريجى الذى يلمسه مؤرخ عصور ما قبل التاريخ يتضح فيه مراحل نمو الحضارة فى نطاقها المحلى فى العصر الحجرى الحديث ثم فى نطاقها الخارجى فى عصر الحجر والنحاس ثم نطاقها شبه الدولى فى حدود المنطقة المحيطة فى عصور ما قبل وقبيل الأسرات ولاشك ان المزيد من التنقيب الأثرى فى المواقع الساحلية والمواقع الداخلية العمانية سيساعد على استكمال تلك الصورة الحضارية الهامة فى تاريخ الشرق الأدنى القديم والانســـانية •

خرائط البحث ورسومه وصوره

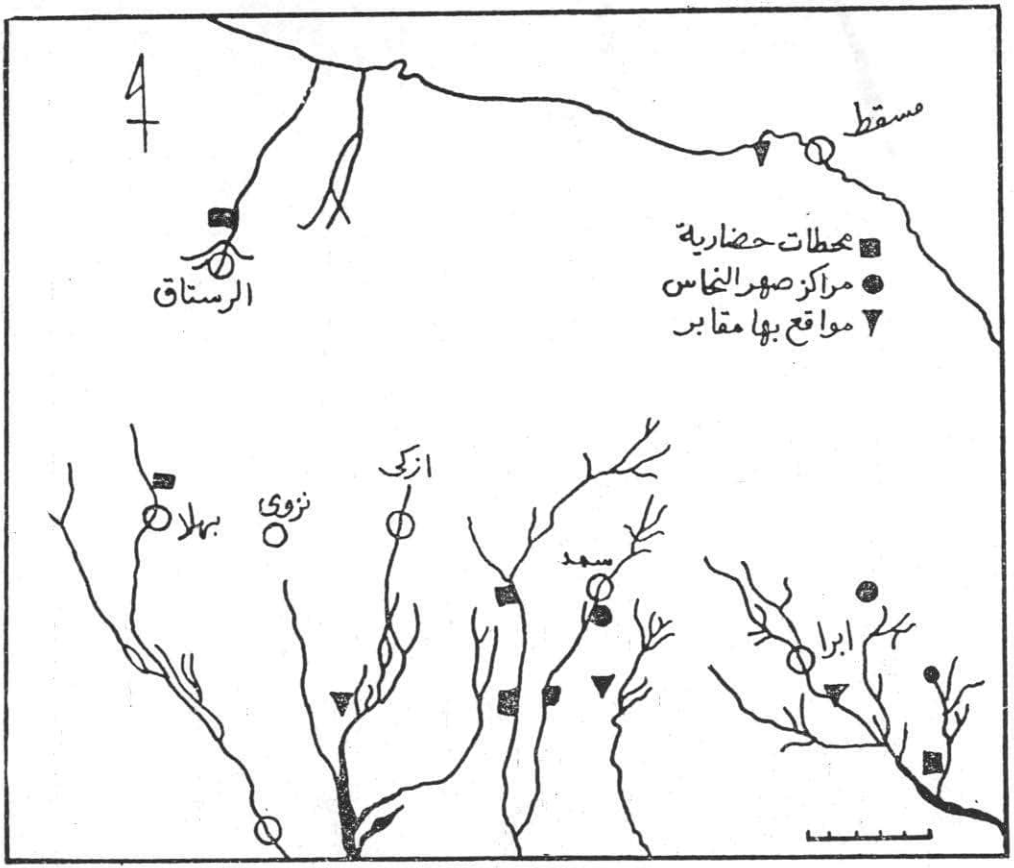


تخطيط رقم (١)

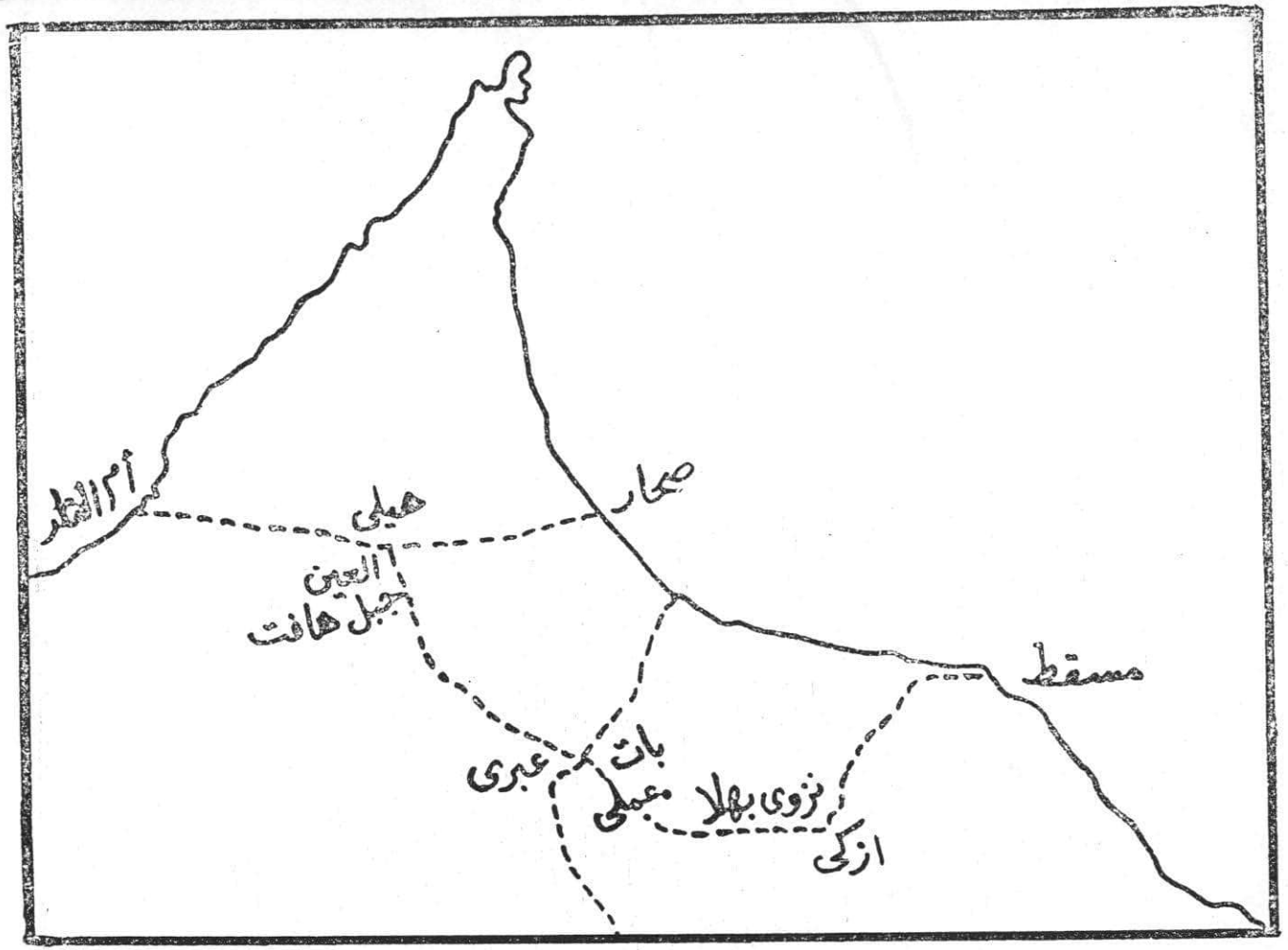
مراكز الحضارات حول عمان



خريطة رقم (١)
خريطة توضح بعض المواقع الحضارية العمانية والخارجية والتى ثبت وجـود صـلات حضارية بينها فى مجـال صناعة الأوانى الفخارية المحززة

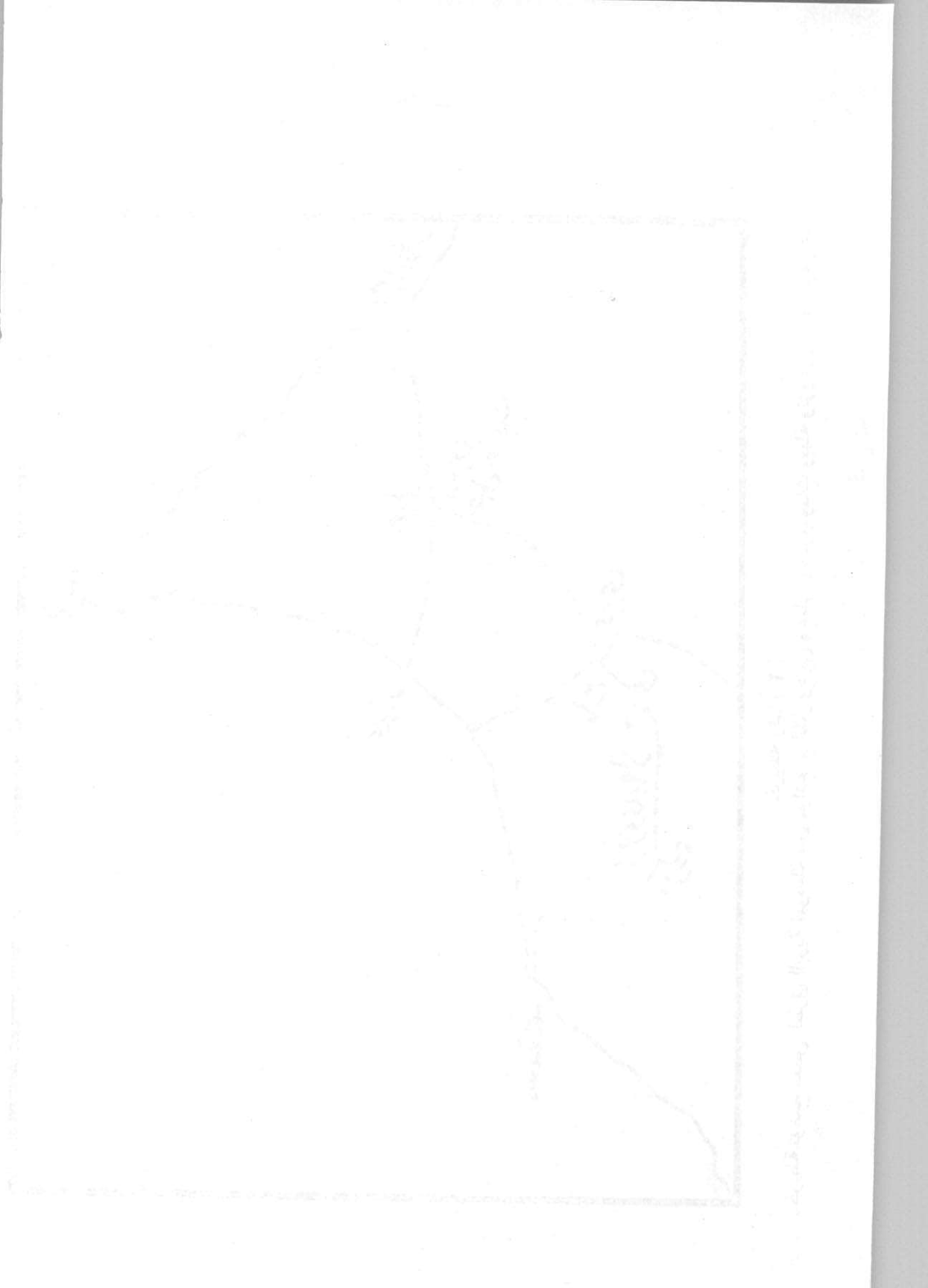


خريطة رقم (٢)
خريطة توضح بعض المواقع الأثرية فى الجبل الأخضر



خريطة رقم (٣)

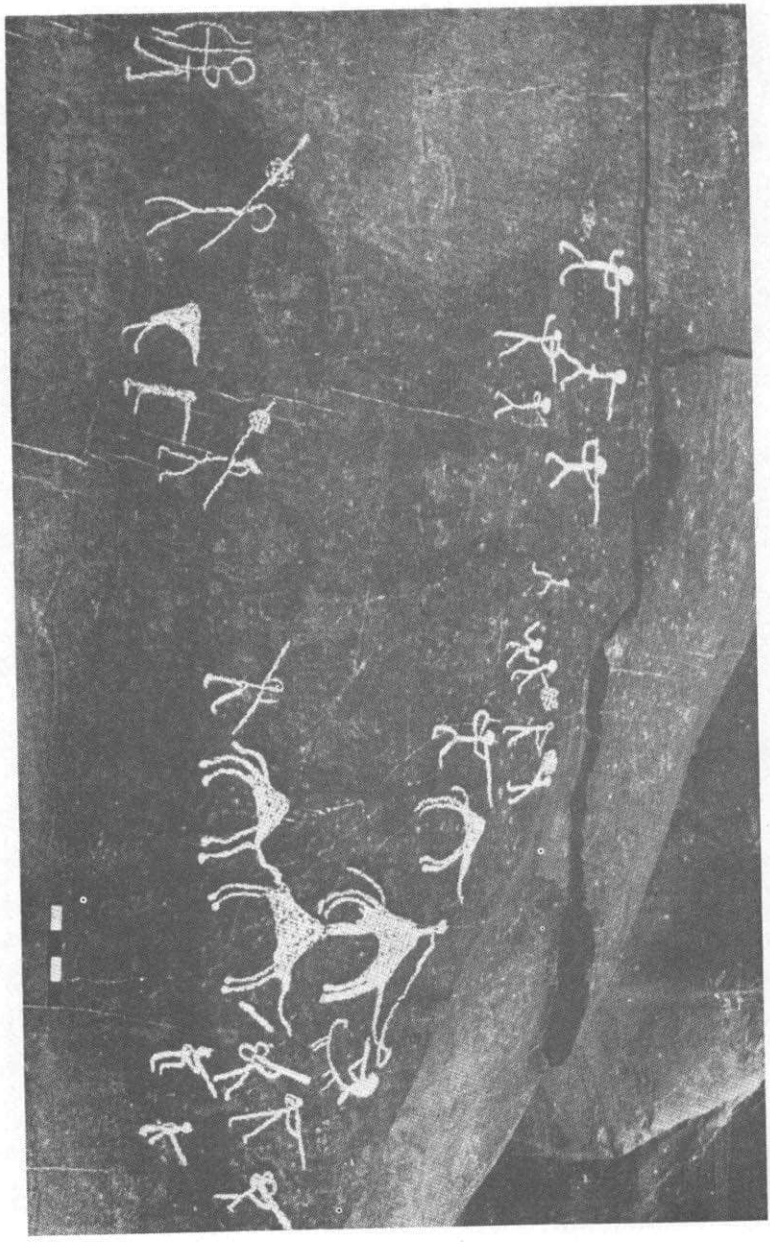
خريطة توضح بعض الطرق البرية الموصلة بين مواقع أم النار وهيلى وعملى وعبرى وبات وبهله ونزوى وصحار وغيرها





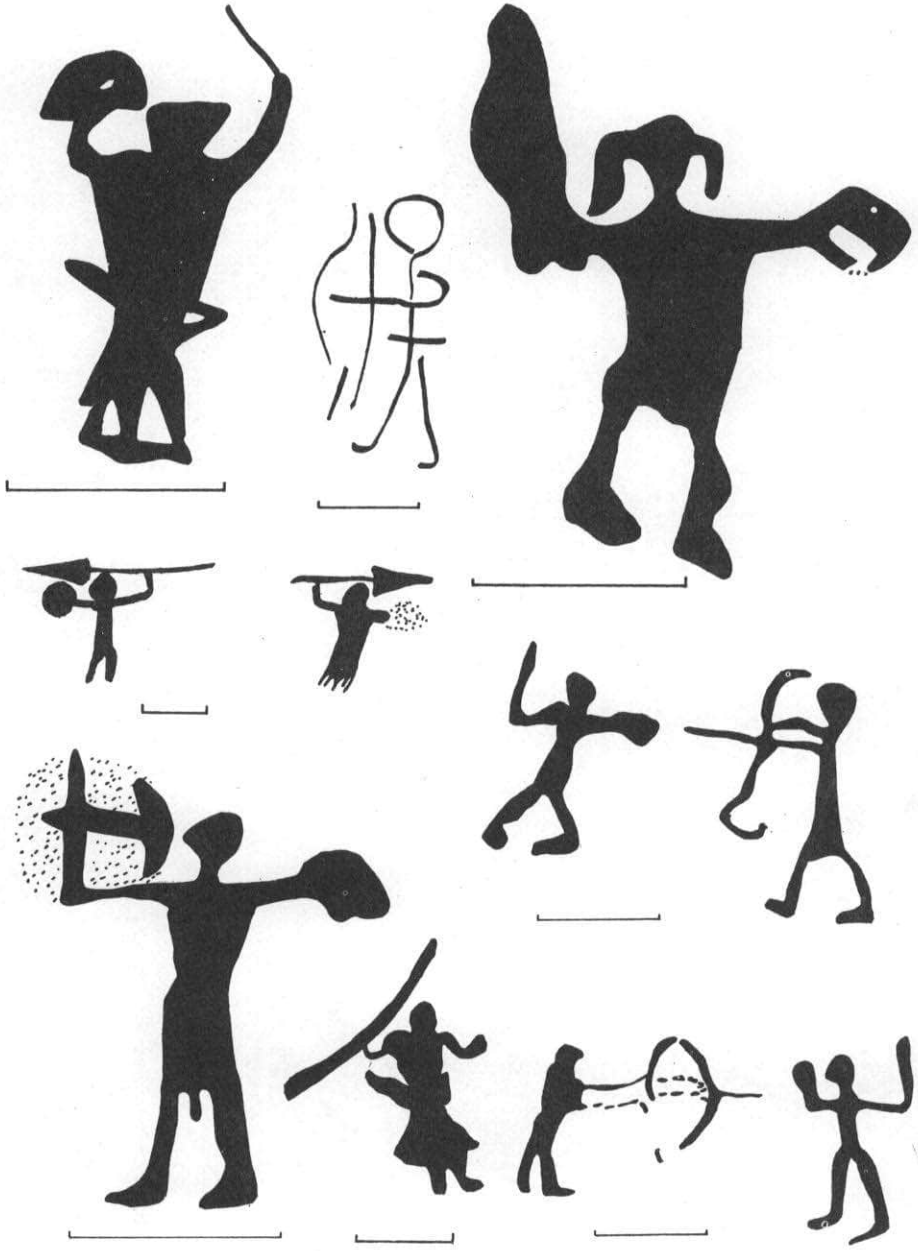
شـــكل (١)

أمثلة من الحضارة العاترية فى شمال افريقيا
مكاشـــط ورؤس سهام



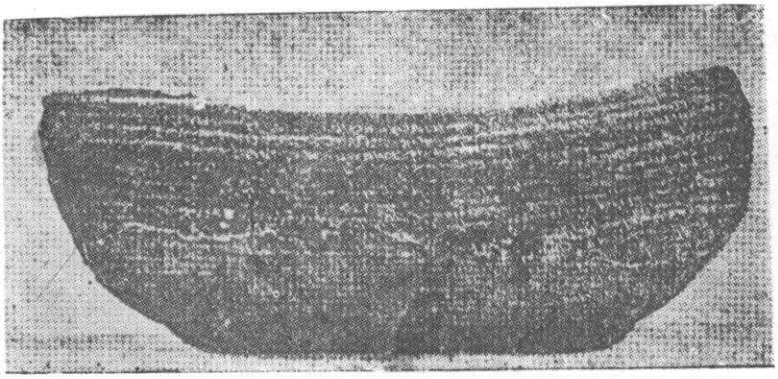
شكل (٢)

بعض النقوش الصخرية العمانية القديمة وتظهر فيها نقوش جمال وبشر



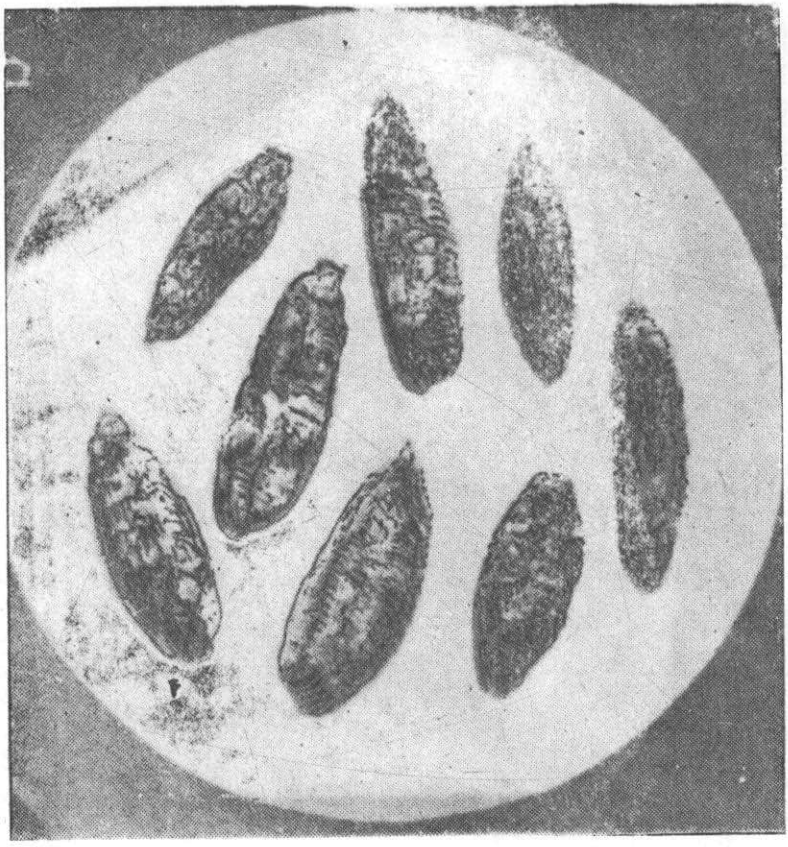
شـــكل (٣)

نقوش صخرية عمانية قديمة توضح التعبير عن الدفاع عن النفس



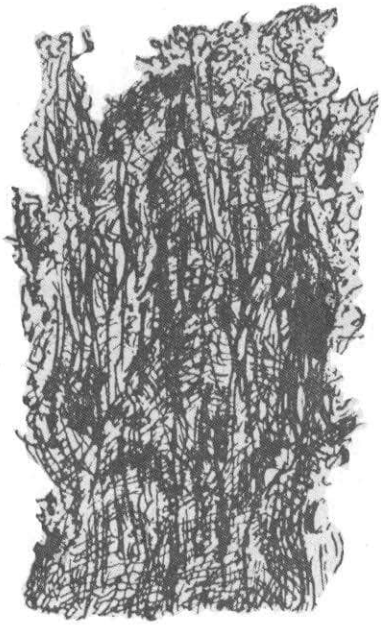
شـــكل (٤)

(سبت) أو سلة من حضارة الفيوم ا

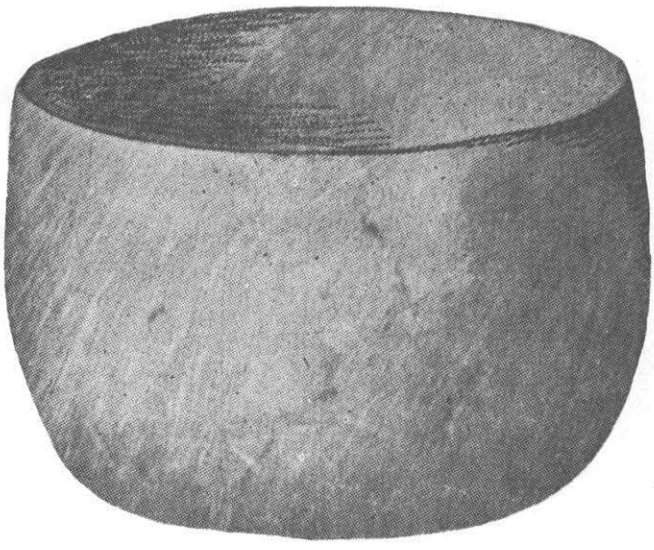


شـــكل (٥)

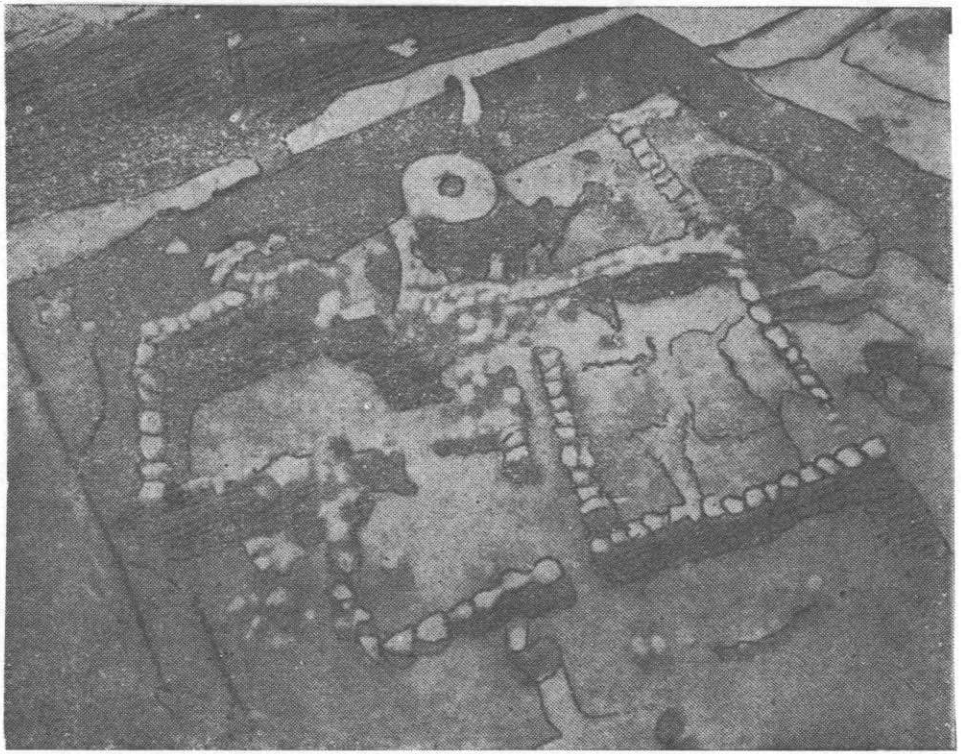
حبوب قمح متكربنة من حضارة جرمو



شـــكل (٦)
أقدم مثال لنسيج كتانى من حضارة الفيوم ا



شـــكل (٧)
آنية حجرية من حضارة جرمو

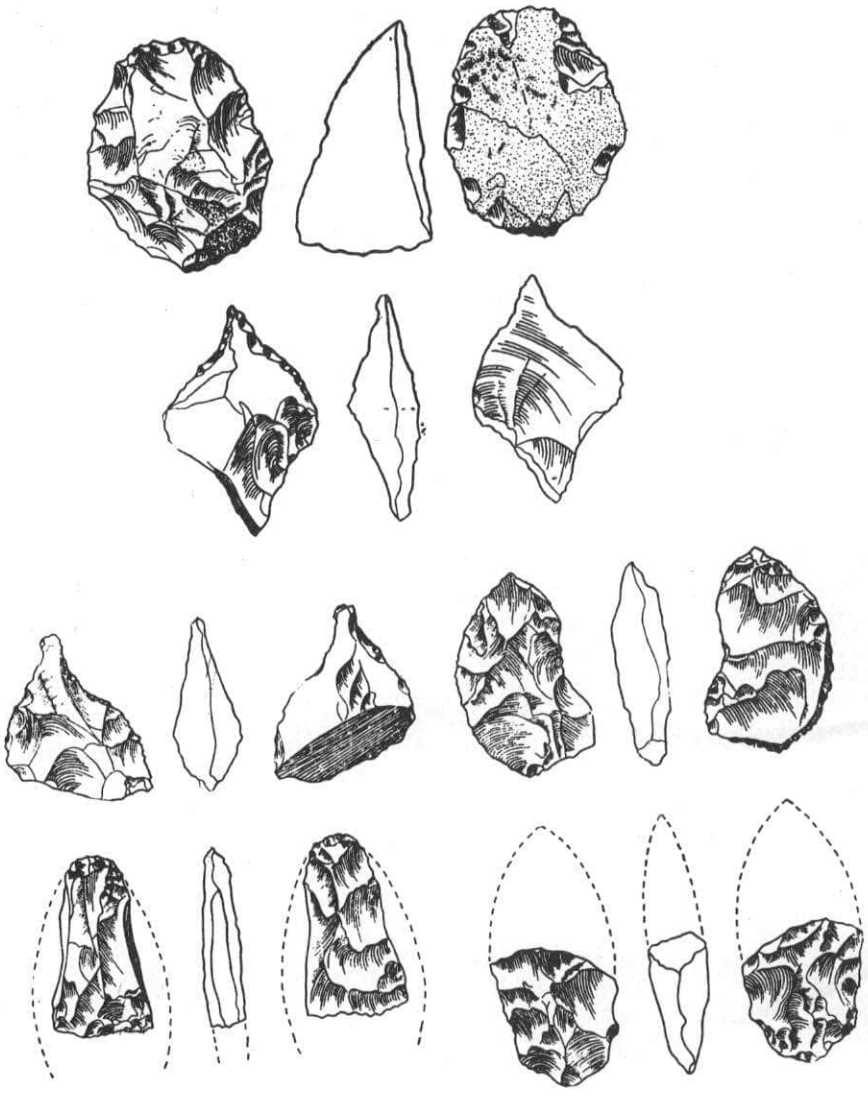


شـــكل (٨)
أساس منزل من العصر الحجرى الحديث فى حضارة جرمو



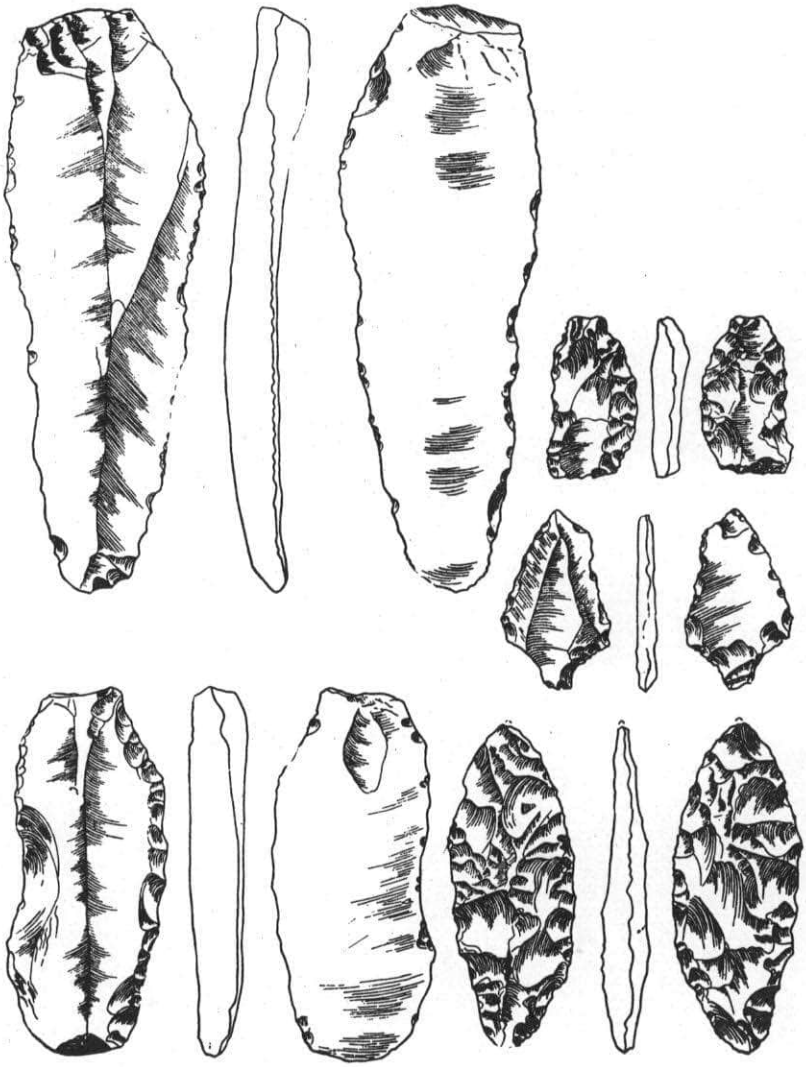
شـــكل (٩)

حيطان متتالية تنتمى الى العصر الحجرى الحديث
فى جريكو (أريحا ــ تل السلطان)



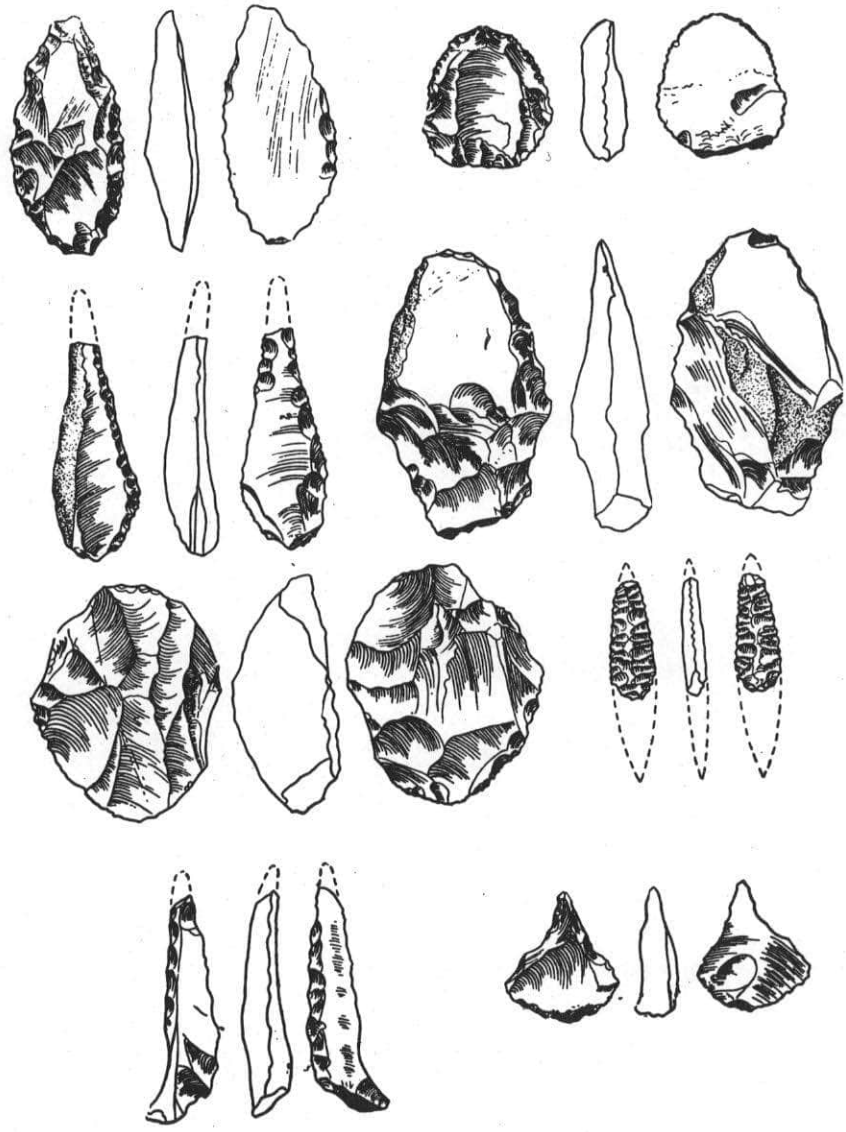
شـــكل (١٠)

بعض الأدوات الحجرية من العصر الحجرى الحديث
فى موقع قرن كبش



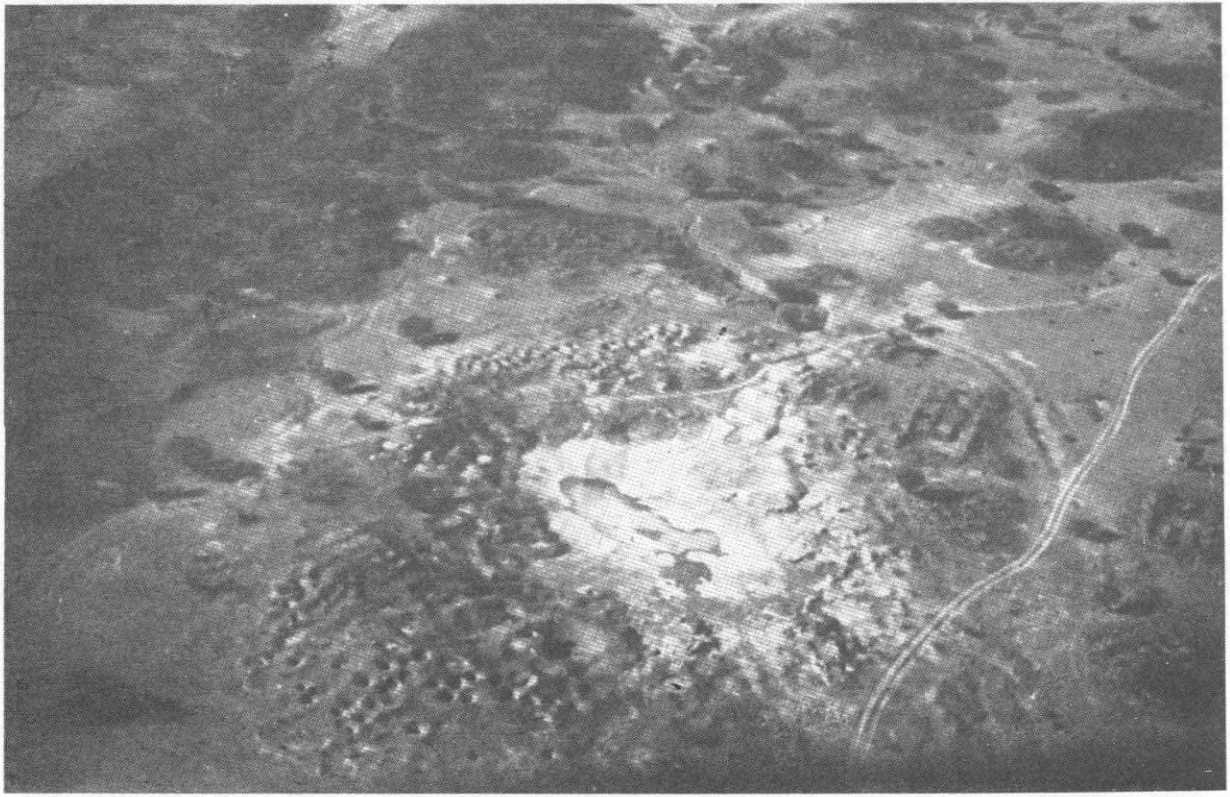
شـــكل (١١)

بعض الأدوات الحجرية من العصر الحجرى الحديث
من موقع قبور جهال



شـــكل (١٢)

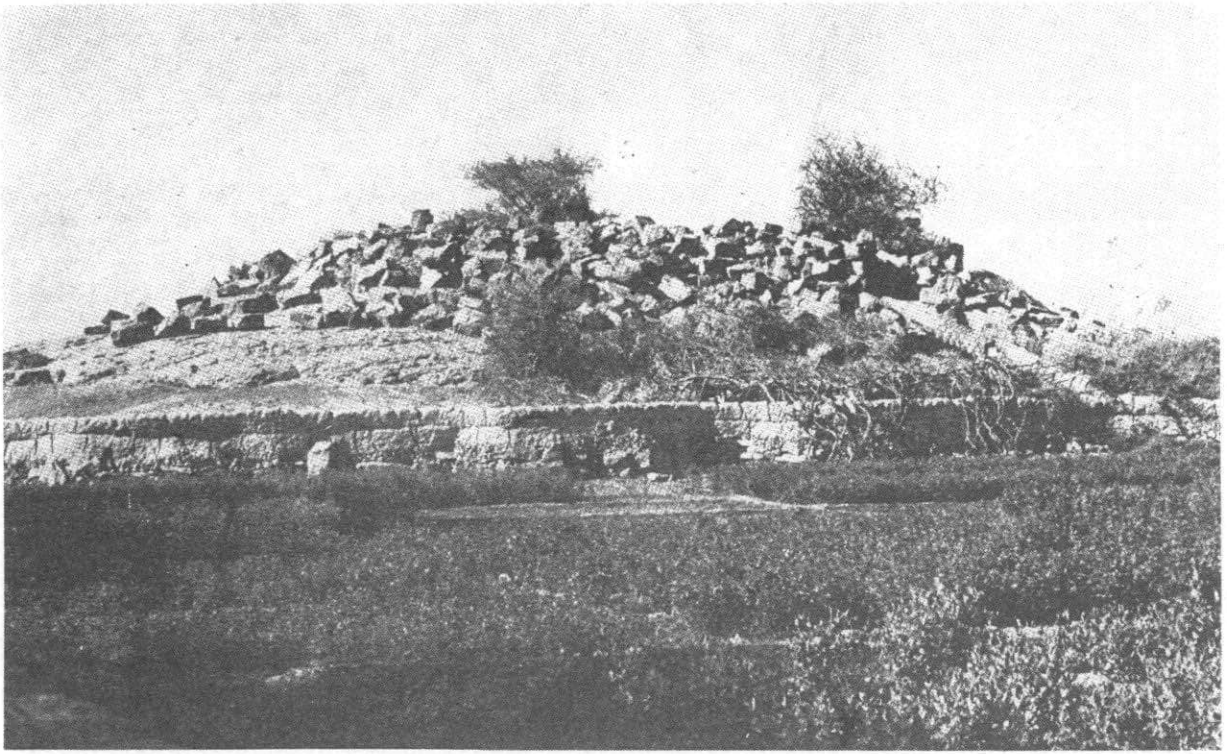
بعض الأدوات الحجرية من العصر الحجرى الحديث
فى مواقع مسكين والدراريز وغيرها



شـــكل (١٣)
منظر عام لأحد مناجم النحاس فى عمان القديم



شـــكل (١٤)
بقايا آثار مقابر بجوار مناجم النحاس

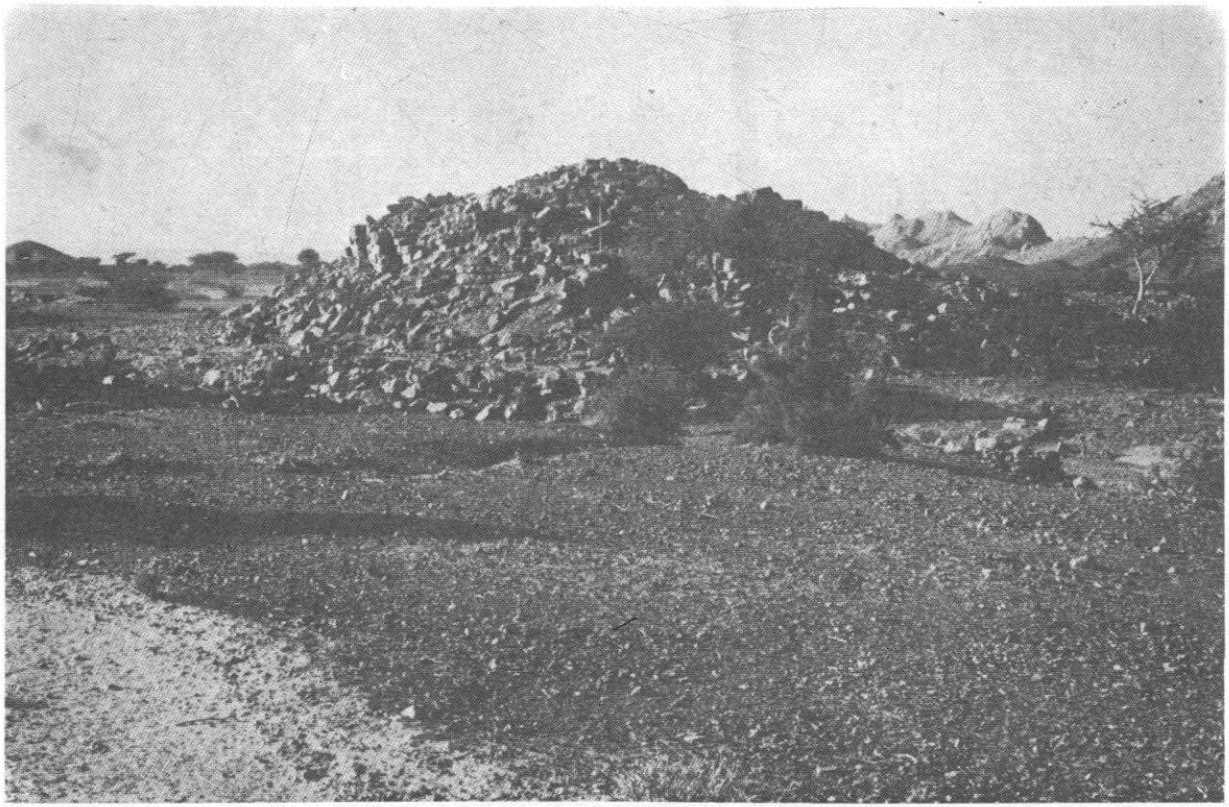


شـــكل (١٥)

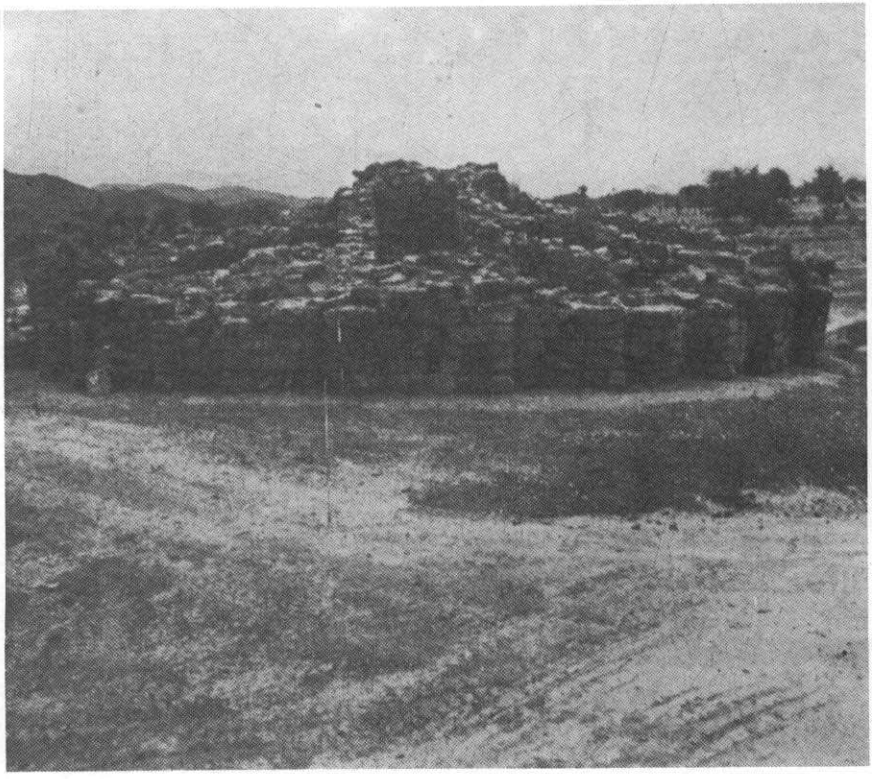
آثار مبنى دائرى ينتمى للألف الثالث ق . م فى قرية بات



شـــكل (١٦)
بقايا آثار لحائط دائرى وتل أثرى
ينتمى الى الالف الثالث ق . م فى قرية بات

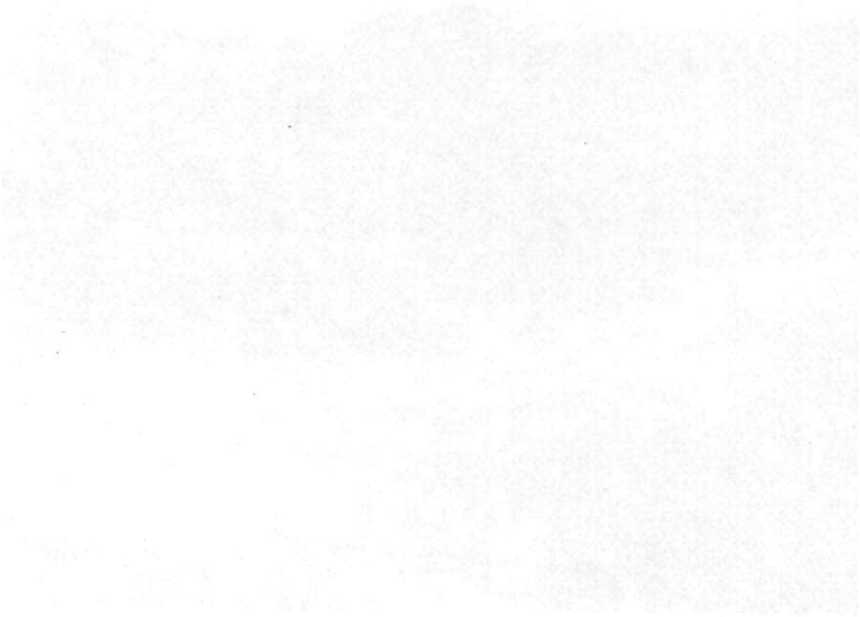


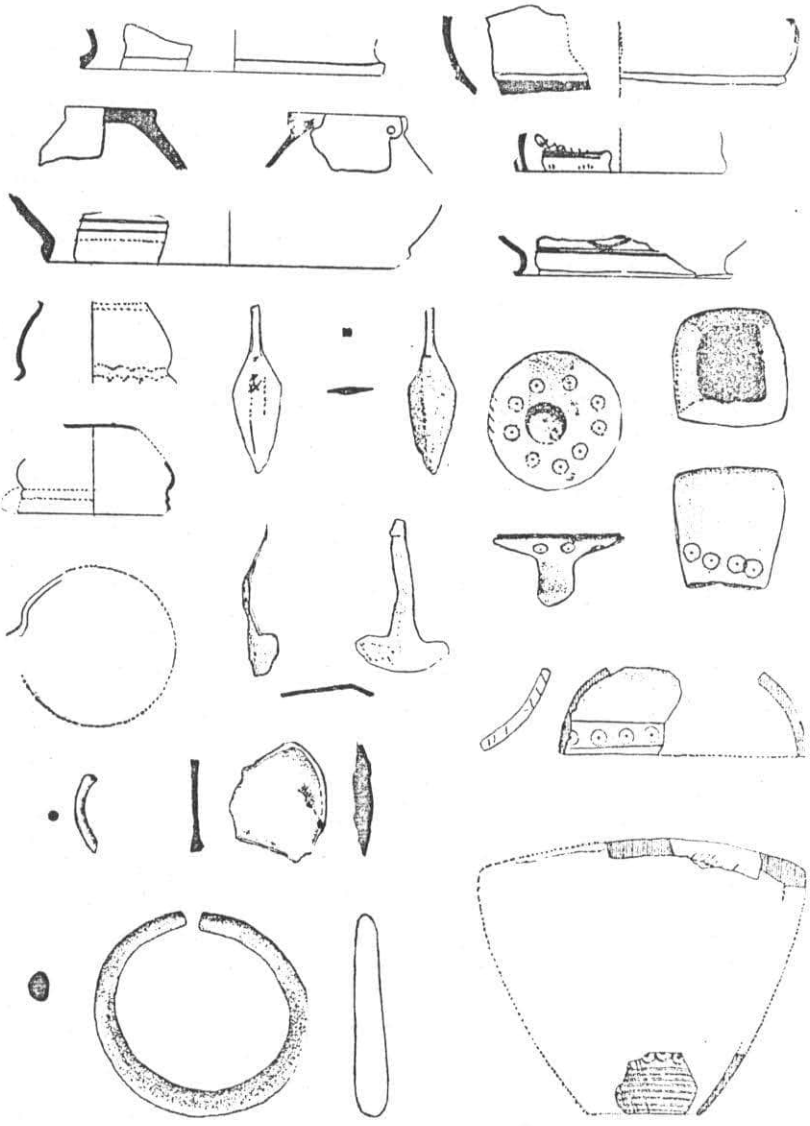
شـــكل (١٧)
جانب من الحائط الدائرى جنوب جبانة قرية بات



شـــكل (١٨)

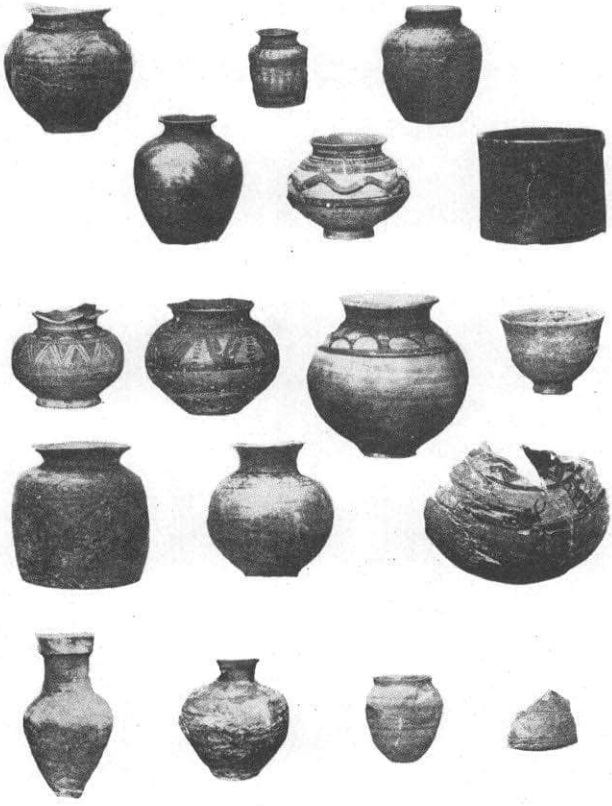
آثار أحد أبراج قرية بات والجزء المرتفع يحوى بئراً





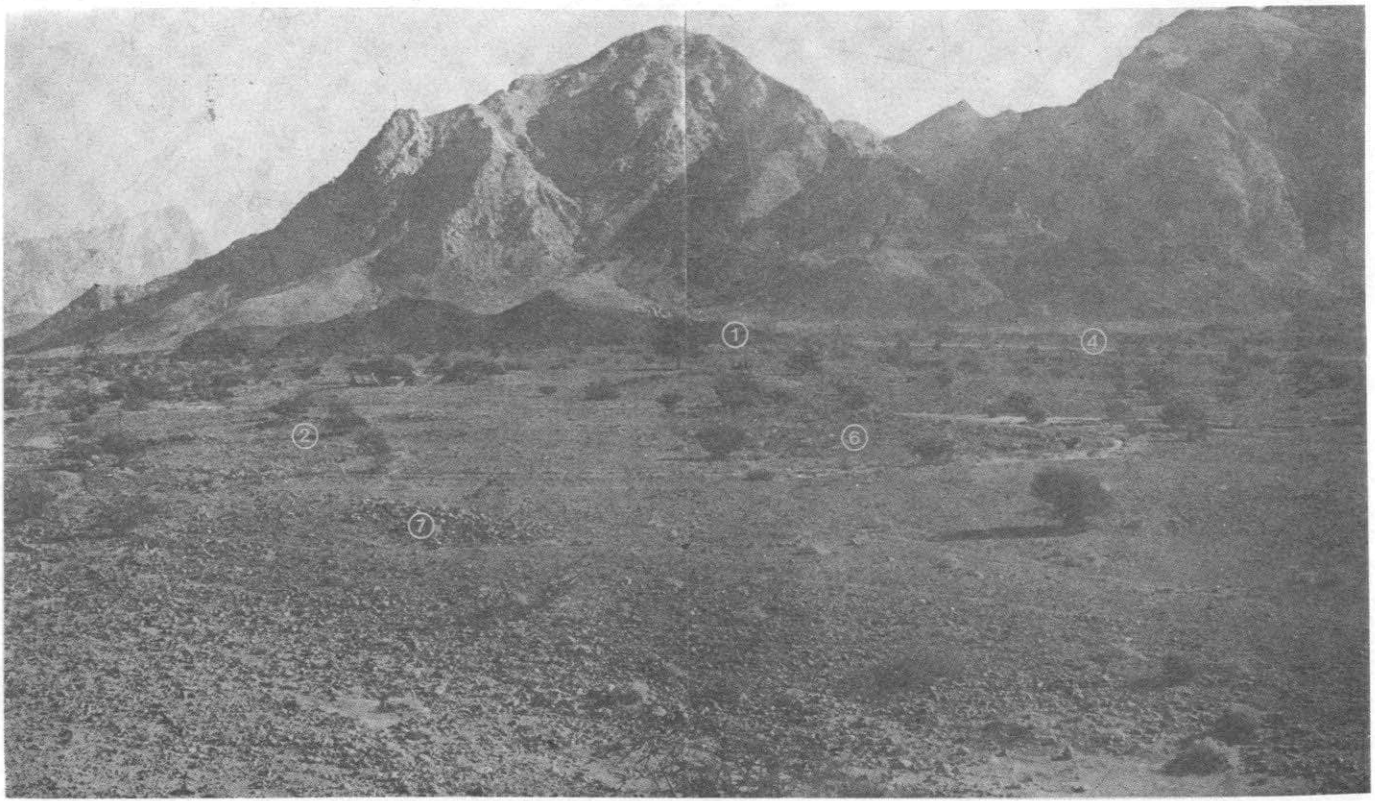
شـــكل (١٩)

بعض نماذج لبعض الأوانى والشقف الحجرية والفخارية المزخرفة وبعض الزخارف المحزوزة ، وأيضـــا بعض الأدوات النحاسية والبرونزية فى قرية بات

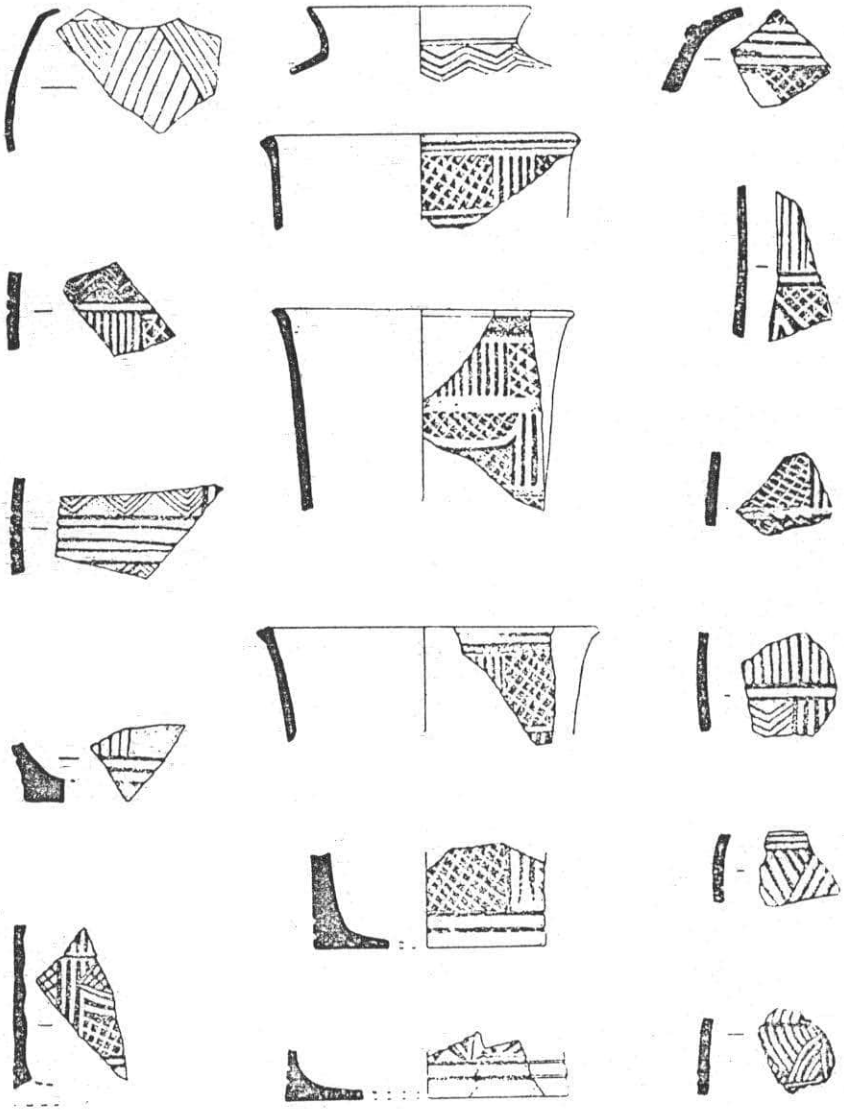


شـــكل (٢٠)

نماذج من فخار حضارة أم النار

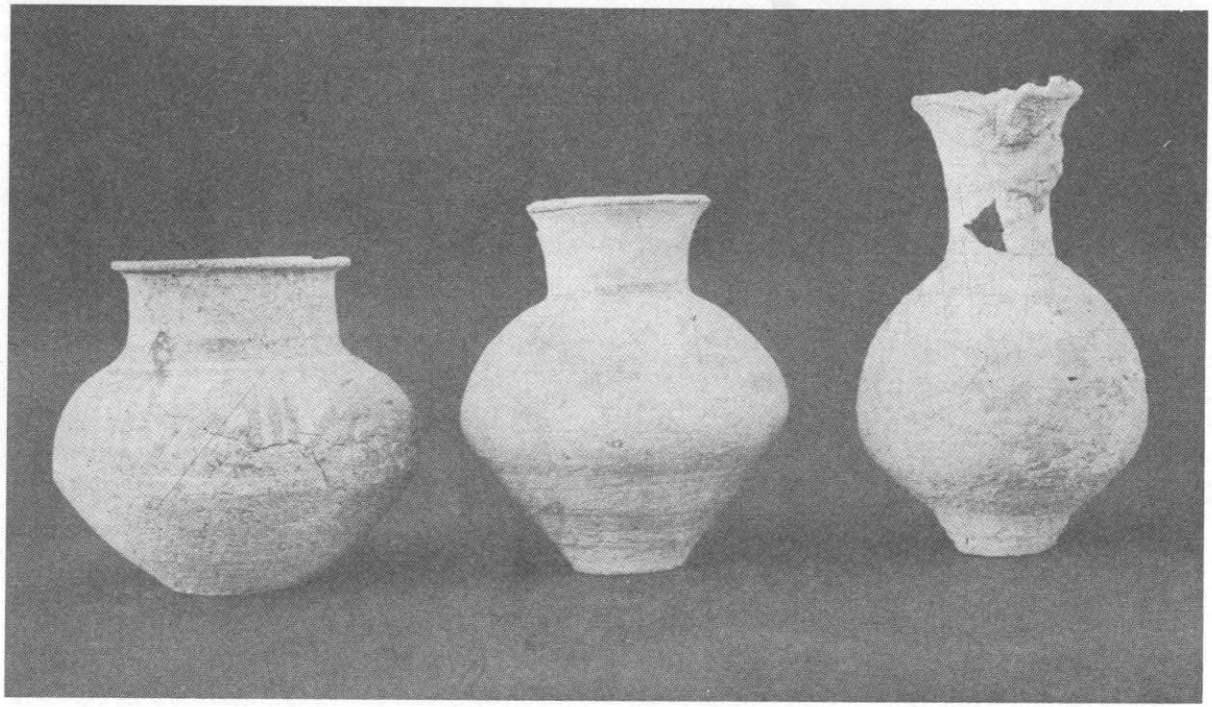


شـــكل (٢١)
منظر عام لموقع عملى تظهر فيه بعض المواقع الأثرية



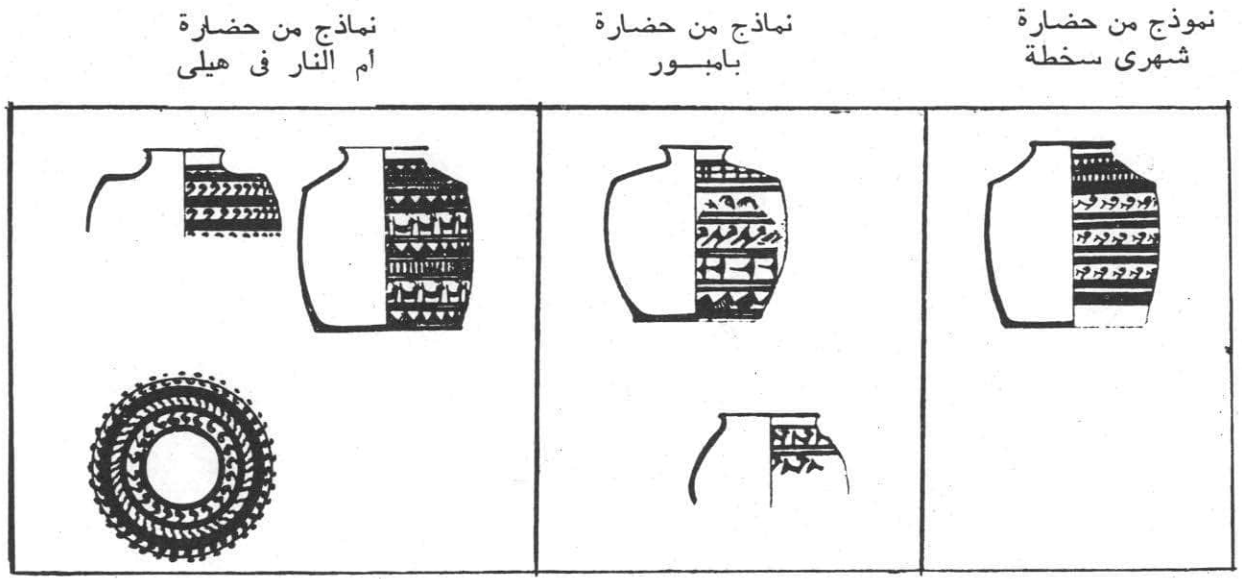
شـــكل (٢٢)

رسوم لبعض الشقف الفخارية الرمادية ذات النقوش المحزوزة
من موقع عملى



شـــكل (٢٣)

نماذج من فخار حضارة شهرى سخطة



شـــكل (٢٤)

بعض النماذج الفخارية من مواقع شهرى وسخطه
وبامبور وام النـــار تتضح فيها مدى وجه الشبه
فى التعبـــير الفنى فى الصـــــــناعة والزخـــرفة

أرض اللبان فى سلطنة عُمان (*)

عبد القادر الغسّانى

(*) كانت مكانة اللبان المادية والمعنوية فى العصور القديمة أعظم بكثير من مكانته فى العصر الحديث ، كما سيتضح من هذا البحث ، ولهذا وضعنا هذا البحث ضمن نشاط عمان فى العصور القديمة .

محتويات البحث

مقـــــــدمة :

الباب الأول

ظفـــار

الفصل الأول : الغموض ومنابت اللبان •

الفصل الثانى : أرض اللبـــان •

الفصل الثالث : المنـــاخ والتربة •

الباب الثانى

اللبـــان

الفصل الأول : اللبان فى لغات العالم •

الفصل الثانى : منابت شجرة اللبان •

الفصل الثالث : أنواع اللبـــان •

الفصل الرابع : ملكية أشجار اللبان •

الفصل الخامس: أسماء متعارفة محليا لشجرة اللبان •

الفصل السادس: وصف الشجرة •

الفصل السابع : أساطير حول الشجرة •

الباب الثالث

عملية استخراج اللبان

الفصل الأول : كيفية الحصول على اللبان •

الفصل الثانى : إدارة المنزلة •

الباب الرابع

طرق التعامل فى اللبان : ١٨٣٠ إلى ١٩٣٩

الفصل الأول : بين التجار وأصحاب المنازل •
الفصل الثانى : موسم النشاط التجارى للبان •
الفصل الثالث : من المنزلة إلى المدينة •
الفصل الرابع : فرحة اللبـــان •

الباب الخامس

استعمـالات اللبـــان

الفصل الأول : القدماء واللبـــان •
الفصل الثانى : سكان ظفار واللبان •

الباب السادس

تجـــارة اللبـــان

الفصل الأول : فى التاريخ القديم •
الفصل الثانى : فى التاريخ الحديث •
الفصل الثالث : هبوط تجارة اللبان •

الباب السابع

طـرق تصـدير اللبـان

الفصل الأول : من مناطق الإنتاج إلى الطرق •
الفصل الثانى : الطريق البحرى •
الفصل الثالث : طريق القوافل •
الفصل الرابع : من قنـا إلى « شبوة » •

الباب الثامن

اللبان والأطماع القديمة

الفصل الأول : اليونـــان •
الفصل الثانى : الرومـــان •

الباب التاسع

مدن وموانىء اشتهرت باللبان

ـ ميناء سمهرم •
ـ منطقة حنون •
ـ واحة أندهور •
ـ مدينة جرها •
ـ ميناء ظفار •
ـ ميناء مخا •
ـ ميناء قنا •

خاتمة

مصطلحات وردت بالبحث

المراجع

.....

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــــــــدمة :

كما تختلف المناسبات فى أهميتها فإنها تتباين أيضا فى مؤثراتها وفقا لمكانتها فى نفوس وعقول المحتفين بها ، انطلاقا مما وفرته هذه المناسبة من حياة كريمة ، وما قدمته لهم من عطاء متواصل ، تمكنوا به من بناء صرح شامخ ، استوعب كافة المجالات الحياتيه بكافة مستوياتها الفضلى ، وضمن توطيد أركانها ، واستمرار وجودها بكل المقاييس •

هذا البناء الراسخ الشامخ الذى لستعدت عمان عن بكرة أبيها للاحتفال به وتهيأت مستبشرة سعيدة لاستقباله •

تلك مسيرتنا الظافرة مجسدة فى عيدنا الوطنى العاشر الذى أكمل عقدا من الزمان ، واكبته مسيرة جادة ، تركت طابعها على إنجازات كانت أشبه شىء بالحلم ، وخلفت رصيدا كاد أن يقال إنه من نسج الخيال ، فهذه القفزة العملاقة حطمت كل الحسابات وشككت فى مؤشرات الخطوط البيانية ، إنها انعطافة جادة أذهلت محللى الأحداث ، ونهضة شاملة حفلت بكل صنوف العزم والتحدى ، ونظرة شاخصة إلى تطلعات رؤى المستقبل ، تمثلت كلها فى ابن عمان البار ، وقائد مسيرتها الملهم ، صاحب الجلالة السلطان المعظم « قابوس بن سعيد » حفظه الله تعالى •

لقد وهب نفسه لخدمة عمان فأحبها من أعماق حنايا قلبه ، وشغلت آلامها وآمالها جميع مناحى تفكيره ، فانطلق كالسيل المتدفق يكتسح الواهن ، ويقتلع الهش ، ويزيل الزبد ، ثم انثنى إلى الأرض الموات فأحياها بعـــد هلاك ، واستنبتها عقب جدب حتى أنبتت فاخضرت وأثمرت فجادت على من حولها بالعطاء المبذول ، وفاضت على الجميع فأغنتهم من فقر ، وانتشلتهم من بؤس •

تلك يد « قابوس » الحانية وهذه أفعاله البيضاء التى امتدت إلى كل من يمشى على أرض عمان .

فإلى جلالته يشرفنى أن أرفع أخلص آيات التهانى بهذا العيد المجيد الذى هو تتويج لفترة هى فى حساب الزمن قصيرة ، ولكنها بمقياس العمل جليلة وخطيرة ، وحياة الشعوب لا تقاس بالأيام والسنين بل بالانجازات التى تحققت فى كل الميادين .

وقد قفزت عمان ووثبت وثبة لا تجارى ولا تبارى ، فضحك لها الزمن وابتسم الحظ ، وجاءتها مواكب الأمانى والأحلام طائعة فى ظل رائد المسيرة المباركة ، وقائد النهضة الشاملة ، الذى أعطى لأمته كل وقته وجهده وتفكيره ، فكان أن قدم لها من النهوض ما ملأ سمع الزمن ، وبصر التاريخ .

شاد صرح الأمة شامخا على هام المجد بيد واعية بانية ، فاستمتعت بالاستقرار والتمكن والقوة ، وأصبحت تنظر من خلال حاضرها المشرق إلى مستقبلها المزهر .

أجل لقد غير وجه التاريخ ، وصحح مساره ، وأحل عمان المكانة العالية والمنزلة الرفيعة .

إن تاريخ الأمم جميعا هو تاريخ حكامها النابغين ، أقوياء النفوس والإرادة ، نابغى العقول ومعقد الريادة .

لقد رسم الهدف الصحيح أمام شعبه ، فكان عظيما نبيلا بقدر همته الكبيرة ، وعزيمته القوية ، وإرادته الصلبة التى جعلت الخطوب تنثنى له دون ان ينثنى هو لها ، لقد حدد المبادىء قبسا من نور الحق ، واستلهاما من يقين البصيرة ، فاللهم اكلأه بعنايتك ، واحفظه للأمة العمانية محققا للآمال مجليا فى كل مجال .

وإذا كانت هذه الأيام من تاريخ عمان هى أيام فرحتها بأعيادها ، هى مشرق الأمل فى زحفها ، هى مبعث النور على دربها ، فإنه يجب علينا أن نستضىء بشىء من تاريخها ، ونسترشد ببعض أمجادها •

لذلك فإننا نستضيف فى هذه المناسبة العطرة معلما شهيرا من معالم عمان ، تلك هى شجرة اللبان التى عطرت ببخورها القرون وأدارت أنباؤها رءوس الأباطرة •

جاءت هذه الاستضافة بناء على دعوة كريمة وجهها إلى صاحب السمو السيد فيصل بن على وزير التراث القومى والثقافة للمشاركة فى ندوة التراث العمانى ، الذى أقامته الوزارة احتفاء بأمجاد عمان وتتويجا لأعيادها ، فلبيت الدعوة شاكرا ، وأقبلت على العمل معتزا بالإسهام فى الكتابة عن إحدى ركائز تراث عمان التى فاقت خصائصها كل ما اكتشفه الأقدمون ، وعناهم للحصول عليها ما أثقل كواهلهم فى هذا السبيل •

ومن المؤسف أن يكون لشجرة اللبان فى التاريخ القديم تلك المكانة الفريدة والدور العظيم ، ولا نجد من أفرد لها بحثا أو استقصى أنباءها جمعا فى عصرنا الحديث • على كثرة ما جادت به قرائح الباحثين وعنيت به اهتمامات المؤرخين •

ولعل هذه المبادرة الذكية من قبل صاحب السمو معالى السيد فيصل بن على أن تكون طرقا لهذا الباب ، ومجالا تتفسح آفاقه لمعرفة أوسع ، ودراسات أشمل •

الباب الأول

« ظفـــــار »

الفصـــل الأول

الغموض واللبـــــان :

يسعدنى أن أتحدث عن معلم خالد من معالم تاريخ عمان ، ذاك هو شجرة اللبان فى ظفار ، تلك التى لعبت دورا مهما فى تاريخ عمان القديم والحـديث .

ويجدر بنا أن نذكر فى بداية هذه الدراسة ما ذهب إليه المؤرخون القدامى حول أصل شجرة اللبان ، التى تعرف من الأشجار المشابهة لها خمس وعشرون فصيلة تنمو فى حضرموت ، ففى كتابات متعددة لبعض المؤرخين والكتاب التقليديين أمثال « ثيوفريتس » (THEOPHRATUS) وسترابو (STRABO) « وأثنيوس (ATHENAEUS) « وأرستوتل » (ARISTOTLE) جاءت تلميحات الى أن البخور ذا الرائحـة العطرة لهو من ثروات جنوب الجزيرة العربية .

لكن لم يكن جميع هؤلاء الكتاب واضحين فى تحديد مناطق إنتاجه بالضـبط .

هذا ولقد ذهب الإغريقيون القدماء إلى أن أصل البخور هو الدورادو (ELDORADO) وهى كلمة تعنى موطنا أسطوريا ، وقد سعى الرومان والإغريق إلى معرفة موطن اللبان وقد قيل إن من أسباب حملة أغسطس المشئومة التى أرسل فيها اليوس جالس إلى الجزيرة العربية فى سنة أربع وعشرين قبل الميلاد كانت للكشف عن مصادر اللبان والذهب ، ولكن الحملة قد منيت بالفشل الذريع فى معركة مأرب .

ظل موطن اللبان غامضا بالنسبة للدول المستهلكة له طوال فترة بلغت تسعة عشر قرنا بعد حملة جالوس ، وقد أوضحت سجلات وكتابات بعض الجغرافيين والرحالة قدرا من المعلومات غير الدقيقة عن موطن اللبان .

أما هيرودوت فكان متأكدا أن موطن اللبان هو جنوب شبه الجزيرة العربية ، إلا أنه لم يهتد إلى تحديد البقعة المنتجة له فى جنوب شبه الجزيرة العربية .

وبما أن العرب الأذكياء أرادوا أن يستفيدوا من هذا الاعتقاد من أجل الاحتفاظ بأسواقهم دون منافس ، فإن قوارب الجلد الصغيرة التى كانت تجىء محملة باللبان من أثيوبيا إلى « قنا » قد حفظ أمرها سرا مظلما .

وقد استمر الحال كذلك حتى منتصف القرن التاسع عشر للميلاد عندما سطع شعاع من ضوء الحقيقة على أراضى ظفار ، على أنها هى مصدر إنتاج اللبـــان .

تم ذلك الكشف على أيدى دكتور « انش جى كارتر » الطبيب الذى كان مبحرا على سفينة شراعية اسمها « بالينيورس » (PALINURUS) فى محازاة الساحل الجنوبى لشبه الجزيرة العربية .

تمكن دكتور « كارتر » خلال هذه الرحلة من دراسة اللبان الذى أكد أن مركز إنتاجه فى شبه الجزيرة العربية هو « ظفار »[1] .

ومن المحتمل أن يكون جهل الغربيين خلال هذه الحقب الطويلة من التاريخ بتحديد منطقة إنتاج اللبان فى جنوب شبه الجزيرة العربية على الرغم من حاجتهم إليه ، وارتباطه بمقدساتهم الدينية ورواج تجارته فى أسواقهم ، وغلاء ثمنه عندهم ، كان مرده ما عمد إليه منتجو اللبان من تعمية الحقائق وتضليل الطامعين توقعا منهم أن يقوم هؤلاء الطامعون بسلب مناطق إنتاجه . أو السيطرة عليها إذا ما اهتدوا إليها .

---

(١) وندل فليبس : عمان المجهول — طبعة ١٩٧١ صفحة ١٨٣ .

الفصـــل الثانى

أرض اللبـــــــان :

يحق لنا أن نتحدث عن أرض اللبان ، عن هذا الجزء الغالى من سلطنة عمان ، عن الأرض التى احتضنت أشجار اللبـــان ، وحنت عليه ، وأمدته بمقومات الحياة ، فأغدق عليها اللبان حقبة من الزمن ، ووجه إليها أنظار دول عريقة فى الحضارة ، وقوى الأواصر بين تلك الدول وهذه الأرض .

ما كان للإغريقيين وللرومانيين القدامى أن يعلموا علمنا نحن اليوم أن المر يجىء إنتاجه من المنطقة التى تقع مباشرة إلى الشرق من اليمن ، كما يجىء اللبان من الإقليم الذى يتاخم منطقة المر من الجهة الشرقية لها وهذا هو إقليم ظفار الذى نحن بصدد الحديث عنه .

عندما يقارن إقليم « ظفار » بمعظم مناطق شبه الجزيرة العربية يستحق بجدارة ذلك الاسم الذى أطلقه عليه وندل فلييس فى كتابه عمـــان المجهول وهو « جنة المناظر الخضراء » ، ذلك لما فيه من المجـــالات الرحبة الفسيحة ، والخيرات ، والبحيرات ، والشلالات التى تنحدر من جبال شامخة فى الارتفاع ، شديدة الانحدار ، مكسوة لفترة من العام بأعشاب خضراء تتخللها أشجار نفضية ، فهى حقا جنة خضراء ، تميزت إلى جانب الخضرة بالتجانس الذى هو من صفات القارة الآسيوية .

الموقـــع والمســـــاحة :

إن مساحة المنطقة الجنوبية (ظفـــار) تقدر بحوالى مائة وعشرين ألف كيلو متر مربع وهى جزء من سلطنة عمان ، تقع على بعد أربعمائة وستين ميلا بحريا غربى العاصمة مسقط ، وتشكل مساحة هذا الإقليم ثلث مساحة السلطنة ، وتحدها من الغرب جمهورية اليمن الجنوبية ، ومن الشمال المملكة العربية السعودية ، ويمكن تقسيم المنطقة الجنوبية (ظفار) ثلاثة أقسام رئيسية :

القسم الأول : هو السهل الساحلى الخصيب الممتد على طول ساحل بحر العرب ، حيث تقع عاصمة المنطقة الجنوبية (صلالة) •

أما القسم الثانى : وتمثله جبال ظفار الممتدة من الغرب إلى الشرق والتى يبلغ أقصى ارتفاع لها ألفا وستمائة متر ، وتقع شمالى السهل الساحلى مباشرة ، ويبلغ طولها حوالى مائتين وواحدا وثلاثين كيلومترا •

ويبقى القسم الثالث : وهو ما يلى الجبال إلى الشمال وتمثله منطقة النجد الصحراوية ، التى تتوغل حتى رمال الربع الخالى عند حدود المملكة العربية السعودية •

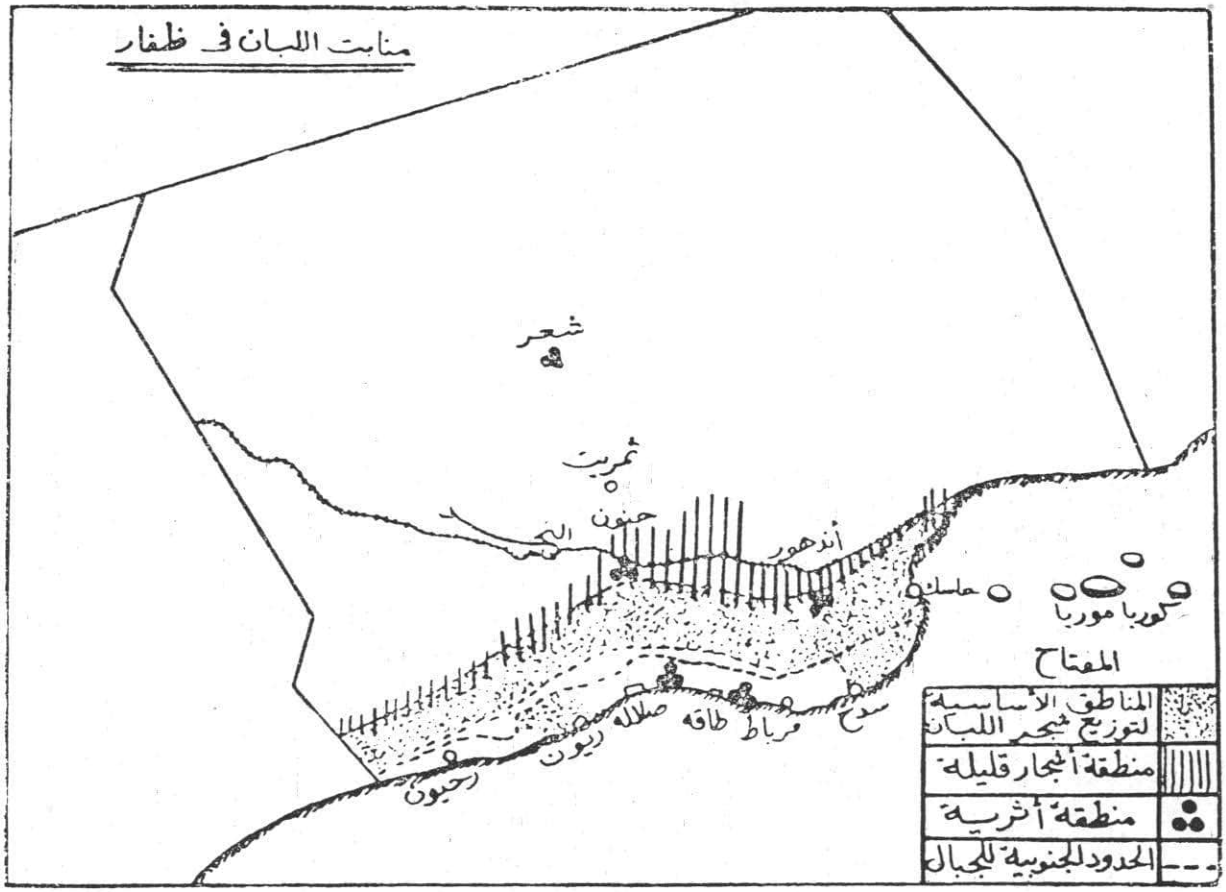
المنـــــاخ والســـــكان :

حبا الله هذه المنطقة مناخا له ميزات وخصائص يختلف بها عن سائر جنوب شبه الجزيرة العربية ، ففى فصل الصيف حيث تلتهب المناطق المجاورة من شدة الحر ، تهب على المنطقة رياح موسمية من جهة الجنوب فتتسبب فى هطول الأمطار على منحدرات الجبال ، والسهول الساحلية وذلك من شهر يونيو وحتى شهر سبتمبر •

إن تباين الطقس هذا ، وتنوع طبيعة الأرض قد أديا إلى وجود ثلاث مجموعات من السكان ، الذين يبلغ تعدادهم حوالى ثمانين ألف نسمة •

تختلف كل مجموعة من المجموعات الثلاث فى أسلوب معيشتها عن الأخرى • فالحضر الذين يقطنون السهول الساحلية يشتغلون بالزراعة وصيد الأسماك ، والتجارة والخدمات المختلفة •

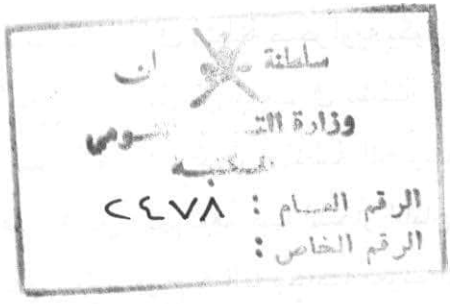
أما سكان الجبل فحياتهم مستقرة إلى حد ما ، حيث أنهم يقطنون مناطق سقوط الأمطار ، وقلما يبتعدون عن مناطق إقامتهم ، وهم يعتمدون فى معيشتهم على تربية المواشى ولاسيما الأبقار •


منابت اللبان فى ظفار
شعر
ثمريت
حنون
البحر
أندهور
حاسك
كوريا موريا
سدح
مرباط
طاقه
صلاله
ريون
رحبوت
المفتاح
المناطق الأساسية لتوزيع شجر اللبان
منطقة أشجار قليلة
منطقة أثرية
الحدود الجنوبية للجبال



أما المجموعة الثالثة والأخيرة فهى مجموعة البدو الذين يربون قطعان الإبل ، والماعز ، ويسكنون منطقة النجد .

بعد هذه العجالة السريعة عن المنطقة الجنوبية (ظفار) نود أن نحدد العوامل التى ساعدت على نمو أشجار اللبان بها .



الفصـــل الثالث

المنـــــاخ والتربة :

إن المناخ فى المنطقة الجنوبية يكاد يكون هو العامل الأول والمباشر فى كون المنطقة الجنوبية (ظفار) هى المنطقة المنفردة بإنتاج معظم — إن لم يكن كل — اللبان فى جنوب شبه الجزيرة العربية • ويرجع هذا إلى أن اقليم ظفار قد انفرد بمناخ فريد من نوعه فى شبه الجزيرة العربية قاطبة ، حيث ينتشر الضباب والرذاذ المائى بسبب الرياح الموسمية الجنوبية الغربية التى تهب على المنطقة ، وهى مشبعة بالبخار المائى ، مما يسبب أمطارا صيفية (يونيو وحتى سبتمبر) ، يتراوح قياسها بالبوصات بين خمس على السهل الساحلى وخمس عشرة على السفوح الجنوبية للجبال ، وتعتبر هذه الجبال هى خط تقسيم المياه ، بمعنى أنه عندما تخترق السحب جبال ظفار تكون قد تخلصت من قدر كبير من بخار الماء الذى ترسبه فى شكل أمطار على السفوح الجنوبية ، أما السحب التى تتمكن من اختراق هذه الجبال فانها تتبخر على السفوح الشمالية للجبال ، على حدود النجد الجنوبية مسببة ارتفاعا هائلا فى درجة الرطوبة النسبية فى منطقة صحراوية يكون معدل الحرارة فيها عاليا • مثل هذا المناخ الذى قل أن يوجد فى منطقة غير هذه يصلح لنمو شجرة اللبان دون سواه • لذا نجد أن المنطقة الجنوبية من نجد ظفار فى سلطنة عمان هى أهم المناطق التى تنمو فيها أشجار اللبان ، بيد أن من اللبان ما ينمو فى شعاب الأودية وسفوح جبالها وخاصة بغرب المنطقة •

ان عوامل التعرية فى المنطقة التى وصفنا مناخها آنفا قد لعبت دورا هاما فى ترسيب التربة الجيرية الكلسية التى هى أصلح أنواع التربة لنمـــو شجرة اللبـــان •

هذه العوامل المتمثلة فى ارتفاع درجة الرطوبة النسبية فى منطقة ذات تربة جيرية كلسية ، بالإضافة إلى ارتفاع منسوب الحرارة خاصة فى الفترة ما بين أبريل وأكتوبر ، كل هذه ساعدت على خلق ظروف ملائمة لنمو شجرة اللبـــــان •

الباب الثانى

اللبـــــــــان

الفصـــل الأول

اللبـــان فى لغات العـــالم :

من الأهمية بمكان أن يلم القارىء بتعريف موجز أو تقديم لمسميات اللبان فى اللغات المختلفة ، حيث يعرف اللبان بأنه مادة راتنجية تنسكب من شجرة تنتمى إلى الفصـــيلة النباتية التى تعرف باســـم بوزويليا كارتيرى (BOSWELLIA CARTER) أو بوزويليا ساكرا (BOSWELLIA SACRA) ، وعندما تنسكب هذه المادة الراتنجية من الشجرة ، وتتعرض إلى الهواء فإنها تجف فى شكل صمغ بلورى يعرف باسم اللبان (LUBAN) فى اللغة العربية ، ويعرف فى اللاتينية باسم أوليبانم (OLIBANUM) • أما فى اللغتين الفرنسية والألمانية فيسمونه انسينس (ENCENSE) ، وفى اللغة الإغريقية يطلقون عليه اسم لبانوس (LIBANOS) • هذا وفى اللغة الفارسية ، وكذا فى الهندية فانهم يسمونه كندر (CONDUR) ، واسمه فى اللغة الإنجليزية فرانكنسينس (FRANKENCENSE) •

الفصـــل الثانى

منابت الشـــــجرة :

فى هذا الجزء من جنوب شبه الجزيرة العربية (ظفار) وكأثر للظروف المتمثلة فى المناخ الرطب ، وفى التربة الكلسية توزع نمو أشجار اللبان على طول حزام يمتد بالتوازى مع الساحل ، آخذا فى الاتساع عندما يتجه شرقا حتى ينتهى بمحاذاة خليج كوريا موريا ، ويبلغ اتساع عرضه هنا حوالى ثمانين كيلو مترا •

أما من الناحية الغربية فإنه يضيق تدريجيا حتى يتلاشى تماما ، وذلك إلى الشمال من رأس فرتك •••

وفى هذا النطاق الممتد من الغرب إلى الشرق تنبت أشجار اللبان ، وقد تباينت تباينا كبيرا من منطقة إلى منطقة أخرى ، فعلى الرغم من أن أجود أنواع اللبان ــ سواء فى جنوب شبه الجزيرة العربية أو فى الدول الأخرى المنتجة له ــ هو لبان ظفار ، إلا أن أجود أنواع لبان ظفار هو ما تنتجه المنطقة الجنوبية الشرقية ، وخاصة شمالى جبال سمحان ، كما تقل الجودة فى المنتوج كلما اتجهنا غربا • وهذا يرجع إلى تأثير المناخ ، فالأشجار القريبة من مناطق المطر تكون أقل جودة من الأشجار البعيدة عنها •

ومن المناطق التى تكثر بها أشجار اللبان منطقة « حوجر وسمحان » بجبال سدح فى أقصى الشرق ، وتتميز هذه المنطقة باقتراب الأشجار بعضها من بعض ، مخالفة بذلك أشجار اللبان فى منطقة « عيون بالنجد » •

الفصـــل الثالث

أنواع اللبـــــــان :

قسم اللبان من حيث الجودة إلى أربعة أنواع ، أجودها اللبان **الحوجرى** وتنمو أشجاره فى الأجزاء الشرقية من المنطقة .

ويليه فى الجودة النوع الثانى المعروف باسم **النجدى** ، وهو الذى تنمو شجرته فى منطقة نجد الواقعة إلى الشمال من مرتفعات ظفار الوسطى .

أما فى المرتبة التالية فيأتى النوع الثالث المسمى **بالشزرى** . وتنمو أشجاره فى الجزء الغربى بين النجد ومنطقة سقوط الأمطار . أما أقل أنواع اللبان جودة فهو النوع الرابع المسمى **بالشعبى** ، وتنبت أشجاره فى السهول الساحلية والشعاب التى تصيبها الأمطار . وكلما كانت الشجرة بعيدة عن منطقة سقوط الأمطار ، جاد إنتاجها من حيث الكم والنوعية ... ومقياس الجودة هو اللون والنقاء . فاللبان ذو اللون الأبيض المشوب بزرقة تشبه زرقة السماء والخالى من الشوائب ، هو أجود أنواع اللبان وأغلاها ثمنـــا ، وتقل الجودة كلما مال لون اللبان إلى ما يقرب من الاحمرار أو اختلط بشـــوائب أخـــرى .

هذا وعندما يجنى اللبان يتعرض المحصول إلى عملية فرز بها تتقرر الأصناف أو الدرجات . فالصنف الأول يسمى لبانه **باللقط** ، وهو يمثل أعلى درجة فى الجودة . وكما توحى التسمية فإن اللبان اللقط هو عبارة عن الفصوص النقية البيضاء ، التى تلقط وتنتقى من محصول اللبان ، ويترك اللبان الملوث ذو اللون الأصفر والمائل إلى الحمرة .

أما إذا تعرض محصول اللبان إلى عملية التقاط الحجارة ولحـــاء

الشجر ، فإن الناتج وهو عبارة عن لبان نظيف يسمى **بالمطيب** وهو أقل درجة من **اللقط** •

الصنف الثالث وهو من الدرجة الثالثة ، أى لبان عادى فهو ما يجمع من اللبان دون أن يتعرض المحصول إلى فرز بإحدى الطريقتين المذكورتين •

الفصـــل الرابع

ملكية أشجار اللبان :

إننا قد نتساءل عن المالكين لأشجار اللبان فى المواقع التى ينبت فيها ، تملك هذه الأشجار القبائل التى تسكن بالقرب من منابت أشجار اللبان أو تبعد عنها ، ولكنها غالبا ما تنتمى إلى نفس القبيلة المنسوبة إلى هذه الأرض وتنتقل ملكية هذه الأشجار من فرد إلى آخر من أفراد القبيلة أو إلى فخذ من أفخاذها حسب ما تمليه ظروف القبيلة ، ويسود بينهم من أعراف وتقاليد مرعية ، إن هذه المواقع مقسمة إلى منازل ، والمنزلة هى مساحة من الأرض لها حدود معينة ، انتشرت فيها أشجار اللبان وكل منزلة تخص قبيلة معينة ، مع اختلاف هذه المنازل بعضها عن بعض فى المساحة وفى كثرة الأشجار أو قلتها • ولكل منزل حدود معينة متعارف عليها ، وقد تتخذ الأحجار والصخور علامات لتمييز المنازل بعضها عن بعض ، منعا للنزاعات والصراعات بين من لهم الحق فى السيطرة على أشجار اللبان •

ومن مظاهر حب هذه المنازل والاعتزاز بها أنه أصبح من المتعارف عليه هنا أن المرأة لا ترث فى أشجار اللبان ، فهى تتنازل عن حقها للوارثين من الرجال ، وتعوض عن هذا الحق بأشياء مادية أخرى كالماشية أو النقود • وليس هذا فى اعتقادهم من قبيل التعسف ، أو الإجحاف بحق المرأة ، بل كل قبيلة تهتم بالحفاظ على المنازل التى تستغل أشجارها من أن ينتقل حق استغلالها إلى قبيلة أخرى ، خاصة إذا تزوجت المرأة فى قبيلة غير قبيلتها — هذا وينتقل حق استثمار الأشجار من شخص إلى آخر عن طريق البيع أو الإرث •

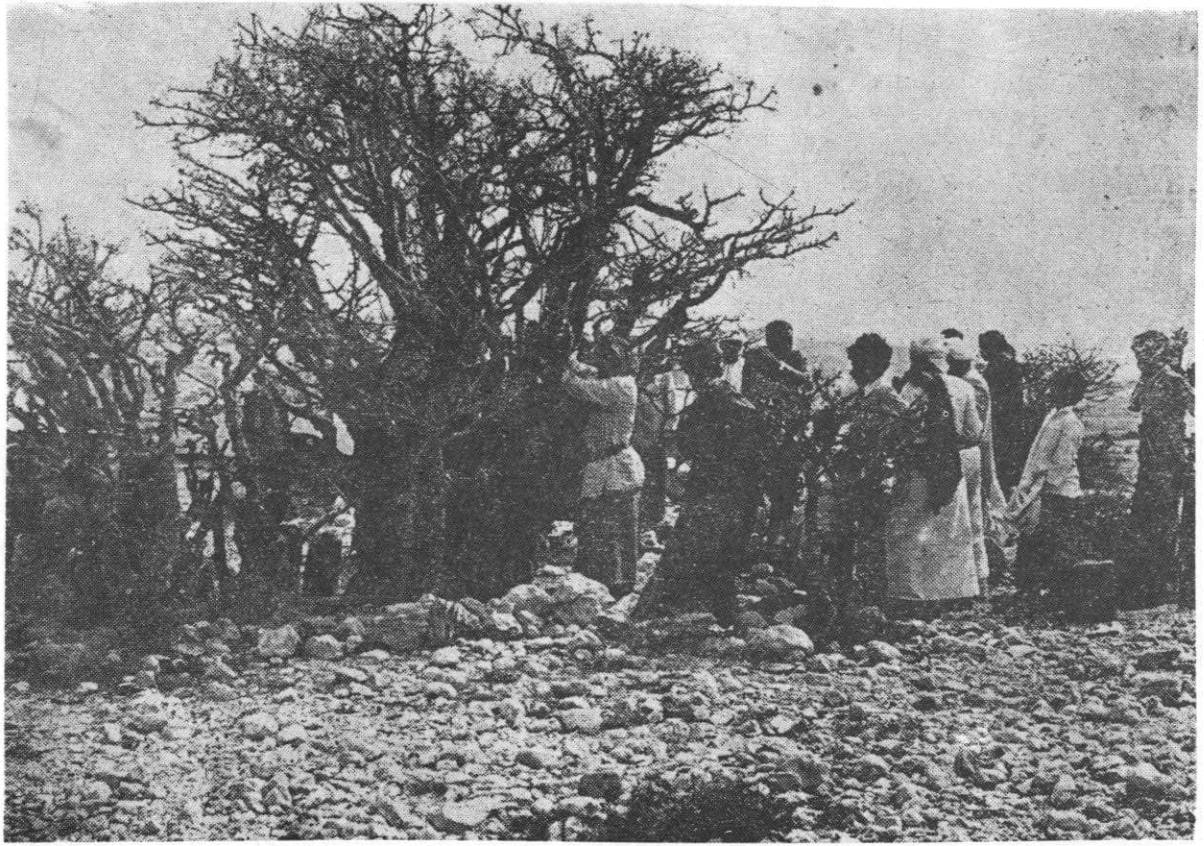
الفصل الخامس

أسماء متعارف عليها محليا لشجرة اللبان :

من المصطلحات المتعارف عليها هنا فى بيئة اللبان أن الشجرة التى تدر اللبان تسمى « **مغـــرة** » • والشجرة التى لا تعطى لبانا ، أو تعطى ولكنه قليل ، فانهم يسمونها « **التيس** » ، وهو الذكر الذى يقوم بعملية اللقاح التى تتم بواسطة الرياح • وهو فضلا عن ضآلة الكمية التى يعطيها ، فإن لبانه أقل جودة مما تعطيها المغرة أو أنثى اللبان •

وعندما تنبت الشجرة وتأخذ فى النمو قليلا فانهم يسمونها « **التَّلِيَّة** »•

وشجرة اللبان من النباتات البرية ، التى تنبت وتنمو دون حاجة إلى جهد الإنسان ، وهذه الشجرة قد تنمو فى مجموعات صغيرة ، وقد تنمو بمعزل عن الأشجار الأخرى فى المنزلة متباعدة أو متقاربة •



الشـــجرة المغـــرة

الفصل السادس

وصـف الشـــجرة :

ارتفاع شجرة اللبان يصل فى العادة إلى ثلاثة أمتار ، وهى قادرة على التكيف مع البيئة التى تنمو فيها ، فهى تحتفظ بالطراوة ولذا يمكن اعتبارها من النباتات القادرة على تحمل الجفاف •

أما شكلها فانه أشبه بأجمة ، فهى أقرب إليها من كونها شجرة ، حيث أن أغصانها تتفرع رأسا فوق سطح الأرض ، ولهذا لا تكاد تميز جذعها الرئيسى •

وأما أوراقها فهى خضراء داكنة ، تشبه إلى حـد كبير أوراق شجرة الزيتون ، وتسمى هذه الأوراق « بالثّال » ، ويعتز البدوى بهذه الأوراق علفا للجمال والماعز • ولأغصان شجرة اللبان قيمة هى الأخرى فى حياة البدو ، حيث تتخذ وقودا • وقد أدت هذه الاستعمالات إلى تناقص ملحوظ فى أشجار اللبان فى ظفار ، خلال الحقبة القريبة الماضية •

وتنبعث رائحة محببة من أوراق الشجرة كتلك التى تنبعث من اللبان نفسه • وتحمل الشجرة فى أغصانها أزهاراً يميل لونها إلى البياض ، ويطلق البدو على الزهرة اسم « **البغوة** » ، كما تسمى عناقيد الزهر بما فيها الحبوب باسم « **الثرميت** » • وتتشكل فى الزهرة حبوب خضراء ، وعندما تجف هذه الحبوب تتحول إلى اللون الأسود ، وهذه الحبوب هى السبب فى تكاثر شجرة اللبان ، عندما تجف وتسقط على الأرض •

هذا وتصلح عناقيد الزهر لتتغذى منها الإبل والأغنام أيضا ، وبعض أشجار اللبان معمر ، فقد قال لنا المهتمون بأمر هذه الأشجار إن بعضها قد استغله أجدادهم من قبلهم •

أما متى تصبح الشجرة قادرة على العطاء ، فقد تباينت الآراء حوله ولكنها متقاربة ، فقد قيل إن الشجرة تعطى بعد ثمان سنوات من الإنبات والنمو • وقيل بعد عشر سنوات ، وأقرب الآراء إلى الصواب ذلك الذى يقول إنها تعطى عندما تكون قادرة على تحمل الضربات ، إذ أن سرعة نمو الشجرة تختلف من منطقة إلى منطقة أخرى تبعا لما تسقط عليها من أمطار ، واستجابة للتربة التى تنبت فيها وغنى هذه التربة بمقومات حياة الشجرة أو فقرها •

هذا وقد روى أن الملكة حتشبسوت ملكة مصر قد حاولت ، بعد تهيئة نفس الظروف المناخية المناسبة ، أن تزرع شجرة اللبان فى مصر ، ولكن الشجرة رفضت الإنبات فى عناد ، فى حين أنها تنمو فى موطنها الأصلى (البرارى) دون أن تنال رعاية خاصة حتى اليوم[١] •

---

(١) دتشس أوف سنت البان : حيث وقف الزمن : صورة عمان — طبعة ١٩٨٠ — صفحة ١٨٠ .

الفصـــل السابع

أساطير حول الشجرة :

إن الأساطير التى كانت تحاك حول شجرة اللبان كثيرة ، وكان مصدرها شعور الناس فى مناطق الإنتاج بأهمية الشجرة ، ومحاولتهم ا لتمسك بها دون أن ينافسهم فيها أحد ، خاصة وأنها شجرة برية لا يقوم بزراعتها أو سقيها أو رعايتها أحد •

هذا وقد قيل أن هذه الأساطير ربما حيكت من أجل الحفاظ على أسعار اللبان ، التى يسعى الجميع لجعلها فى مستوى عال دون أن تنخفض •

ومن الأقاصيص المبنية على الخيال أن العائلات القليلة التى تحتكر أشجار اللبان وإنتاجه ، قد توارثت هذه الحرفة أبا عن جد ، ورعت شجرة اللبان التى لها بطبيعتها حراس ساعدوا على هذه العوائل فى حماية الشجرة ورعايتها • هؤلاء الحراس الذين يساعدون العوائل المشتغلة بجنى اللبان هم أصلا ثعابين صغيرة ذات أجنحة ، لها ألوان متعددة زاهية ، وهى تطير من الشجرة بعيونها المضيئة ، مرسلة الشرر والنار من أفواهها تجاه كل شخص تسول له نفسه أن يمس الشجرة بسوء[1] • وقد وصف « فلبيس » فى كتابه « عمان المجهول » هذه الثعابين بأنها فى حجم الجرادة ، وتحوم عادة حول الشجرة باعثة أبخرة خانقة فى الجو من شأنها أن تكتم أنفاس كل معتد على الشجرة •

أما « دتشس أوف سنت البان » فقد ذهبت فى ذكر هذه الأساطير إلى أن قالت أن العوائل التى ترعى وتستفيد من شجرة اللبان تعتبر بمثابة عوائل مقدسة ، وعليها (العوائل) أن تخضـــع إلى طقوس وقوانين وقواعد

---

(١) دتشس أوف سنت البان : حيث وقف الزمن : صورة عمان — طبعة ١٩٨٠ — صفحة ١٨٧ •

وسلوكيات معينة ، خاصة فى موسم ضرب أشجار اللبان ، حيث تحرم على رجالهم جميع أنواع الاتصال بالنساء • بل وقيل يجب على الفرد أن يحافظ على أن يكون نظيفا ، وقد قيل أن مجرد النظر إلى جنازة مارة بالطريق ، يكفى لأن يجعل الشخص ملوثا لا يحق له الاقتراب من الشجرة بحال •

هذه الأساطير ربما كان الدافع إلى حياكتها هو تنفير الطامعين فى الحصول على هذه السلعة العزيزة بغير وجه حق فيها •

ولا تفوت على فطنة القارىء أن هذه الأساطير كان مبعثها أيضا الخوف من المعتدين الذين قد يطمعون فى الحصول على محصول الشجرة ، أو المشاركة فيه ، أو جنيه خلسة ، أو قطع أغصان الشجرة لاستعمالها فى الوقود ، فهى إذن صيغت عن قصد ، ألا وهو بث الرعب والخوف فى نفوس كل معتد • ولا يخفى على القارىء أن المجتمعات القدامى كانت أخضع لعاطفتها من سلطان العقل فكان من اليسير أن يؤمن بهذه الأساطير الكثير والكثير من الناس •

هذا ولربما كان مبعثها ما كان لهذه الشجرة (شجرة اللبان) من مكانة قدسية فى نفوس كثير من الناس •

الباب الثالث

عمليـــة اســـتخراج اللبـــــان

الفصـــل الأول

كيفية الحصـــول على اللبان :

يجمع اللبان كل سنة بنفس الطريقة المعتادة ، ففى بداية شهر أبريل عندما تبدأ الحرارة فى الارتفاع يبدأ المشتغلون بجمع اللبان بجرح « ضرب » الشجرة فى عدة مواضع تتراوح بين عشرة إلى ثلاثين موضعا ، حسب حجم الشجرة ، بأداة صغيرة تسمى « المنقف » ، والمنقف آلة ذات يد خشبية ورأس حديدى حاد مستدير الشكل .

تضرب الشجرة الضربة الأولى التى تسمى « التوقيع » وهى عبارة عن كشط القشرة الخارجية لأغصان وجذع الشجرة ، يتلو الضربة نضوح سائل لزج حليبى اللون نوعا ما (يعرف عند الصينيين باسم اللبان الحليبى) من جسم الشجرة ، ما يفتأ أن يتجمد ، فيترك هكذا لمدة تقرب من أسبوعين إلى ثلاثة ، ثم تبدأ المرحلة الثانية فى استخراج اللبان من المواقع المكشوطة فى عملية التوقيع .

أما ذلك السائل الذى ينضح فى المرة الأولى فانه يكشط الى الأرض عندما تبدأ عملية الجرح الثانية ، اذ أن نوعية اللبان فى هذه المرة لا تكون جيدة بالإضافة إلى أن كميته غير تجارية ، أما الجمع الحقيقى فانه يبدأ بعد أسبوعين من الجرح الثانى ، حيث تنقر الشجرة مرة ثالثة وهنا ينضح السائل اللبانى ذو النوعية الجيدة ، والذى يعتبر تجاريا من كافة الجوانب ، ويكون لونه مائلا إلى الاصفرار .

وما يلبث أن يبدأ فى التجمد إما على الشجرة نفسها ، أو يسقط منه على الأرض إذا كانت الشجرة غزيرة الإنتاج • وإذا كانت الضربة الأولى للشجرة تسمى التوقيع ، فإن الضربات التى تتلو التوقيع تسمى كل منها « **السعف** » ، فالضربة الثانية تسمى السعف الأول ، والثالثة تسمى السعف الثانى ، والرابعة تسمى السعف الثالث وهكذا •••

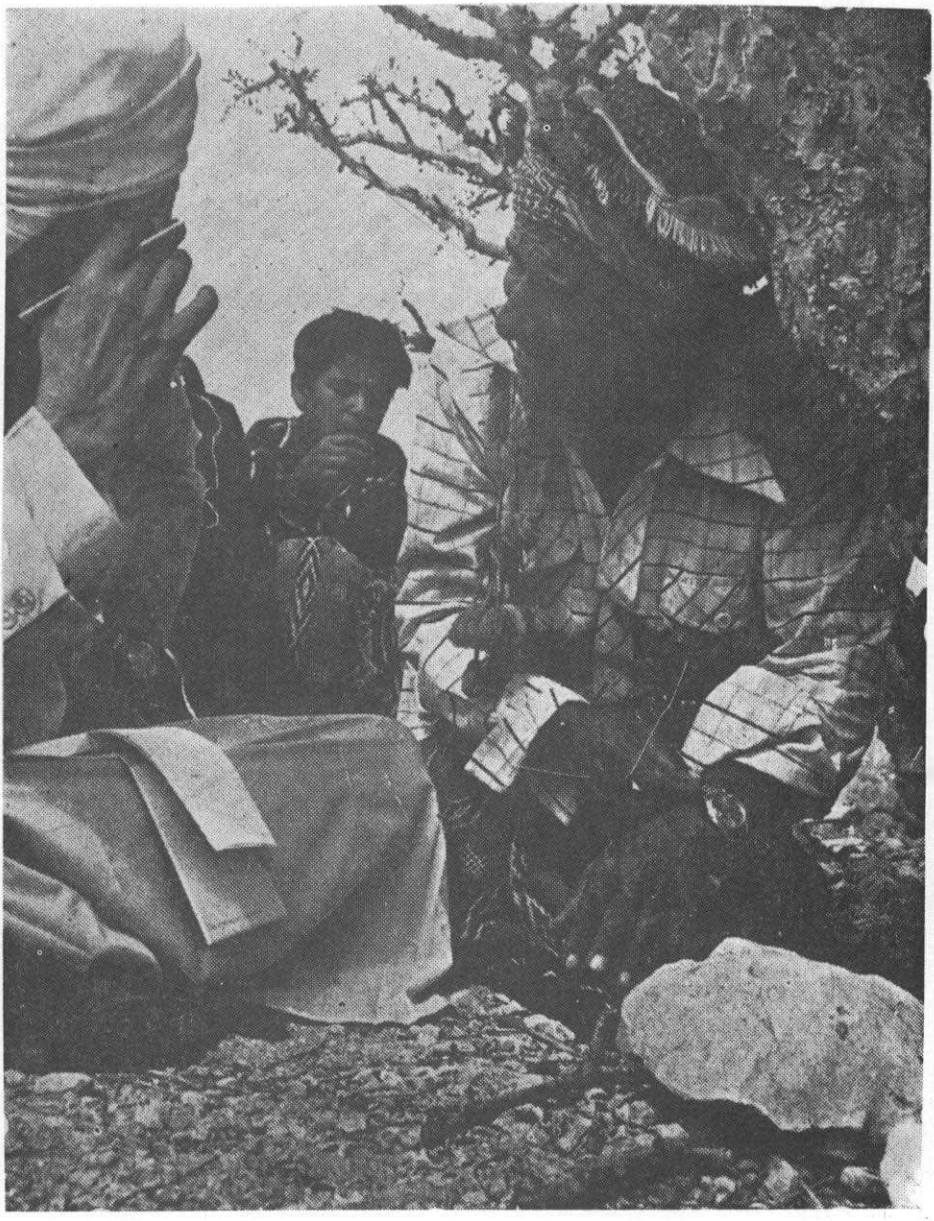
وتتم عملية ضرب الشجرة لثلاث أو أربع سنوات متتالية ويحافظ المواطنون على أن تكون عمليات الضرب دورية بين أشجار المنزلة الواحدة • ولوحظ أنه عندما تضرب الشجرة فى شهر أبريل يكون إنتاجها أوفر ، وذلك يعزى إلى أن شدة الحرارة تساعد عادة على ارتفاع منسوب انسكاب السائل الحليبى من الشجرة • وقد ذكرنا أن أجود أصناف اللبان هو اللقط •

تجدر الإشارة هنا إلى أن عملية ضرب أشجار اللبان عملية فنية لا يستطيع كل شخص أن يقوم بها بصورة فعالة صحيحة ، فهى تحتاج إلى مران وخبرة ، وقد يؤدى الخطأ فيها إلى الحاق العقم بالشجرة ، فالعامل يحذر كل الحذر من أن يصيب لب الشجرة ، ثم إن ضرباته تختلف من شجرة إلى شجرة حسب حجمها • كما أنه يملك القدرة على تمييز الجيد من الردىء من نوعية اللبان حسب خبرته •

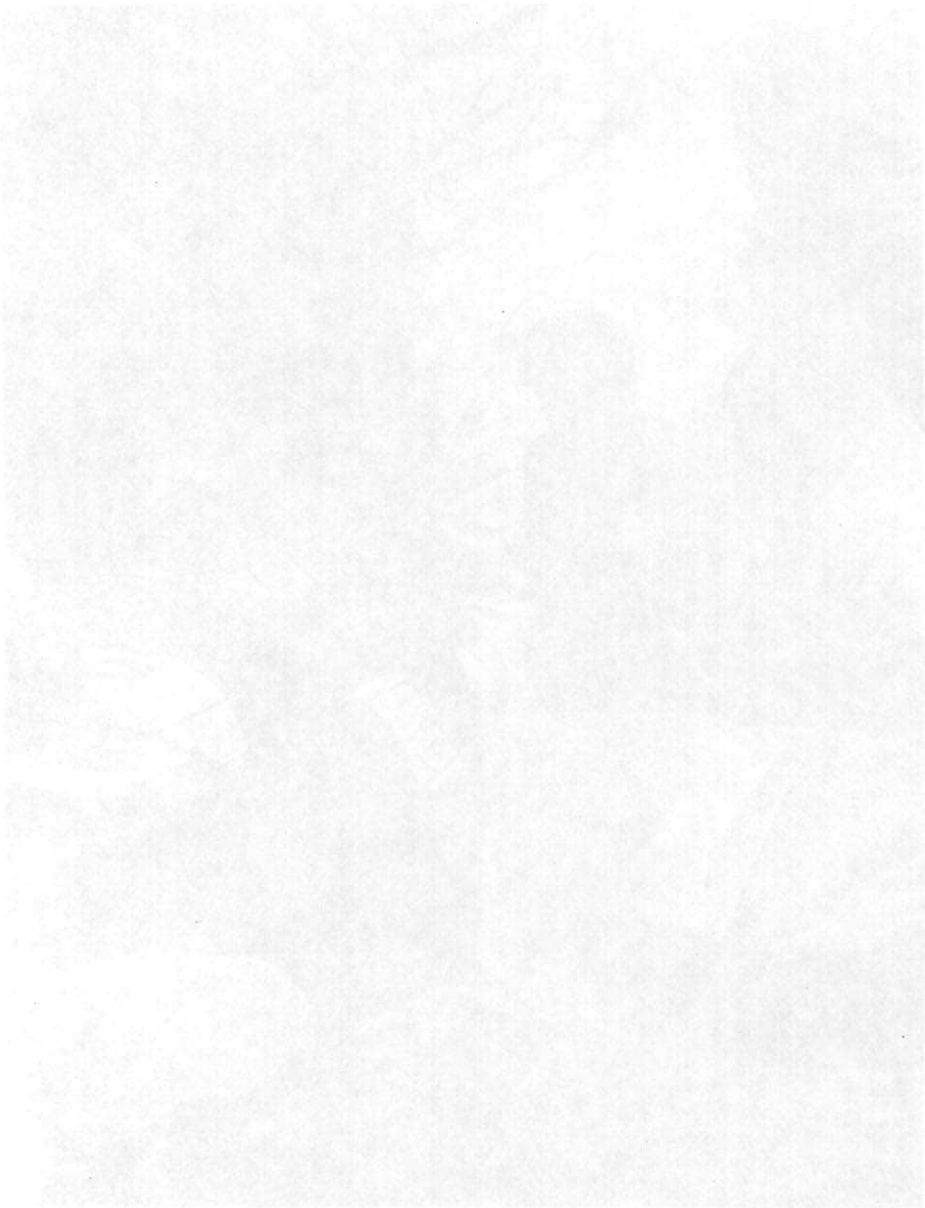
بعض الشجر يكون غزير الإنتاج فيسقط السائل الذى يفرزه على الأرض •

ويطلق على الشجرة فى هذه الحالة اسم « الغفل » ، أى التى مضت عليها فترة لم تستغل ، وتشبعت بما يلائمها من التغذية الكافية بسقوط الأمطار غير الموسمية وتوفر التربة الجيدة •

ويستمر جمع اللبان طوال ثلاثة أشهر تقريبا حتى أكتوبر أحيانا ، حيث يتم تجميع اللبان بشكل دورى منتظم •



الكاتب فى مناطق الإنتاج



ويجمع اللبان فى سلة مستديرة من الخوص تسمى محليا « **قفير** » وبالمهرية « **زمبيل** » .

وعندما يتوقف الإنتاج وتترك الشجرة يسمى ذلك « **بالكشم** » .

ويبيح أصحاب المنزلة للمحتاجين والعجزة انتزاع القشرة الجافة بعد السعف الأخير شريطة أن يكون ذلك بدون جرح الشجرة .

وغالبا ما يكون فى هذه القشرة لبان من نوع غير جيد ، ومالكو الأشجار يعتبرون ذلك تطهيرا لأشجارهم لتدرّ الخير فى مطلع العام القادم .

ومتوسط ما تعطيه الشجرة من اللبان هو عشرة كيلو جرامات خلال الموسم الواحد ، وهناك أشجار تدر أكثر من ذلك ، إلى حوالى عشرين كيلو جراما .

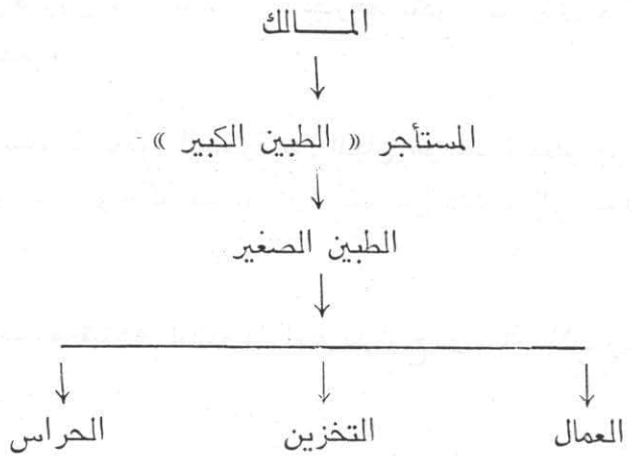
ومتوسط ما تنتجه المنطقة فى العام يتراوح بين ستة آلاف وسبعة آلاف طن من اللبان .

الفصـــل الثانى

إدارة المنزلة :

المنزلة هى عبارة عن تجمع الأشجار فى بقعة واحدة يعمل فيها منتجو اللبان من أجل الحصول عليه •

والهيكل الإدارى التالى يوضح عملية إدارة المنزلة •



ويقدر عدد العمال الذين يقومون بعملية استخراج اللبان خلال الموسم بحوالى ثلاثة آلاف عامل ، البعض منهم يفد من بلاد المهرة المجاورة ليعودوا بعد انتهاء فترة موسم اللبان إلى بلادهم •

يشكل اللبان حلقة اتصال بين الناس بعضهم ببعض ، على أساس المصلحة المشتركة ، إذ هو يمر بعدة مراحل كى يصبح معدا للتصدير ، ويحتاج إلى جهود متنوعة تقوم على الخبرات المختلفة ، فلكل دوره فى هذا المجال ، ولكل عمله الذى يعود عليه بالنفع ، وتتلاقى هذه الجهود وتتشابك المنافع حول محور واحد هو اللبان مورد الرزق ومصدر الثروة • فهناك المسيطر على أشجار اللبان ، وهو من يملك المنزلة أو المنازل ، أى المواقع

التى تنتشر فيها أشجار اللبان ، وقد تكون المنازل متجاورة لعديد من الملاك ، ولكن الحدود المتعارف عليها بينهم تفصل بين هذه المنازل بعضها عن بعض ، وتقضى على ما يمكن أن يحدث من منازعات على الرغم من اختلاف المنازل من حيث قلة الأشجار أو كثرتها .

والمالك لأشجار اللبان لا يقوم باستخراجه منها ، بل هو فى حاجة إلى من يستأجر منه هذه المنازل ليتولى الإشراف على عملية استخراج اللبان وجمعه كما يتولى تصريف هذه السلعة الغالية ويسمى المستأجر فى عرف مجتمع اللبان بالطبين الكبير .

أما قيمة الإيجار فإنها تحدد على أساس عدد العمال الذين يقومون باستخراج اللبان للمالك . فعن كل عامل يشتغل يدفع المستأجر فراسلة لبان للمالك ، وهى عبارة عن عشرة كيلو جرامات . وللمالك الحق فى منع التاجر المستغل لأشجاره اذا لم يدفع الإيجار كله ، أو بعضه أو إذا أضر عماله بالشجرة ، كأن يكون النقف بصورة لا تحتملها الشجرة فيؤثر عليها .

يأتى بعد المالك والمستأجر دور **الطبين الصغير** ، وهو الشخص الذى يعمل عند التاجر كمسئول عن توزيع العمال فى المنزلة ، وحفظ النظام وتوزيع الطعام والكساء على العمال ، وجمع منتوج اللبان وتخزينه .

أما ما يحصل عليه مقابل ذلك فيكون حسب الاتفاق مع أمثاله فى المنازل الأخرى وغالبا ما يتمثل الأجر فى مبلغ من النقود يتراوح بين ١٥ ، ٣٠ ريالا فى موسم الإنتاج بالإضافة إلى الحصـــول على الطعام مجانا والكسوة الكاملة له ولزوجته فضلا عن عدد محدود من أشجار اللبان يقوم باستثمارها بنفسه .

أما العـــامل ويسمى **العوين** فهو يقوم بعملية استخراج اللبان عن طريق التوقيع والسعف ، وله الحق فى نصف إنتاجه من اللبان . ويقوم الطبين بتوفير الغذاء والماء اليومى له مجانا .

من خلال ما تقدم يتضح لنا أن الطبين يقوم بدور الوسيط بين صاحب المنزلة والمستأجر ، فهو يشرف على تنظيم عملية جمع اللبان ، ويشرف على العمال ، ويقوم باستئجار المغارات التى يحفظ فيها المحصول ، كما يقوم باستئجار الحراس الذين يتولون حراسة اللبان فى مخازنه ، وغالبا ما يكون الحارس من قبيلة مهيبة الجانب ، ومن المتعارف عليه أن قدرا من الطعام يعده الطبين خصيصا للضيوف الذين يفدون على المنزلة ، ويتجهون إلى محل المؤن وموضع جمع اللبان ، الذى يشبه إلى حد كبير السوق أو المتجر الصغير •

أغلبية المنازل يستغلها المستأجرون إلا أن البعض ممن لديه القدرة قد يفضل أن يستغلها بقدراته الذاتية • وقد يتولى صاحب المنزلة الإشراف على استخراج اللبان بنفسه ، فهو يقوم بهذه العملية مع أفراد أسرته والعمال الذين يحتاج إليهم ، ويكون الاتفاق بينه وبين التاجر على كمية من اللبان على أن يمده التاجر بما يحتاج إليه من الطعام والكساء •

وللمرأة دورها أيضا مثل الرجل فى عملية الاستثمار ، كما أن لها دورها فى صنع الأكياس من السعف لتعبئة اللبان وإعداده للتصدير وذلك قبل ان تعرف الأكياس المصنوعة من نسيج الجوت •

الباب الرابع

طرق التعـــامل فى اللبـــان
١٨٣٠ الى ١٩٣٩

الفصل الأول

بين التجـار وأصحاب المنـازل :

على أى أساس كان يقوم التعامل بين تجار اللبان فى المدن وبين أصحاب المنـــازل ؟

نعلم هذا إذا عرفنا احتياجات المستثمرين لأشجار اللبان • ان احتياجاتهم تتمثل فى الحبوب والتمر والثياب وبعض أنواع الدهن ، وعلى التاجر أن يوفر هذه الاحتياجات ، ولكن كيف يتيسر للتاجر توفير هذه الاحتياجات ؟

أما الحبوب فكانت المزارع المحلية بمنطقة صلالة والتى تروى من مياه الآبار ، ومزارع سهل صلالة التى تعتمد على الرى بمياه العيون النابعة من سفوح الجبل ، منسابة فى مجاريها إلى السهل مثل رزات ، وصحنوت وجرزيز ، وحمران تغطى احتياجات البلد من الحبوب كالذرة الحمـراء والمسيبلو الأصفر ، والنصيل « السلت » والدخن •

أما الأرز فكان يستورد من الهند ، ويأتى التمر من شمال عمـان والبصرة ، ومن الهند أيضا وعدن والشحر (أحد موانى حضرموت) ، تستورد الثياب المصبوغة باللون الأسود اللماع ، وعلى التاجر ألا ينسى استيراد نوع من المنسوجات القطنية ، غير ناصعة البياض ، ولا ناعمة الملمس ، وهذه المنسوجات تشكل قطعا ، طول القطعة ثلاثون مترا بعرض

متر واحد • يقتطع منها حسب الحاجة ، فقد يحتاج إليها الرجل فى عمل إزار بطول مترين ، ليرتدى معه ثوبا أسود يسمى بالصبيغة ، وتحتاج إليها المرأة ثيابا عند تأدية الصلاة ، ويحتاج إليها الأطفال قمصانا ودشاديش وهؤلاء وأولئك يتخذون منها غطاء للنوم •

ولا يفوت التاجر كذلك أن يوفر دهان عصير السمسم ، لاستعماله فى دهن شعور الرجال والنساء على حد سواء ، إذ قلما نجد بدويا بدون جمة كبيرة ، تتوج رأسه ، وتضطره إلى تليينها وصبغها بالدهن باستمرار كما تتضمن هذه الاحتياجات بعض الأصباغ والأساور الزجاجية •

فاللبان اذاً لم يكن يقيَّم دائما بقيمة نقدية ، سواء فى القديم أو فى الحديث ، وإنما كان التعامل يعتمد على المقايضة ، بين تجـار الحواضر ومستثمرى المنازل ، وفى غير هذه الحالة يقوم بالنقد ، سواء فى داخـل الحواضر أو فى تسويقه بالخارج •

الفصل الثانى

موسم النشاط التجارى للبان :

فى شهر مايو من كل عام ، وقبل أن يبدأ موسم الأمطار ، يقبل وجهاء البدو ممن يتعاملون فى اللبان على تجار المدن ، بعد أن يكونوا قد نفذوا فى منازلهم بالنجد عملية التوقيع ، التى تعتبر الخطوة الأولى للإنتاج ، والوسيلة الوحيدة لإقناع التجار باستثمار أموالهم فى مورد مضمون ثم تبدأ المساومة بين الطرفين بتحديد احتياجات صاحب المنزلة من الحبوب والتمر ، والكساء ، وغيرها • ثم يطلب التاجر لكل نوع من البضاعة المطلوبة كمية من المدالى ، (المدلاة سبعون رطلا انجليزيا) حسب نوعية اللبان وجودته ، فاذا كان من النوع الجيد ، كانت الكمية أقل ، وإذا كان من النوع الأدنى كانت الكمية أكثر ، وبعد اتفاق الطرفين يتم تسجيل هذه الاتفاقية فى دفتر التاجر •

أما صيغة الاتفاقية فتتم كالآتى :

إن فلانا استدان من فلان كذا كيسا من الحبوب ، وكذا جرابا من التمر ، وكذا ثوبا من القماش ، وغير ذلك من الأشياء الأخرى بكذا مدلاة ، من منازل كذا ، بشرط أن يكون اللبان خاليا من التراب والثارة (هى أحجار صغيرة تشبه لون فصوص اللبان) بعض البدو يخلطها به لرجحان الوزن ، ثم يوقع الشهود على الاتفاقية ، ويغادر صاحب المنزلة المدينة ، لاكتراء قافلة من جمال الجبل التى ستنقل ما استدانه إلى مقره بالمنزلة ، وبعد أيام يعـــود وبرفقته عدد الجمـــال المطلوبة ، ومع كل جمل قائده ، فتأخذ أحمالها إلى حيث تودع فى مغارة بالمنزلة ، حيث تبقى هذه المغارة بمثابة مجمع لسوق صغير ، تمد عمال المنزلة بحاجياتهم اليومية ، وليس هذا فحسب ، بل يأتى إليها العمال من خارج نطاقها ، لبيع ما يمتلكون من لبان ، مثلا المن بوزنه تمرا ، أو بكيلتين من الحبوب ، والكساء أيضا بمثله من أمنان اللبان ، (المن رطلان وثلث) ، وقليلا ما يتم الشراء بالنقود فى المنزلة ، ومن

هذه المقايضة وإنتاج عمال المنزلة تتكدس أكوام اللبان فى المغارة ، حفظا له من تقلبات الجو وتسهيلا للقائم على حراسته من امتداد الأيدى إليه •

وخلاصة التعامل فى اللبان انه يتم بطريقة المقايضة بين تجار المدن وعملائهم من المنتجين فى المنازل ، أو بين المتاجر الموجودة بها وبين العمال المحتاجين لشراء ما يوفره دكان المنزلة من طعام وملابس مما يحتاجه العمال ويدفعون مقابله لبانا مما استخرجوه ، وسواء كان هؤلاء العمال من نفس المنزلة أو من المنازل المجاورة •

أما ماعدا ذلك فان عمليتى البيع والشراء تقومان بالنقد •

الفصل الثالث

من المنزلة الى المدينة :

فى شهر سبتمبر عندما تقل الأمطار ، وتتماسك تربة الطرق ، بحيث تستطيع الجمال أن تعبر فوقها ، يبدأ الاستعداد فى عملية نقل اللبان الى التجار فى المدن ، فيعبأ فى أكياس من نسيج الجوت ، سعة الكيس الواحد منها مائة وأربعون رطلا من اللبان « عبارة عن مدلاتين » ثم يتم احضار قافلة الجمال ، وسيلة النقل الوحيدة فى هذا المجال ، فتحمله متجهة به إلى الحواضر الساحلية ، تتهادى زهوا فى سيرها ، وكأنها تشعر بأن ما على ظهرها من أحمال ثمينة ، تمنحها اعتزازا لا يناقس ، تنقل خطاها بايقاع رتيب ، لتنسجم مع تناغيم صوت الحداة ، فتمضى القافلة فى مواصلة السير ، قاطعة فيافى النجد ، ثم وهاد الجبال ومرتفعاتها ، يتقدمها ويقودها رئيس المنزلة ، وصاحب الكلمة الأولى فى توجيه القافلة ، يملؤه الفخر والثقة بالنفس بعودته ظافرا بهذه البضاعة النفيسة التى يسيل لها لعاب التجار ، وينتظرون قدومها بلهفة متزايدة ، متطلعا بمشاعره إلى الحفاوة التى يستقبله بها التاجر ، واضعا فى اعتباره سمعته التى سيحظى بها بين التجار فى المدينة ، متأكدا أنه سيجد فى انتظاره أكثر من تاجر ، يحاول استمالته وإغراءه بالاستدانة منه ، ومنحه الكثير من التسهيلات ، وقبل قدوم القافلة بحوالى اثنتى عشرة ساعة ، يبعث رئيس القافلة رسولا إلى التاجر ليبلغه بقدومها فى الوقت المحدد ، ليستعد التاجر بدوره لاستقبال القافلة ، فيهيىء الطعام المناسب لمن بها من الرجال ، ويعد المكان الملائم لتكديس اللبان .

وفى اليوم التالى يدفع التاجر كراء الجمال باعتباره جزءا من الدين .

أما فى اليوم الثالث فيبدأ بوزن اللبان الذى يتم بحصى كبيرة صماء ، تزن سبعين رطلا انجليزيا ، وهى عبارة عن مدلاة ، إحدى وحدات وزن اللبان فتوضع فى كفة ، وفى الكفة الأخرى يوضع زنبيل كبير ، يملأ باللبان حتى تتعادل الكفتان ، وهكذا يتم استيفاء التاجر حقه مقابل ما استدانه صاحب المنزلة ، ويدفع التاجر ثمن ما يزيد عن حقه ، فإن لم يوف اللبان حقه ، بقى الدين علىصاحب المنزلة إلى الموسم القادم ، أو استوفاه من حيوانات مدينه ، وقلما يتم اللجوء إلى هذا .

الفصل الرابع

فرحـــة اللبان :

إن موسم اللبان الحقيقى يبدأ عندما تستعد المنازل العاملة لنقل ما تجمع فيها من لبان إلى الحواضر ، وفى حينه يظهر الانتعاش جليا على الجميع ، بنسب متفاوتة ، حسب مواقعهم المباشرة أو غير المباشرة ، من الاستفادة التى يمنحها تسويق هذه البضاعة ، فصاحب المنزلة كثيرا ما يجد الفائض لديه وفيرا ، إذا أحسن القيام على تصريف عماله ، واستعمل لغة السوق فى شئون بضاعته ، والعمال فى مواقع الإنتـــاج تزيد حصيلتهم الموسمية عن احتياجاتهم اليومية ، وهذا ما يتيح لهم تسويق اللبان الفائض عما يدفعونه لصاحب المنزلة ، مقابل ما يقدمه لهم من ضرورياتهم ، فنجـــد العامل وقد أدى ما عليه من دين ، وأغدق على أسرته ، وما يزيد عن حاجته يوجهه إلى شراء الماشية ، كمورد ثابت يضمن للأسرة حياة مستقرة ، وتكثر فى هذا الموسم الريالات الفضية الجديدة ماركة « ماریاتریزا » لدى التجار القادمين من عدن لشراء اللبان ، أو عند ربابنة السفن الشراعية الذين يصلون مبكرين إلى المنطقة فى أواخر شهر سبتمبر ، ويتصلون بالتجار فى منافسة حامية ، لتكون لهم الأولوية فى شحن اللبان ، ويقدمون مقابل ذلك ما يطلبه التاجر من ريالات ، على أن يخصم المبلغ عند البيع ، فى البلد المصـــــدر إليه •

ومن أشهر التجار بعدن ، ممن كانوا يبعثون بوكلائهم إلى المنطقة ، لشراء اللبان وتحت تصرفهم عشرات الألوف من الريالات هم « آل بازرعة » وتاجر فرنسى شهير يدعى « ألبس » ، كان ذلك فى العشرينات والثلاثينات من هذا القرن •

هذا عدا ما يشتريه التجار العاديون وأمثالهم من ربابنة السفن •

إن شجرة اللبان ، تلك التى هى موضوع حديثى لكم ، كانت ترتبط بها آمال وآمال ، كانت هى الحياة لجل سكان المنطقة ، ولا أكون مغاليا إذا قلت لكل الســكان •

لكم خفقت من حولها قلوب الشباب : أليست هى التى ستبنى عش الزوجية ؟ بلى ••• إن سائلها الأبيض سيبدد ما فى الحياة من سواد ، سيحقق أمل قلبين ، ويعانق بين روحين ، ويوثق الرباط الأبدى المقدس •

إن موسم اللبان كان يعنى إقامة الاعراس لمن بلغوا سن الزواج ، كان يعنى تغيير حياة الشاب ، فيستبدل بالعجز قدرة ، وبالفقر غنى ، وباليأس أمــلا • •

أما هذا المدين الذى أقض الدين مضجعه ، وأرق جفنه ، فشجرة اللبان تناديه وتناجيه ، لا تقنط من رحمة الله ، فسوف أحقق مأربك ، وأقضى دينك ، وأرفع رأسك ، وأزيل همومك ، ستسيل جذوعى بما تهفو إليه قلوب ملايين البشر ، سأمنحك الرزق الحلال الذى عهدته عندى •

وصاحب الأسرة المثقل بالصغار ، لكم منى صغاره بالجديد من الثياب ، والشهى من الطعام ، لأنه وموسم اللبان على ميعاد ، ستتحول هذه المادة الغالية إلى بسمة على الشفاه ، وفرحة فى القلوب ، وأمل مشرق فى العيون ، سيزهو الأطفال بملابسهم الجديدة ، ستتحول أحلامهم إلى حقيقة ، وخيالاتهم إلى واقع عذب هنىء •

أما أصحاب الجمال ، فما أعذب حداءهم المنسجم مع توقيع خفاف الإبل : وهم يجوبون الصحراء ، ويقطعون الأودية ، ويتعرضون للفح الشمس ، ووهج الحر ، وسرعان ما تتبدد متاعبهم ، وهم يحلمون بموسم رغيد ، وخير وفير ، فهم ينقلون الطعام إلى النجد ، ويعودون محملين بمعقد الأمل وباعث الحياة •

وأصحاب السفن الذين يجوبون البحار ، ويتعرضون للأخطار ، وتطول غيبتهم عن الأهل والوطن ، إن كل ما يلاقونه من أعاصير ، ورياح هوجاء ، يطويه الأمل فى تحقيق نوع من الثراء .

ويأتى دور التاجر ، الذى ارتبطت حياته بهذه المادة الطيبة ، انه ينتظر موسم انحسار المطر ، ليقدم رصيده من المال ، ويعقد كثيرا من الاتفاقات ، بينه وبين أصحاب السفن ، وبينه وبين أصحاب المنازل ، وبينه وبين العمال ، يأمل فى الربح الوفير ، والخير الكثير ، والثراء العريض .

أما الملاك ، فكل ورقة خضراء تفتح بابا للأمل ، كل قطرة بيضاء تسيل بها الشجرة تمثل لبنة من لبنات بناء الحياة .

وهل ننسى المرأة فى هذا الميدان ؟ لا ... إن للمرأة دورا مهما ، فهى تقوم بتصنيف اللبان ، وعزل رديئه عن جيده ، وإعداده للمرحلة الأخيرة ، وهى التعبئة التى يقوم بها الرجال الأشداء كمرحلة أخيرة قبل التصدير .

لقد حقق اللبان فى منطقة ظفار نوعا من تشابك المصالح ، ووحدة الآمال ، واتفاق الأهداف ، بين أصحاب المنازل ، والتجار ، والعمال وأصحاب الجمال ، ومالكى السفن ، بل بين الدول بعضها وبعض .

موسم يموج بالحياة والنشاط ، والتعاون والتطلع والطموح ، لقد وثق الصلة بين سكان النجد ، وأثرياء السهل الذين حققوا غنى مرموقا من تجارة اللبان ، وهى ككل تجارة إذا كانت قد أسعدت كثيرا من التجار ، وهيأت لهم كنوزا من المال ، وأغدقت عليهم الثراء ، وملكتهم العقارات ، فقد عصفت بآخرين ، بدلت حياتهم فى لحظات ، أفقرتهم بعد غنى ، وذهبت بثرواتهم العريضة ومكانتهم المرموقة ، وأرغمتهم على بيع ما يمتلكون ،

فقد أغرتهم التجارة فكدسوا كثيرا من اللبان • ونفد ما معهم من المـال ، ولجأوا إلى الاستدانة من التجار ، واشتروا أنصبة الآخرين ، وباتوا يحلمون بالثراء العريض ، فتلعب الأقدار دورا مهما ، وتتغير الظروف ، وتهبط الأسعار ، وتأتى الرياح بما لا تشتهى السفن وتباع البضاعة ، ولكن ثمنها لا يفى بالدين المطلوب ، ويضطر التاجر تحت ضغط هذه الظروف إلى بيع ما حققه على امتداد الحياة •

الباب الخامس

استعمالات اللبـــان

الفصل الأول

القـــــدماء واللبـــــان :

ان أول من استخدم النباتات العطرية والعطور لم يكونوا معروفين بصورة واضحة ، ولكن الكل يعلم أن اللبان كان يمثل سلعة غالية فى مجال الطب والاستطباب • وقد أوضح المؤرخ بريستد (BREASTED) فى كتابه « تاريخ مصر » أن المر والبخور قد استخدما وبكميات وفيرة منذ السلالة الأولى « أربعة آلاف سنة » ق • م وعند الفراعنة الذين تبعوهم ، وقد وجدت كرات من البخور فى مقبرة « توت عنخ آمون » •

استخدم اللبان فى بخور عرش سليمان بن داوود ، كما ورد ذكر جبال اللبان فى أنشودة سليمان • وفى إنجيل متى (٢ : ١١) أن اللبان والمـــر والذهب قد قدمت هدايا للمسيح عليه السلام •

ودأب الأباطرة القدماء على أداء طقوس قسم الولاء للبلاد عند توليهم مقاليد الحكم على ضوء نيران اللبان المشتعل فيعبق الجو برائحته الذكية ، وتضاء الساحات بنوره المتوهج • وتفيد سجلات بلينى (PLINY) أنه فى سنة ست وستين للميلاد استطاع الأمبراطور الرومانى نيرون (NERO) أن يحرق كمية من اللبان تفوق كل إنتاج جنوب شبه الجزيرة العربية فى عام ، وذلك فى مناسبة دفن جثمان زوجته بوبايا (POPPAEA) •

ويذكر أن بعض الحضارات الراقية القديمة قد استخدمت اللبان

المعطر الرائحة فى الحقبة التاريخية ما بين خمسة آلاف وأربعة آلاف عام قبل الميلاد ، مثل قدماء المصريين الذين استخدموه فى تصبير الجثث • هذا وقد صرح الدكتور « جص فان بيك » (Jess van Beak) عالم الآثار الذى نقب فى جنوب شبه الجزيرة العربية ، أنه على الرغم من أن تفاصيل زيارة « بلقيس » ملكة سبأ لنبى الله سليمان بن داوود لم تكن معروفة ، فإنها اشتملت على تقديم هدية من اللبان العطرى لسليمان ، وأن الهدف الأساسى للزيارة هو تأمين اتفاقية يستفيد منها الطرفان فيما يختص بتوزيع اللبان والمـــر •

ولم يكن مستبعدا أن تكون هناك اتفاقيات مماثلة قد أبرمت بين الطرفين فيما يتعلق بتصدير اللبان برا وبحرا فى ذلك العهد[١] •

وقد استخدم نبى الله موسى اللبان كمطهر ، وأمر اليهود فى البرية أن يتبخروا باللبان ، وقد أمر هارون أن يحمل مبخرا فى أوساط المصلين أيام أن حل بالناس مرض الطاعون ، وقد كان أن خف الوباء •

وحرى بالذكر أن اللبان عندما يحرق تتطاير منه مادة الفنـــول (PHENOL) وهى مادة مطهرة ، وربمـــا اكتشف الأقدمون هذه الخاصـــية فى اللبان ، حيث أنهم قد استخدموه بغرض الاستطباب لكثير من الأمراض ، حيث أن « بلينى الأكبر » أوصى باستخدام سائل اللبان كترياق ضـــد السم ، كما وصفه « ابن سينا » طبيب القرن الحادى عشر لجميع أنواع الأمراض تقريبا[٢] •

وسلك اللبان طريقه إلى الطقوس الدينية منذ آلاف السنين ، وذكر « هيرودوت » أن ما يقدر الآن بطنين ونصف من اللبان كانت تحرق كل عام فى معبد بل (BEL) فى بابل • هذا وقد استخدم فى طقوس المسيحية خلال

---

(١) وندل فليبس : عمان المجهول — طبعة ١٩٧١ صفحة ١٨٠ .
(٢) دتشس أوف سنت البان : حيث وقف الزمان : صورة عمان طبعة ١٩٨٠ صفحة ١٨٦ .

فترة القرنين الرابع والخامس للميلاد • وكان القساوسة ومازال بعضهم يتعرضون كثيرا لبخور اللبان ، بغرض إكسابهم المناعة الكافية ضد العدوى التى هم معرضون لها من احتكاكهم بمرضى المصلين فى التجمعات الكبرى • ومازال اللبان يحرق فى الفاتيكان وفى الكنائس الرومانية فى التجمعات الكبرى للصلاة •

أما الإسلام فقد استبعد حرق اللبان فى الشعائر الدينية واعتبر هذه العادة من المخلفات الوثنية ، التى ذهبت إلى حد الاعتقاد بأن اللبان إذا ما جمع بحرص شديد دون أن يلوث بشىء فإن بخوره يكفل الخلود أو الشهرة الدائمة •

حظى اللبان باهتمام بالغ من الناحية الطبية ، إذ ثبت للناس أنه علاج جيد للربو واضطرابات الرحم • وكان القدماء يستعملونه مقويا للمعدة والقلب ، وفى أمراض الرئتين ، ولسهولة الهضم ، ولزيادة الشهية • وقد يشرب منه ما هو فى مقدار حبة اللوبيا لعلاج السعال المزمن وعسر التنفس • أما اذا وضع تحت اللسان وأستحلب ، وابتلع ما ينحل منه لين خشونة القصبة الهوائية وصفى الصوت ، وقتل الدود وطيب النكهة • وإذا تمضمض به مع خل وزيت شد الأسنان إلى اللثة •

وقال الرازى فى جامعه إنه ينفع فى أوجاع الكلى والمثانة ويذهب نفخ المعدة والمغص وآلام المفاصل ، وينفع من السموم شربا ويذهب أورام الطحـــال •

أما إذا نقع فى ماء وشرب ذلك الماء كل يوم نفع من البلغم وزاد فى الحفظ وجلاء الذهن وأزال النسيان •

الفصل الثانى

سكان ظفار واللبان :

أما سكان المنطقة الجنوبية (ظفار) فإنهم يستعملون اللبان فى ماء الشرب ، حيث توضع ثلاثة أو أربعة فصوص منه فى قدح الماء ، ويعتقد أنه يساعد على الإدرار ، كما أنه يساعد على جعل الماء باردا • وأصحاب النجد يستخدمونه بخورا فى الصباح والمساء فى أماكن تجمع الماشية اعتقادا منهم بأن البخور يبعد عنها الأذى ، كما يستخدمونه فى منازلهم لتعطيرها من جهة ، ولاعتقادهم بأنه يطرد الشياطين من جهة أخرى •

اللبـــان والتنـــوير :

من ضمن التقاليد المرعية التى يستخدم فيها اللبان بمدينة صلالة ما يسمى بالتنوير ، وهى عادة متبعة عند قدوم السلطان من العاصمة مسقط إلى مدينة صلالة • ففى مساء ذلك اليوم وكتعبير عن الفرحة بقدوم جلالته يصعد السكان إلى أسطح منازلهم بعد إحضارهم قدرا من اللبان ، كل حسب طاقته ثم يفرقونه كومات صغيرة متباعدة على أعلى جدار السطح بالمنزل والمطل على فنائه الخارجى ، ثم يرشون عليه الزيت ويشعلون النار فيه فترتفع رائحة بخور اللبان فى المدينة وتبدو وكأنها شعلة من نور توهج ضياؤها وطاب أريجها وراع منظرها • ويتم التنوير أيضا عند قدوم المسافرين من الهند بعد رحلة شاقة وخطيرة ، يقوم به أسرهم وأقاربهم تعبيرا عن فرحتهم بعودة المسافرين سالمين • وهنا تعبق المنازل برائحة اللبان العطرة •

ومن هذه التقاليد ما يحدث عند الزواج لأول مرة بالنسبة للرجل ، وذلك بإعداد مباخر ضخمة من الفخار مما تحمل عادة على الرأس وتملأ بكمية من الرماد توضع فوقه جمرات من الخشب المحترق تلقى عليها فصوص من اللبان تذوب ويتصاعد بخورها محدثا رائحة منعشة محببة • وتحمل

هذه المباخر عادة خادمات يدعون لمثل هذه الحالة ، ويطلقن الزغاريد خلف زفة العريس التى تزفه إلى الميدان الكبير الذى تقام فيه رقصات (الهبوت) ، التى تقيمها مجموعة من قبائل أحياء صلالة ، تدعى لمثل هذه المناسبة ، التى يتبادلها الجميع ينشدون الأهازيج فى الإشـــادة بالمحتفى به أولا ، ثم بالتعريض للأحداث الجارية بينهم ، وتتكون الهبوت على شكل دائرة كبيرة قطرها حوالى مائة متر تقريبا توضع المباخر فى وسط هذه الدائرة لتبقى متوهجة بالبخور طيلة فترة أهازيج الهبوت ، من بعد صلاة العصر إلى الغروب ، وكأنهن بهذا العمل يقمن بتحصين العريس من الأعين الشريرة •

أيضا يسود الاعتقاد لديهم بأن إطلاق بخور اللبان على باب المنزل فى الصباح الباكر يطرد الأرواح الشريرة ويجلب المسرة للأسرة طيلة هذا اليـــوم •

كما يحرصون على وجود قدر من اللبان ولو كان قليلا بالمنزل لأن ذلك يعتبر عندهم بمثابة تميمة للبيت تصونه من الأذى وتدفع عنه الضار من الهوام • وقد يعزز هذا الاعتقاد أن بعض الحشرات من ذوات السموم تنفر من رائحة اللبان وتبتعد عندما يعلق دخانه بخياشيمها •

كما جرت العادة فى حالة الولادة أن تكون مبخرة اللبان على مقربة من مهد الطفل مما يعطر الغرفة ويطرد الروائح الكريهة •

الباب السادس

تجـــارة اللبـــان

الفصل الأول

فى التاريخ القديم :

ازدهرت تجارة اللبان فى جنوب شبه الجزيرة العربية منذ العصور التاريخية القديمة ، وهذا بفضل الموقع الجغرافى الممتاز الذى حبا الله به جنوب شبه الجزيرة العربية ، فقد اكتسبت أهمية بالغة بالنسبة لخطوط المواصلات التجارية فى العصور القديمة ، حيث أنها تشكل ملتقى للطرق التجارية فهى تربط بين أفريقيا وجنوب آسيا من جهة ، وبين الحضارات الراقية فى منطقة البحر الأبيض المتوسط وحضارة ما بين النهرين من جهة أخـــرى .

احتل اللبان والمر مركز الصدارة فى التجـارة قديما ، وقد وصف « بلينى » شعب جنوب الجزيرة العربية بأنه أغنى عنصر بشرى عرف عبر التاريخ وحتى القرن الأخير قبل الميلاد ، والقرن الأول الميلادى ، وقد عزا بلينى هذا الثراء الخيالى لتجارة اللبان ، التى كانت رائجة وقتذاك مع الأمبراطوريتين الرومانية والفارسية .

اعتمدت ظفار ومنذ فجر التاريخ على البخور كدعامة راسخة فى كيان بنائها الاقتصادى ، فقد احتكر الظفاريون إنتاج وتجارة اللبان ، ولذلك فقد اشتهرت مدن وموانى بسبب هذه التجارة فى جنوب شبه الجزيرة العربية . هذا وقد كشفت الحفريات الأثرية فى ظفار أن القلاع والحصون كانت تبنى

لحفظ وتخزين اللبان بغية تصديره • وقد اشتهرت واحة « أندهور » التى تقع على بعد أربعين ميلا شمال مرباط بأنها منطقة تجميع أجود أنواع اللبان فى جنوب شبه الجزيرة العربية قاطبة ، وكانت هذه المنطقة قد حصنت بالقلاع التى كان يحفظ فيها اللبان قبل تصديره • كما أن آثار منطقة البليد التى تقع على الساحل من الناحية الشرقية من صلالة لهى دليل مادى آخر على أهمية تجارة اللبان ، حيث أوضح « وندل فليبس » أن هذه المنطقة كانت معروفة باسم البلد وقد عرفها رحالون وجغرافيون كثر مثل « بيتولومى » • وقيل إن البليد كانت تعرف أيضا باسم ظفار ، وانها كانت تحت سلطة أمير احتكر كل مناطق إنتاج اللبان ، وأصدر الأوامر وشرع الأحكام والقوانين التى بلغت درجة الإعدام فى حق كل من تسول له نفسه أن يخرق قوانينه المنظمة لإنتاج وتسويق اللبان فى المنطقة[١] •

بنى مركز خاص فى حنون كان الغرض منه تجميع اللبان من المنطقة المحيطة بحنون ، ثم يرسل من هنالك إلى سمهرم التى تعمل على تصديره[٢] • كل هذه الضوابط والقيود والاهتمام المتزايد هى دلائل ومؤشرات لما كان عليه اللبان من أهمية انعكست على تجارته •

على الرغم من أن ظفار لم تكن معروفة فى القرون الوسطى ، لكن تقرير ماركبولو عنها يوحى بأنه وعلى الرغم من اضمحلال الحضارات القديمة ، والذى تبعه اضمحلال فى طلب الأصماغ العطرية التى كانت تستعمل أساسا فى الأغراض الدينية ، نجد أن هذا لم يحد من تجارة اللبان فى ظفار إبان القرون الوسطى •

كانت القوافل التجارية النشطة التى تقوم برحلات منتظمة إلى الأجزاء الجنوبية من شبه الجزيرة العربية من « طريق البخور » واصلة بين ظفار

---

(١) وندل فليبس : عمان المجهول — طبعة ١٩٧١ صفحة ١٨٥ .
(٢) وندل فليبس : عمان المجهول — طبعة ١٩٧١ صفحة ١٩٧ .

وجدة تحمل باللبان حتى ما بعد سنة ١٦٠٠ ، وهذا دليل مادى على نشاط تجارة اللبان ، التى لم تتوقف أو تركد •

وحرى بالذكر أن تجارة اللبان قد لعبت دورا هاما فى اقتصاد شعوب منطقة جنوب شبه الجزيرة العربية ، وكان التحول الاقتصادى الذى نتج عن الاتجار بهذه السلعة وتصديرها بالقوافل قد لعب أيضا دورا هاما فى سياسات الممالك والدول التى كانت تعبرها قوافل اللبان ، حيث تغيرت حكومات ونشأت ممالك على طول طريق القوافل ، منها تلك التى كانت عواصمها فى شبوه ، وتيما ، ومأرب ، وهذا دليل دامغ على أن تجارة اللبان كانت تمثل أهم تجارة راجت واستمرت أحقابا من الزمن تربط ظفار بأوربا وبالعالم الغربى قاطبة عن طريق اللبان •

الفصل الثانى

فى التاريخ الحديث :

أخذت تجارة القوافل تقل شيئا فشيئا فى الفترة ما بين ١٨٠٤ و ١٨٢٩ فى عهد السيد / محمد بن عقيل فى ظفار ، وقد عزى هذا ليس لاضمحلال فى تجارة اللبان ، بل إلى التحول التدريجى نحو تجارة البحر بعد أن تطورت صناعة السفن .

وصلت تجارة اللبان أوج ازدهارها عندما فتحت لها السوق الهندية فمنذ عام ١٨٣٠ وحتى أوائل الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ كانت « بومبى » هى السوق النشطة لاستقبال السفن المحملة باللبان والتى تجىء من ظفار ، تستقر هذه المادة الثمينة فى أسواق الهند ومنها تتجه إلى الدول المستهلكة ، هذا وقد ظهرت للبان استخدامات صيدلية حديثة مثل استخراج زيته الأثيرى البالغ منتهى الرقة والذى يستعمل فى الأغراض الكمالية . وبالإضافة إلى زيته فإن اللبان يدخل فى صناعة المساحيق والمراهم الطبية وفى صناعة الشموع . هذه الاستعمالات قد أضافت الكثير إلى قيمته تجاريا وأصبحت الحاجة إليه فى تزايد مضطرد ، ولم يوجد له بديل حتى الآن .

إن السوق الهندية تعتبر أكبر سوق لاستيراد اللبان من ظفار فى الفترة ما بين الثلث الأول من القرن التاسع عشر ، وحتى أوائل الحرب العالمية الثانية . وكان اللبان يصل إلى الهند من خلال موسمين فى العام الواحد . أولهما بعد انحسار موسم الأمطار فى المنطقة واستمرار الرياح الجنوبية الغربية فى شهر سبتمبر حيث تبحر السفن الشراعية من موانى المنطقة (رخيوت وريسوت وسدح وحاسك) وتستقر فى ميناء بومبى بالهند . وتستغرق الرحلة حوالى شهرين لتصريف بضاعتها من اللبان ، وشراء ما تحتاج إليه من طعام ولباس وكماليات .

أما الرحلة الثانية فإنها تكون فى شهر مارس ، وتستغرق السفن فى الذهاب حوالى خمسة عشر يوما ، وفى العودة حوالى شهر بسبب الرياح الجنوبية الغربية المعاكسة • وبهذا تعتبر الرحلة شاقة وتكون العودة عن طريق « الشحر » و « المكلا » ، وتتراوح حمولة السفن ما بين مائة وخمسين ومائتى طن من مادة اللبان ، وقد عبئت فى أكياس يسع الكيس حوالى ستين كيلوجراما ويرافق هذه الشحنة على ظهر السفينة عدد من التجار قد يبلغون العشرة ، وهم يمتلكون بعض هذه الشحنة وقد لا يمتلكون شيئا منها ، وإنما يسافرون مؤتمنين على هذه الودائع التى تعود ملكيتها إلى عدد كبير من المواطنين حسب إمكانية كل منهم • ولكى تعرف ملكية هذه الودائع عند فرزها وتصنيف نوعياتها ، فإن الأكياس تحمل أسماء أصحابها والأكثرية الساحقة من سكان المدن يبعثون نقودا ، أو ما اشتروه من اللبان مع هؤلاء التجار إلى الهند لشراء ما يحتاجون من غذاء ولباس وكماليات أخرى وغالبا لايكون المبلغ كبيرا ، فربما قد لا يزيد على عشرة ريالات ، يرفق بورقة تسمى (تعيين) يذكر فيها المبلغ ، أو البضاعة المرسلة ، وبعـد أن يصل التاجر إلى « بمبى » ويصرف البضاعة ، يشترى الحاجيات المنصوص عليها فى تعيين المرسل ، ويسطرها فى ورقة أخرى موضحا فيها المشتريات ، وأثمانها مقابل عمولة قدرها خمسة فى المائة وعندما تقترب عودة المسافرين تكون البلاد بأسرها فى انتظارهم وترقب حضورهم بما يعودون به من صادرات الهند ونفيس ما يعلقون عليه الآمال ، تعقد النساء فى المنازل حلقات من الغناء ، فترفع إحداهن صوتها بنوع من الأهازيج المتضمن ابتهالا إلى الله تعالى بعودة المسافر سالما ظافرا ، وعقب كل مقطوعة تردد الأخريات لازمة تلك الأهازيج وهى « إن شان الله نجيبه » تسمع هذه الأهازيج ترتفع فى كل منزل وفى كل ساحة ، وعند أى نشاط تقوم به مجموعة من النساء •

وانطلاقا من هذا التضامن الأسرى بين أهالى البلد واستبشارا بما يحمله الموسم من الخير للجميع يعود المسافر فيزغرد الحى كله ، ويقبل الجميع مهنئين فرحين ، فيخرج التاجر حزمة الأوراق التى لديه وقد كتب على كل منها اسم صاحبها ، ويقوم بتوزيعها عليهم •

وبعد عام سبعة وأربعين وتسعمائة وألف للميلاد تحولت تجارة اللبان من الهند إلى عدن وذلك نتيجة لفرض الحكومة الهندية الضرائب على اللبان المستورد من ظفار •

الفصل الثالث

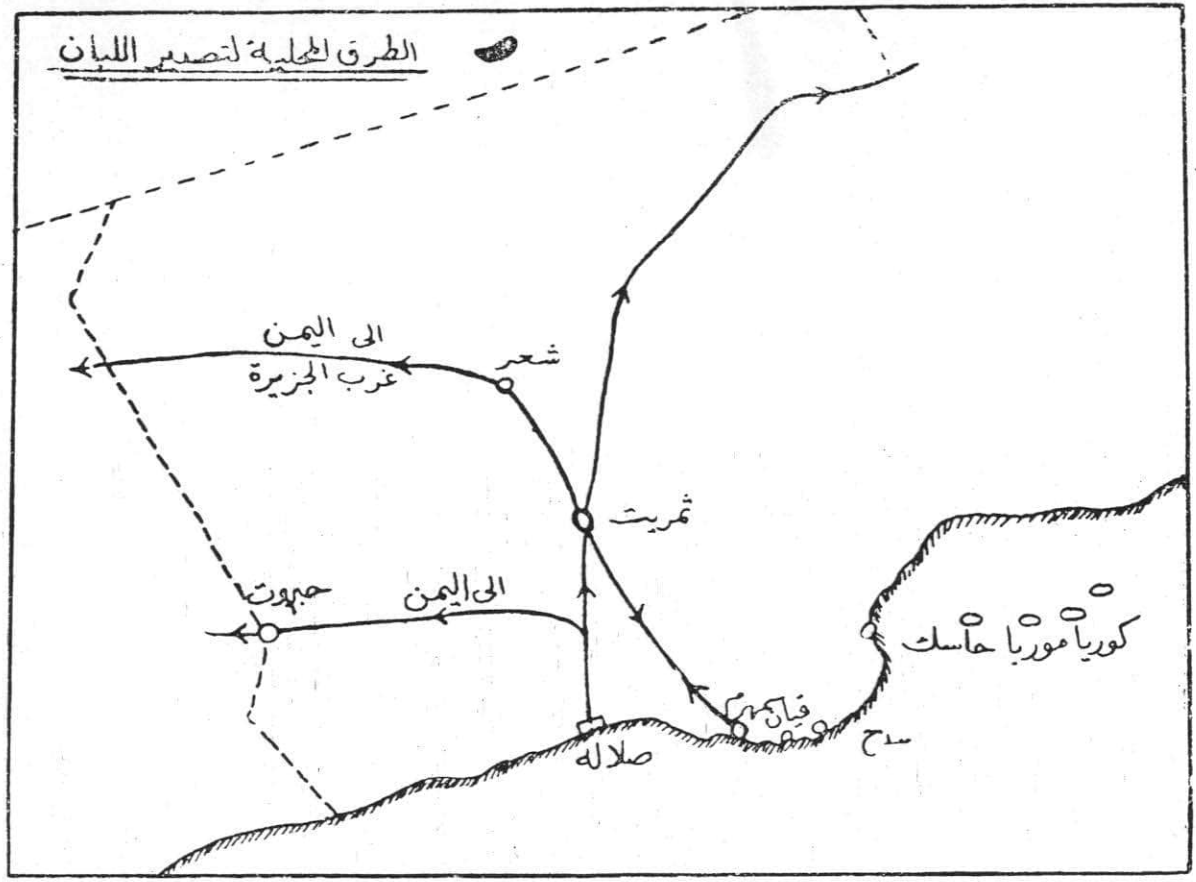
هبوط تجـــارة اللبـــان :

جدت أسباب أدت إلى هبوط تجارة اللبان ، منها هجرة العديد من الظفاريين إلى الدول الخليجية للعمل بها بعد اكتشاف البترول . ثم فقدان عدن كسوق أخيرة لاستيراد اللبان ، بعد قيام جمهورية اليمن الديمقراطية عام سبعة وستين وتسعمائة وألف ، وكذا قيام الثورة فى ظفار فى الفترة الواقعة بين عامى خمسة وستين وتسعمائة وألف وخمسة وسبعين وتسعمائة وألف ، مما أدى الى الانقطاع بين مناطق إنتاج اللبان وموانى التصدير بظفار ، فأصبحت كميات اللبان التى تجمع اليوم فى ظفار ضئيلة ، وذلك للاستعمال الفردى ، والسوق المحلية فقط .

وعلى الرغم من أن ثمن اللبان قد ارتفع حتى بلغ الأضعاف فى السنوات القليلة الماضية ، إلا أن هذا لم يحد من الطلب المتزايد عليه من قبل الدول المستهلكة له مثل دول أوربا وأمريكا ، وذلك لمـــا للبان من استخدامات فى الصناعات الكيمائية .

من العوامل المحلية التى أثرت فى إنتاج اللبان فى ظفار ، والتى تعتبر من مكاسب المواطنين التى حظوا بها فى عهد الانتفاضة العملاقة ، هى زيادة فرص العمالة والتوظيف فى الدوائر الحكومية المختلفة وبأجور عالية تكفل للفرد حياة كريمة . هذا وإن شمول الحكومة للضعاف والفقراء والمحتاجين بالرعاية الاجتماعية ، جعل الكثير فى غنى عن اللجوء إلى استخراج اللبان الذى رفع الناس أيديهم عنه فى السنوات القليلة القريبة الماضية . لاسيما وأن ارتفاع مستوى دخل الفرد بالإضافة إلى الرعاية الاجتماعية والصحية التى كفلتها الدولة لرعاياها قد رفعت مستوى معيشة الفرد مما جعله ينظر إلى إنتاج اللبان بأنه حرفة تقليدية لا تعود بالدخل المادى المرموق إذا ما قورنت بحرف أخرى استحدثت فى السنوات الأخيرة .

هذا ولا يمكن إغفال ما يحتاجه إنتاج اللبان من تحمل العديد من المشقات ، فالعامل فى استخراجه لابد أن يصبر على ما يكابده من تعرضه للفح الشمس المحرقة والتنقل المستمر وإحضار الزاد والمـاء من الأماكن البعيدة ولا يقوى على تحمل ذلك إلا من ألف حياة الصحراء وعايش أوضاعها المختلفة .


الطرق المحلية لتصدير اللبان
الى اليمن
غرب الجزيرة
شعر
ثمريت
حبهوت
الى اليمن
كوريا موريا
حاسك
صلاله
سدح



الباب السابع

طرق تصـــــدير اللبـــان

الفصل الأول

من مناطق الإنتاج إلى الطرق :

إن اللبان يجنى أَوْ على الأصح يجمع فى مناطق اشتهرت به دون سواها فى ظفار ، ولنحدد أهم بعض هذه المناطق حتى نستطيع أن نتتبع طرق تحريكه من ظفار وحتى وصوله للأســواق • والمناطق الرئيسية لإنتاجه هى :

١ ــ المنطقة المحيطة بواحة أندهور :

أشرنا إلى أن واحة اندهور التى تقع على بعد أربعين ميــلا شمالى مرباط تعتبر قلب منطقة إنتاج أجود أنواع اللبان فى ظفار قاطبة • وهذه الواحة على اتصال بسمهرم ، حيث توجد قلعة تخزين اللبان • هذا وتقــع أندهور على الطريق الذى يربط حضرموت بالخليج العربى فى جرها •

٢ ــ المنطقة الواقعة حول حنون :

تقع حنون شمال جبال القرا فى حدود النجد ، على بعد ستين كيلو مترا شمالى مدينة صلالة ، وكما تعتبر أندهور أكبر مركز لتجميع أجود أنواع اللبان ، فإن حنون هى أكبر مركز لتجميع أوفر كمية من اللبان فى ظفار ، وهى كانت على اتصال مباشر بميناء ظفار (البليد) التى جدد بناءها أحمد ابن محمد آل هيوضى • وكان قد أطلق عليها اسم المنصورة واشتهرت بأنها كانت أغنى مدن ظفار •

٣ — منطقة الساحل حول خور روری وحاسك ومرباط وسدح :

باستثناء محصول مرباط وسدح يعتبر اللبان الذى يجنى فى السهل الساحلى من النوعية الرديئة ، وذلك مرده هو ارتفاع منسوب الأمطار ، ولكن جبال مرباط وكذا جبال سـدح يضيفان نوعية جيدة من إنتـاج ظفار فى اللبان حيث لا يتعرضان للأمطار الموسمية .

من مناطق التجميع أو الإنتاج التى عددناها كان اللبان يصدر عن طريقين خارج ظفار هما :

أولا : طريق البحر من الموانىء الظفارية ، ويتجه شرقا إلى الموانىء الهندية ، أو يتجه غربا إلى موانىء افريقيا وميناء **قنـا** ثم عبر البحر الأحمر إلى مناطق البحر الأبيض المتوسط وإلى دول الغرب .

ثانيا : أن يحمل على القوافل المتجهة شمالا إلى **الشصر** ، ومنها إلى مناطق البحر الأبيض المتوسط للتوزيع على دول الغرب .

الفصل الثانى

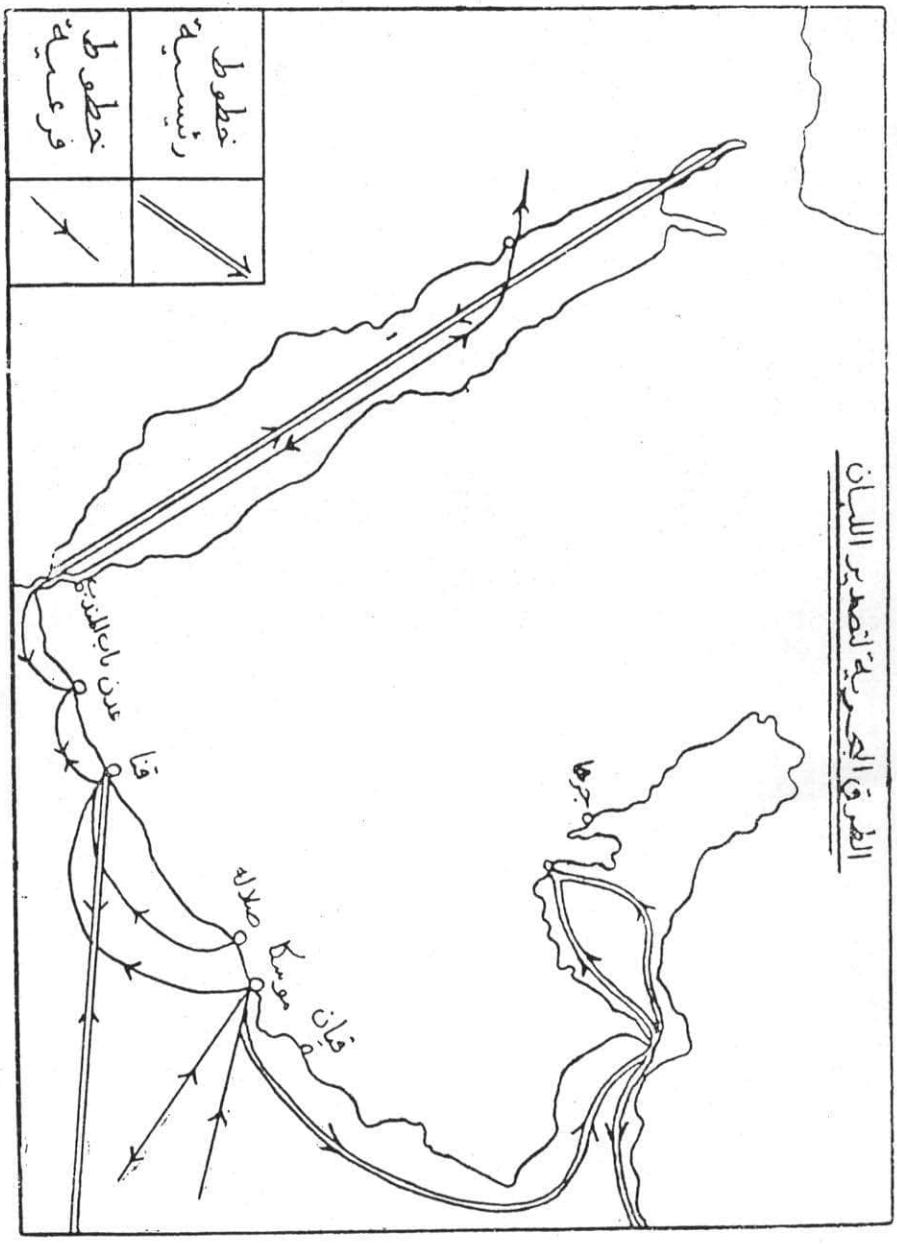
الطريق البحرى :

إن طبيعة السواحل الجنوبية لشبه الجزيرة العربية وخاصة فى إقليم ظفار تميزت بوجود أودية تصب فى بحر العرب ، وهى تسيل من الشمال إلى الجنوب حافرة لنفسها مجارى عميقة جدا • هذه الأودية كانت تسبب عائقا كبيرا فى حركة المواصلات البرية بين الشرق والغرب مما جعل الاعتماد على المواصلات البحرية أمرا لا بديل له فى ترحيل اللبان الذى كان يرحـــل على متن سفن صغيرة ساحلية من الموانى الصغيرة التى كان يجمع فيها ، وذلك بعد أن يحمل على ظهور الجمال من مناطق إنتاجه إلى شواطىء البحر فى مواقع معينة ، لتحمله هذه السفن الصغيرة إلى ميناء قنا ، وقد تسير به الجمال مباشرة إلى هذا الميناء الذى كان سوقا للبان فى التاريخ القديم • إن الطريق الأول للبان عبر المحيط الهندى ذلك الممر المائى الذى يعتبر مناسبا وملائما بفضل الرياح الموسمية المتغيرة التى تهب عليه ، والتى كانت تدفع السفن على سطحه فى ذهابها وإيابها • هذا وقد أكدت حفريات بعثة « وندل فلبيس » للآثار أن محطة تجميع اللبان فى منطقة حنون قد استفادت من موسم الرياح الشمالية الشرقية ، إذ أن كل المحصول يجمع ويخزن حتى فصل الجفاف ثم يرسل بالقوافل من حنون إلى سمهرم[1] حيث يتم حفظه فى القلعة هناك إلى أن تبدأ رحلات السفن الصغيرة التى تبحر بمساعدة هذه الرياح متجهة غربا من ميناء « موسكا » التى تعتبر الميناء الرئيسية لقلعة سمهرم ، ويتم الشحن فى أشهر الشتاء الجاف حيث تنقله هذه السفن إلى ميناء قنا فى « حضرموت » ثم يشحن منها مرة أخرى على متن سفن أكبر تبحر به غربا إلى العالم الخارجى •

---

(١) وندل فليبس : عمان المجهول — طبعة ١٩٧٧ — صفحة ١٩٧ .

أما طريق البحر الأحمر فكانت الأعاصير التى تهب عليه تمثل خطرا مخيفا لمن يحاولون الإبحار فيه ، على أن تقدم صناعة السفن والتطورات التقنية التى طرأت عليها مهدت السبيل أمام التجارة ، وأصبح طريق البحر الأحمر منافسا لطريق القوافل فى غرب شبه الجزيرة العربية • وقد عرفت الأمة العمانية منذ أقدم عصور التاريخ بأنها أمة بحرية عملاقة ، سواء فى صناعة السفن وتطويرها ، أو فى دراسة الرياح واتجاهاتها ، أو فى فهم البحار وطبيعتها ويرجع الفضل فى فترات الرخاء التى عرفتها عمان إلى استغلال موقعها الجغرافى استغلالا ذكيا بركوب البحار والفطنة التجارية ، ولقد كان العمانيون فى سائر فترات التاريخ المدون شعبا يركب البحار ، فقد تحدث المسعودى العالم الجغرافى العربى الذى عاش فى القرن العاشر الميلادى عن بنائى السفن فى عمان ، وجوبهم للبحار • ومن أجل هذا سميت عمان فى القديم بماجان ، وهى فى اللغة السومرية تعنى القوم الذين يركبون البحار •


الطرق البحرية لتصدير اللبان
خطوط رئيسية
خطوط فرعية
عدن باب المندب
قنا
صلاله
قمان موسكا
جرى

الفصل الثالث

طـريق القوافـل :

أشرنا فى مقدمة الحديث عن طرق تجارة اللبان البحرية إلى أن محصول اللبان الذى كان يجمع فى أكبر مركز لتجميعه فى منطقة حنون ، كان يصدر إما عن طريق البحر أو عن طريق البر بالقوافل • وهنا نود أن نوضح مسار هذه الطرق وما تبعها من روايات وأقاصيص طريفة تستحق الذكر والتحليل •

بجانب طريقى البحر كان هناك طريق آخر دخل التاريخ باسم طريق البخور ، وهو المتجه من شبوة شمالا الى غزة ، وقد اكتسبت هذه التسمية من أهم السلع التى كانت تنقل عليه وهى اللبان ، وهو أقدم طريق تجارى عرف فى العالم •

وذكرت « **سنت دنشس** » فى كتابها « حيث وقف الزمن » أن التجارة كانت تعتمد أساسا على الطرق البحرية حتى زمن زيارة سليمان بن داءود إلى جنوب شبه الجزيرة العربية ، حيث بعد الزيارة ، استطاعت بلقيس ملكة سبأ السفر عبر الصحراء متجهة شمالا مستخدمة طريقا للقوافل التى سارت عليها الجمال لأول مرة فى تاريخ جنوب شبه الجزيرة العربية • واستخدام الجمل فى طريق القوافل البرية لم يكن مألوفا قبل رحلة بلقيس ، التى بها أكدت للجميع أن السفر بالجمال من شأنه أن يختصر المسافة ، وذلك نسبة لأن القافلة أخذت تتخذ لنفسها مسارات فى خطوط مستقيمة مختصرة المسافة والزمن ، والفضل فى هذا يرجع إلى أن الجمل بطبعه يستطيع السفر فى الصحراء متحملا العطش دون أن يلوى فى طريقه إلى موارد الماء لأيام ، وبذا فإن القافلة لا تتقيد بالسير من بئر ماء لأخرى كما كان الحال قبل استخدام الجمال •

أخذت القوافل تمضى من جنوب شبه الجزيرة العربية إلى شمالها على الجانب الداخلى من الأنجاد الساحلية فى غرب شبه الجزيرة العربية • وكان

هذا الطريق مناسبا لتزويد القوافل بالمؤن ، وملائما من حيث المناخ ، ومن هنا نرى أن لبان ظفار كان ينقل عن طريق المحيط الهندى إلى الهند وشرقى آسيا وإلى شرق أفريقيا ، وعن طريق البحر الأحمر إلى مصر ، وعن طريق القوافل إلى غزة والشام •

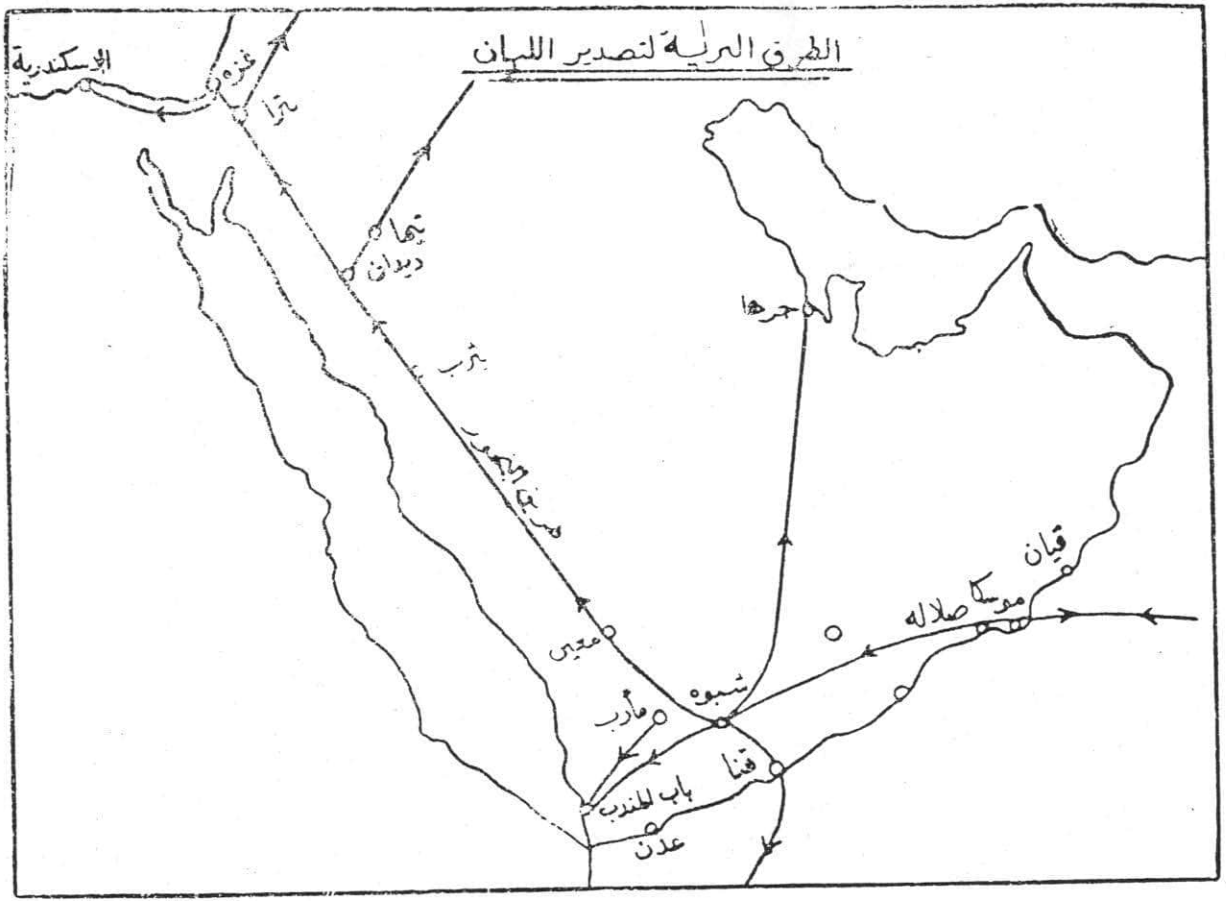
وتجدر الإشارة إلى أنه لم يكن هناك طريق واحد للبخور كما ذكر « بلينى » واصفا الطريق بأنه واحد وضيق ، بل هنالك مسالك فرعية تغذى الطريق العام الرئيسى المعروف • وحرى بالذكر أن هذه الطرق كانت تغير مسارها الجغرافى طبقا لقيام أو سقوط الدول والممالك المتعددة فى جنوب شبه الجزيرة العربية قاطبة ، وذلك نسبة لأنها طرق طويلة يتم السفر فيها على مراحل تعبر خلالها الحدود الجغرافية للدول العديدة التى كانت تخترقها • علما بأن ممالك اللبان كانت هى :

حضرموت : منطقة بجنوب جزيرة العرب ، على خليج عدن والبحر العربى ، أم مدنها وموانيها « المكلا » تمتد لمسافة ٦٥٠ كيلومتر تقريبا من الشرق إلى الغرب ، تتكون من سهل ساحلى جاف ، ينتهى إلى هضبة داخلية واسعة ، متوسط ارتفاعها ١٣٥٠ مترا فوق سطح البحر ، يقع خلفها واد انخفاضى ، تشرف عليه حافة مرتفعة تفصله عن صحارى الربع الخالى •

ويسير الوادى ويعرف بوادى « حضرموت » من الغرب إلى الشرق محاذيا للساحل •

سبأ : دولة ظهرت فى شرق اليمن فى المنطقة المعروفة الآن باسم « صرواح » و « مأرب » فسميت البلاد باسمها ، وإليها تنسب الحضارة واللغة والديانة السبئية ، ورد ذكرها فى التوراة فى قصة زيارة « بلقيس » ملكتها « لسليمان » فى القرن العاشر ق • م • وقد استمرت حضارة السبئيين فترة طويلة •

قطبان : إحدى الممالك القديمة فى جنوب بلاد العرب ، كانت معاصرة « لسبأ » و « معين » و « حضرموت » ، وهى الآن فى « بيحان » فى


الطرق البرية لتصدير اللبان
الإسكندرية
غزة
ترا
نجا
ديدان
يثرب
حرها
قيان
موسكا
صلاله
معين
شبوه
مأرب
قنا
باب المندب
عدن

حضرموت كانت موضع حفريات منذ سنوات قليلة (عام ١٩٤٩) وعثر فيها على سور المدينة ، وعلى بوابتها ، وعلى كثير من النقوش والتماثيل وغيرها .

معـين : دولة قديمة باليمن عاصرت دول سبأ وقطبان وحضرموت وكانت فيها مدن هامة فى القرن السابع ق . م عندما استولى عليها « كرب ايل » ملك سـبأ .

كان مقر هذه الدولة فى اليمن فى بلاد « الجوف » وكانت عاصمتها تسمى « معين » ومازالت بقايا المدينة ومعابدها باقية حتى الآن — وفى معين القديمة بقايا معابد ومنازل قديمة يحيط بها سور كبير ، توجد عليه وخصوصا على بوابة المدينة كثير من النقوش والكتابات الهامة ، وعلى مقربة من المدينة المسورة يوجد معبد للاله « عشتر » مازالت بعض عمده والأعتاب فوق مدخله باقية وعليها كثير من الكتابات .

هذه الممالك كانت هى المسيطرة على طرق اللبان ومنافذ عبوره إلى المستهلكين ، وكم حققت من الغنى العريض والثراء الواسع من وراء هذه المادة الثمينة عن طريق الضرائب الباهظة التى كانت تفرضها على تجارته عبر القـرون .

وهناك طريق للقوافل يسير عبر وادى « ميتان » ووادى « فاساد » حيث يتفرع إلى طريقين هما :

١ — الطـريق الذى يتفرع جنـوب الرمال والذى يؤدى الى « حضرموت » ويقابل الطـريق الرئيسى إلى تيما ومأرب ومعين ويثرب وديدان (العلا) وغزة ، ويبدأ هذا الطريق من شبوة ، وكانت الرحلة عبر هذا الطريق تتم فى خمس وستين مرحلة .

٢ — الطريق الذى كان يعبر الربع الخالى ويتجه شمال غرب فى محاذاة البحر الأحمر .

هناك طريق آخر كان يستغرق السفر فيه أربعين يوما بالجمال ، ويسير شمال شرقى حصن « حضرموت » عبر منتصف شبه الجزيرة العربية إلى حصن « خالدين » فى مدينة جرها التى كانت تعتبر مركزا تجاريا لتوزيع السلع على شط خليج العرب والدول الأخرى • فمن هذا المركز كان يتم توزيع اللبان إلى آسيا الصغرى وفلسطين • وقيل إن هذه الرحلات كانت تتم عن طريق مأرب وديدان إلى ما يقارب منتصف القرن العاشر قبل الميلاد •

كانت هذه الطرق تخترق الحدود الجغرافية للدول والممالك المختلفة وكانت أساليب ووسائل خاصة تتبع عند المسافرين فى هذه الطرق ، نذكر — فيما يلى — منها على سبيل التعرف لا الحصر رحلة لقافلة من قوافل اللبان بدأت رحلتها من ميناء قنا متجهة شمالا إلى شبوه •

الفصل الرابع

من قنـــا إلى شـــبوة :

يوجد طريقان رئيسيان يوصلان قنا بشبوة ، وقد كانا تحت السيطرة التامة من قبل السلطة الحاكمة آنذاك والتى استطاعت أن تقفل كل الأودية بحيطان من الطين ، ضخمة وسميكة تصل فى ارتفاعها إلى خمسة عشر قدما • بنيت هذه الحيطان كى تجبر القوافل على ألا تسلك طريقا آخر سوى الطريق الرئيسى الوحيد الذى يقود إلى ممر محروس بالعساكر بين الوادى وسفح الجبل ، حيث يسير الطريق بعد هذا الوادى عبر التلال إلى أن يصل إلى شبوة • هنا فى شبوة يقف الكهنة فى صفوف منتظمة على جانبى الطريق فى استقبال قوافل اللبان ، حيث يقدرون الضرائب الباهظة على أحمال القوافل • وكانت هذه الضرائب تذهب لخدمة إلههم الذى كان يدعى « سابس » (SABES) • كانت هذه الضرائب باهظة وفادحة إلى درجة تجعل بعض أصحاب الجمال المحملة بالبضائع يقامرون بأرواحهم ، ويتركون الطريق العام ويسلكون المسالك الوعرة بأمل الحصول على فتحة فى أحد الحيطان تمكنهم من الخروج من الوادى دون أن يمروا بنقطة الجمارك •

شكلت القوافل فى سيرها عبر الصحراء والمدن مشهدا حيا جذابا يسر الناظرين بألوان جلابيب وعمامات رجال القافلة المزركشة الزاهية الألوان • كان منظرا يطرب الأسماع برنين أجراس ألجمة الخيول والجمال ، وبحداء المسافرين لأيام وليال • كانت مسيرة القافلة تعبق الجو وتخنقه ، تعبقه برائحة دخان البخور الذكى الذى يطلقه رجالها ، وتخنقه بالغبار الذى تثيره حوافر الخيول التى كانت تسير إلى جنبات الطريق فى حراسة القافلة • قفزات الكلاب السلوقية ذات اللون الكستنائى تضيف إلى المشهد روعة وحيوية • حماسة الفرسان حراس القافلة ونظراتهم المتحفزة وهم على ظهور خيولهم كلها مناظر حرية بالمشاهد والتصوير والذكرى • وتصل القافلة إلى

نقطة الجمارك وتكشف عن أحمالها ، التى إلى جانب زكائب اللبان من سمهرم وأثيوبيا ، تضمنت المر والذهب والتوابل والحرير الذى كان يجلب من الهند ، والعاج والحجارة الكريمة التى كانت تجىء من أفريقيا •

بعد دفع الحصة المفروضة — على الأنواع والكميات المختلفة من بضائع — بكل كسل وتراخ تبدأ القافلة زحفها مغادرة شبوة عبر الصحراء الشاسعة التى يكمن فيها كثير من قطاع الطريق الخطرين واللصوص عند آبار المياه • فكثيرا ما تنشب معارك حامية فى ضراوة وعنف ، تنتهى إما بالغنائم ، أو بالجرحى والقتلى وتستمر القافلة فى سفرها •

عندما بدأت المدن تنشأ على طول طريق القوافل ، بدأ قطاع الطرق يغيرون من استراتيجيات وخطط غاراتهم التى اتخذت أسلوبا جديدا يميل إلى السلم أكثر من الحروب ، ألا وهو أسلوب الجزية • أمّن أسلوب الجزية بواسطة قطاع الطرق للقوافل السفر داخل حدود كل منطقة قطاع طرق دون التعرض إليها بعد دفع ما هو مطلوب من جزية •

على الرغم من التكلفة الباهظة للسير على هذا الطريق ، والتى تمثلت فى الجمارك التى تفرضها السلطات ، وفى جزية اللصوص على القوافل فإن قوافل تجارة اللبان قد استمرت فى الجزء الجنوبى من طريق اللبان القديم بين ظفار وجدة ، فقد كانت القوافل تتجمع فى ايدوص وسط جبل العمرى بظفار وتمر بطريق جيفر والشحر وأرما طريق حضرموت ، وتواصل السير من ثمود إلى جدة ، ومن جدة يحمل اللبان عن طريقين : طريق ميناء العقبة ، أو طريق القوافل إلى الشام • ومن ثم إلى الاسكندرونه ثم إلى أوربا • سارت تجارة اللبان عبر الصحراء لفترة ١٥٠٠ سنة ، وكان هذا الاستمرار نتيجة لأن البديل لهذا الطريق هو السفر عبر البحر الأحمر الذى كانت تنمو فيه الحواجز المرجانية ، التى شكلت خطورة على المراكب ، بالإضافة إلى التيارات الجارفة التى تجرى فيه ، وفوق كل هذه وتلك هنالك سفن القراصنة التى تجوبه من شاطىء لآخر ، واضعين أيديهم (القراصنة) على بضائع القوارب التى تبحر فيه •

كان طريق القوافل المار بعدن وحضرموت وجدة ثم الشام عن طريق شمال شبه الجزيرة العربية ، ومن أنطاكيا ، كان ينحنى إلى دول أوربا رابطا إياها بجنوب شبه الجزيرة العربية ، وبالتالى موصلا للبان إلى الغرب •

ترابط وثيق بين دول ذات حضارات عريقة مبعثها ومصدرها تجارة اللبان ، تلك التى كانت لا تقل أهمية عن تجارة البترول فى القرن العشرين ، وتلعب السياسة دورا بارزا فى حياة الشعوب ، تؤثر فى اقتصادياتها وأمنها واستقرارها • فلا نكاد نصل إلى القرن الثانى قبل الميلاد حتى نرى أهمية طريق البخور تتضاءل بالتدريج نتيجة لتوسع الامبراطورية الرومانية ، التى أخضعت للحكم الرومانى شركاء السبئيين (مصر والشام) فى تجارة اللبان فى البحر الأبيض المتوسط •

وفى القرن الأخير قبل الميلاد حاول الرومانيون إيجاد طريق مباشر لهم إلى هذه المنطقة ، ولكنهم فشلوا فى ذلك إثر معركة مأرب •

الباب الثامن

اللبـــان والأطمـــاع القـــديمة

الفصل الأول

اليونـــان :

عندما قامت جيوش الإسـكندر الأكبر باكتسـاح الشرق وتأسيس إمبراطورية واسعة ، فكر فى السيطرة على شبه الجزيرة العربية وفى جعلها جزءا من إمبراطوريته ليتم له بذلك الوصول إلى سواحل المحيط الهندى والسيطرة على تجارة أفريقيا وآسيا وتحويل ذلك المحيط إلى بحر يونانى • وقد أورد المؤرخون عدة أسباب حملت الإسكندر على التفكير فى غزو شبه الجزيرة العربية ، ولكن السبب المعقول من تلك الأسباب هو أنه سمع ببخور بلاد العرب وطيبها ، وحاصلاتها الثمينة ، وبسعة سواحلها التى لا تقل مساحتها كثيرا عن سواحل الهند وبالجزر الكثيرة المحدقة بها وبالمرافىء الكثيرة التى يستطيع أسطوله أن يرسو فيها ، وببناء مدن يمكن أن تكون من المدن الغنية ، فهاجت فيه هذه الأفكار الشوق إلى الاستيلاء عليها •

أرسل الإسكندر بعثات استطلاعية تتسقط له الأخبار والمعـلومات اللازمة لإرسال أسطول كبير يستولى على سواحل شبه الجزيرة العربية ، يتجه من الخليج فيتعقب سواحلها ، ثم يدخل البحر الأحمر إلى خليج العقبة حيث ينفذ أسطوله إلى سواحل مصر ، وقد هيأ الأسطول وجاء بأجزاء السفن والأخشاب لبنائها من فينيقية ، وقبرص واتخذ بابل بالعراق قاعدة للإشراف على تنفيذ هذه الخطة •

ويبدو أن الإسكندر عرف الصعاب التى ستواجهه فى إقدامه على اقتحام

شبه الجزيرة من البر بسبب مقاومة القبائل وصعوبة قطع الفيافى وقلة المياه ، فعزم على تحقيق المشروع من البحر •

أعد الإسكندر كل ما يلزم إعداده ، غير أن موته المفاجىء ، وهو فى مقتبل عمره ، ثم تنازع قواده ، وانقسامهم صرفهم عن التفكير فى تنفيذ المشروع الخطير •

ولما أراد الإسكندر احتلال غزة فى طريقه إلى مصر ، قاومت المدينة وتولى الدفاع عنها رجل سماه المؤرخون (باتس) الذى يرى بعض الباحثين أنه رجل عربى يدعى (باطش أى فاتك) مستعينا بجيوش عربية قاومت مقاومة شديدة إلى أن كادت تهزم المقدونيين هزيمة منكرة لولا المساعدات القوية التى استجلبها الإسكندر فى الوقت المناسب ، وقد ظلت المدينة تقاوم طيلة خمسة شهور « ٣٣٢ ق•م » حيث تغلب على مقاومتها ، ففتحت أبوابها بعد الحصار الشاق وعثر اليونانيون فيها على مقادير كبيرة من اللبان والمر وحاصلات العربية الجنوبية ، فاستولوا عليها ، وخسر التجار العرب بذلك خسارة فادحة •

لقد كانت غالبية سكان غزة من العرب منذ زمن طويل قبل الميلاد ، وكانت نهاية لطرق القوافل البرية التجارية التى كان يسلكها التجار العرب القادمون من اليمن والحجاز ، كما كانت المركز الرئيسى للتجار العرب على البحر الأبيض المتوسط الذى تنتهى التجارة العربية إليه ، ومنه يتسوق التجار العرب البضائع التى ترد إليه من موانىء هذا البحر • وقد ذكر فى كتاب تاريخ الإسكندر خبر يفيد بأن الإسكندر أخذ من أرض العرب المنتجة للبخور كمية من البخور لإحراقها للآلهة تقربا إليها ، وربما حصل على هذه الكمية عن طريق الهدية من أحد حكامها ، أو ضريبة من التجار العرب مقابل

السماح لهم ببيعه فى الأسواق التى استولى عليها اليونانيون ، لأن الإسكندر لم يمهله القدر لتنفيذ مشروعه بغزو شبه الجزيرة العربية •

ومما يذكر أن الملك « أنطيوخس الثالث ٢٠٥ ق•م » لما عاد من حملة على الهند ، اتجه نحو الغرب ، أى السواحل الشرقية لشبه الجزيرة العربية ، وعندئذ أرسل الجرهائيون رسلا إليه يفاوضونه على الصلح ، فوافق على أن يدفعوا إليه فى كل سنة جزية من فضة ولبان وزيت مصنوع من البخور •

ومن الأماكن التى كان لها نشاط تجارى كذلك فى أيام البطالمة جزيرة « تيلوس » دلمون وماجان •

ولقد أرسل بطليموس الثانى ٢٨٥ — ٢٤٦ ق•م « أرستون » للكشف عن سواحل البحر الأحمر فى السويس إلى المحيط الهندى ، وقد عاد من أسفاره البحرية وقدم تقريرا إلى ملكه ذكر فيه قوم « ثمود » فى جملة من ذكرهم من الشعوب ، ولعله أول إغريقى ذكرهم ، وقد أسست فى هذا العهد موانىء على سواحل البحر الأحمر بلغت مداها جزيرة سقطرة ، وكانت ذات أهمية فى ذلك العهد ، لأنها كانت تنتج حاصلات لها أهمية كبيرة فى أسواق العالم إذ ذاك مثل البخور والصبر والصمغ وغير ذلك وهى سلع قيمة تشبه قيمة البترول فى القرن العشرين •

لقد صرف البطالسة مجهودا كبيرا فى سبيل السيطرة على البحر الأحمر والتوسع فى المحيط الهندى ، وأرسلوا الرجال المغامرين إلى تلك الأماكن للكشف عنها • وقد ظلت تجارة الهند والبحار فى أيدى العرب ولم ينجح البطالسة فى تغيير الوضع وتبديل الحال ، لذلك انحصرت كل محاولاتهم فى توجيه التجارة من الموانىء العربية إلى سواحل مصر •

لقد كان بحارة العربية الجنوبية أصحاب دراية وكفاية ومازالوا ملاحين أكفاء حتى الآن ، فلم يكن من السهل على البطالمة إخراجهم من البحر وإبعادهم عنه ، ولقد حاول البرتغاليون من بعدهم بعدة قرون إقصاء العرب

عن تجارة الهند وأفريقيا ومنع سفنهم من الظهور فى المحيط الهندى ، فباءت محاولاتهم كلها بالإخفاق ، وبقـوا فى البحر بالرغم من أنف البرتغاليين • ومن الموانىء المهمة التى تاجر البطالمة معها ميناء « مخا » ، وهو ميناء قديم وكان خاضعا (لكرب إبل) الذى كان ملكا على سبأ •

وتعامل البطالمة مع ميناء آخر يقع على السواحل العربية وهو ميناء عدن ، فكان تجارهم يأتون بسفنهم إليه فيشترون من تجاره ما يحتاجون إليه ، كما أنهم اتخذوه محطة للاستراحة وللتزود بالماء والزاد ، وللقيام منه برحلات بعيدة إلى سواحل أفريقيا أو الذهاب إلى الهند •

وقد أقيمت عدة مواضع يونانية لا تبعد كثيرا عن عدن ، وقد بقيت حية عامرة إلى سقوط حكم البطالمة فضعف أمر تلك المستوطنات ، ودمرتها القبائل العربية الساكنة فى جوارها • لقد أحدث دخول اليونان البحار الجنوبية من الخليج العربى ومن البحر الأحمر احتكاكا مباشرا بين الثقافة اليونانية والثقافة الشرقية ، وقد عثر على كتابات يونانية فى مواضع متعددة من الخليج ومن السواحل الأفريقية تتحدث عن وجود اليونان فى هذه الأماكن • وكان من نتائج دخول اليونان إلى الخليج العربى والبحر الأحمر دخول النقود اليونانية إلى شبه جزيرة العرب ، وظهور دور ضرب السكة فيها ، وقد عثر فى مواضع من شبه الجزيرة على نقود ضرب بعضها على طراز نقود الإسكندر الأكبر ، وضرب بعض آخر فى أيام خلفائه • كما عثر على نقود محلية ضربت فى العربية الجنوبية ، وقد تبين من دراستها وفحصها أنها ضربت على الطريقة اليونانية ، ويظهر الأثر اليونانى واضحا فيها • وإلى عهد البطالمة ترجع الكتابات العربية المدونة بالمسند والتى عثر عليها فى الجزيرة بمصر ، وقد كتبت فى السنة الثانية والعشرين من حكم بطليموس بن بطليموس ، ويصعب تعيين زمان هذه الكتابة ، على أن بعض الباحثين يرى أنها لم تكتب بعد سنة

٢٦١ ق • م • وقدعثر على كتابات أخرى فى موضع (قصر البنات) على طريق « قنـــا » فى مصر ، وفى منطقة أدفو ، ووجود كتابات المسند فى مصر يدل على الصلات الوثيقة التى كانت بين العرب ومصر •

وقد عثر العلماء على كتابات معينية فى جزيرة (ديلوس) من جزر اليونان وهذه الكتابة تؤكد وصول المعينيين إلى هذه الجزيرة وإقامتهم فيها ، واتجارهم مع اليونان • وقد عثر العلماء كذلك على كتابة معينية بمصر كتبت حوالى ٢٦٣ ق•م ، وذلك بالجيزة وهى تشير إلى وجود المعينيين بمصر فى ذلك العهد ، وعن وجود صلات تجارية ربطت بين مصر وشبه جزيرة العرب من البر والبحر •

هذا وقد كانت للعرب الجنوبيين جالية مقيمة بمصر بقيت مخلصـــة لقوميتها ، محتفظة بأبجديتها ، معتزة بتراثها ، كما يظهر ذلك من كتابة من أيام بطليموس عام ٢٦٣ قبل الميلاد ، وقد تحدثت عن وجود صلات تجارية ربطت بين مصر وجزيرة العرب ، وهى تتحدث عن رجل اسمه زيد بن زيد اعترف بوجود دين عليه وواجب هو توريد وتزويد بيوت آلهة مصر بالمـــر واللبـــان وقصب الطيب ، وقد احتكرت حكومة البطالمة بيع المر والبخور والعطور ، وسمحت للتجار المستوردين باستيراد ما يشاؤن من المـــر واللبان والبخور والصمغ والصبر ولم تسمح لهم ببيعها •

من هذا نرى أن العلاقة كانت وثيقة الصلة بين جنوب الجزيرة العربية وبين مصر فى عصور التاريخ القديمة •

الفصل الثانى

الرومـــــــــان

عندما استولى أغسطس سنة ٣١ ق٠م على مصر وجعلها تابعة لحـكم قياصرة روما أوعز إلى حاكم مصر « أليوس جالوس » بغزو شبه جزيرة العرب بغرض الاستيلاء عليها وعلى ثرواتها العظيمة التى اشتهرت بها من الاتجار بالمر واللبـان والبخور والأفاوية والذهب ، وللهيمنة على البحر وضمان مصالح روما فى ذلك الجزء من العالم ، وجعل البحر الأحمر بحرا رومانيا • ولو تم ذلك المشروع على نحو ما حلم به أغسطس لكان حكم روما الفعلى قد بلغ الجنوبية العربية •

إلا أن سوء تقدير الرومان لهذا المشروع ، واستهانتهم بطبيعة جزيرة العرب ، وعدم إدخالهم فى حسابهم قسوة الطبيعة هناك ، وعدم تمكن الجيوش النظامية من المحاربة فيها ، وتحمل العطش والحرارة الشديدة ، كل هذه الأمور أدت إلى خيبته منذ اللحظة الأولى • فكانت انتكاسة شديدة فى هيبة روما وفى مشاريعها التى رسمتها وأرادت تنفيذها فى جزيرة العرب • فقد هزمت الجيوش الرومانية فى موقعة مأرب •

ولم يفكر الرومان بعد حملتهم المخفقة هذه فى الفتح العسكرى المباشر لجزيرة العرب ، بل رأوا تقوية أسطولهم فى البحر الأحمر وتحسين علاقاتهم السياسية بالإمارات العربية وبسادات القبائل للمحافظة على مصـالحهم الاقتصادية •

وتتحدث الأخبار بأن الرومان عقدوا معاهدة تحالف مع ملك ظفار ، وهذا يدل على وجود صلات بين الرومان وبين رئيس حمير فى هذا العهد • وفى هذا التحالف ما فيه من شرح للعلاقات السياسية الجديدة التى حدثت بين الرومان والعربية الجنوبية •

وبعد إخفاق الرومان فى موقعة مأرب احتلوا ميناء عدن عن طريق البحر ، إذ لا يعقل وقوعه من البر ، فقد كان البر فى أيدى السبئيين والقبائل العربية الأخرى ، وكان احتلال عدن تعويضا عن تلك الخطة الخائبة وذلك فى حوالى سنة ٢٤ بعد الميلاد ، وهو زمن غير بعيد من حملة اوليوس جالوس ، وقد صار فى إمكان السفن الرومانية بعد الاستيلاء على عدن الاستراحة فيها والإقلاع منها إلى الهند وإلى السواحل الأفريقية والعودة إليها ، وكان الرومان يهتمون بشأن هذا الميناء لأنه كان أسهل طريق لهم توصلهم إلى سواحل افريقية والهند والعربية الجنوبية إلى قنا .

كان ميناء قنا ضمن الموانىء التى كانت السفن الرومانية تصل إليها وهى قادمة من مصر ، وكان اللبان والمر وبقية الأفاوية تحمل من منابتها إلى ميناء قنا وقد تحمل على وسائل النقل المائية المصنوعة من قرب منفوخة بالهواء مشدودة إلى جذوع أو أخشاب بحبال تربط بينها وتوثق بسفن صغيرة لتوصيلها إلى الموانىء الرئيسية لتصدير اللبان ، ثم توزع من قنا على التجار ، أو ترسل فى السفن إلى الأسواق العالمية .

وقد أنشأ تراجان ١٠٥م-أو ١٠٦م طريقا مهمة من « أيلة » على رأس خليج العقبة ، مارة بالبتراء فبصرى إلى دمشق . وصارت بصرى محطة مهمة جدا للقوافل القادمة من اليمن والحجاز ، وقوى الأسطول الرومانى لاحتكار التجارة البحرية التى هى مصدر كل غنى وثراء .

لقد كان البخور أو اللبان رأس بضائع العالم الثمينة المطلوبة فى ذلك العهد . كان سعره يساوى سعر الذهب والبترول فى هذه الأيام ، ولم يكن يشتريه لغلائه هذا إلا رجال الدين ، لاستعماله فى الشعائر الدينية التى تستنزف القسم الأكبر منه ، والملوك الأثرياء وذلك لحرقه فى المناسبات الدينية وفى اجتماعاتهم .

وآخر ما يقال عن تدخل الرومان فى شئون جزيرة العرب هو أن القيصر « سبيتموس سفيروس » أرسل حملة عسكرية فى ٢٠١م توغلت فى العربية

السعيدة ، وكان الذى قاد الحملة العسكرية ابن القيصر واسمه « كره قالا » • ويرى بعض الباحثين أن الرومان لم يتوغلوا بعيدا فى جزيرة العرب ، وربما كان أقصى ما بلغوه منها ديار ثمود •

من هذا السرد التاريخى الموجز يتضح لنـــا ان كل تحركات اليونان والرومان وغيرهم من الأمم لغزو الجزيرة العربية كان مبعثها فى المقام الأول هو الحصول على ثرواتها التى تمثلت فى اللبان والمـــر والذهب ، وفى المقام الثانى السيطرة على سواحلها الاستراتيجية الطويلة •

الباب التاسع

مدن وموانىء استمدت شهرتها من اللبان

ميناء « سمهرم » :

يعد ميناء سمهرم المعروف بخورورى ، وهو فى ظفار من الموانىء المعروفة التى كانت فى القرن الأخير قبل الميلاد ، ويرى بعض الباحثين أن مؤسسيه هم من الحضارمة ، فقد كان إذا من موانى مملكة حضرموت ، وقد عثرت البعثة الأمريكية لدراسة الإنسان على بقايا خزف ، تبين لها من فحصه ، أنه مستورد من موانىء البحر المتوسط فى القرن الأول للميلاد ، ووجوده فى هذا المكان يشير بالطبع الى الاتصال التجارى الذى كان بين العربية الجنوبية وسكان البحر المتوسط فى ذلك العهد .

وعندما نتقصى الأسباب التى دفعت إلى تأسيس هذا الميناء ، نراها تتمثل فى أن « البارثانيين » قاموا بمحاولة احتلال منطقة إنتاج اللبان ، كان ذلك فى القرن الأخير قبل الميلاد ، وبعد أن صدت غاراتهم ، أسست مدينة « سمهرم » على خورروري وهو خليج عميق على بعد أميال قليلة شرقى مدينة طاقة رست عليه سفينة سليمان التى أخذت الجرار المملؤه باللبان ، تدحرج إلى داخلها من أعلى الجبل ، فتستقر فى السفينة التى حملت اللبان .

وقد صارت سمهرم الحصينة مركزا إداريا لمنطقة إنتاج اللبان ، وميناء رئيسيا للتصدير ومرفأ أمان لموقعه الواقى وخاصة فى فصل الرياح الموسمية العاصفة

ويقال فى سبب تأسيس هذا الميناء أيضا إن بحر العرب كان قديما بقعة

تعج بالقراصنة الذين يغيرون على الموانىء والمرافىء على طول ساحل جنوبى شبه الجزيرة العربية ، أو أنهم يبقون بالمرصاد فى انتظار الأساطيل المشحونة باللبان وهى فى طريقها إلى الشمال ، لهذا بنى ملوك « شبوة » عاصمة حضرموت قلعة « سمهرم » التى استطاعوا بها وبمساعدة الههم « سن » وهو اله مملكة حضرموت التى تمتد إلى منتصف شبه الجزيرة العربية من جهة الجنوب بما فى ذلك ظفار ، وكان الاله « سن » الها قويا ، وكان كهنته يفرضون الاتاوة على الناس ، ويقدمون القرابين زلفى له ، وقد وجد فى معبده اللبان وبعض النقود المعدنية ، وتدل بعض الآثار ، والأوانى الفخارية التى اكتشفت فى سمهرم ، على أنه كان هناك اتصال بين العربية الجنوبية وبين النبط جنوبى الأردن ، وقد أوضحت الحفريات التى قامت بها بعثة « وندل فلييس » فى سمهرم عام ١٩٥٢ ان للقلعة من الجهتين الجنوبية والشرقية حائطين ، عرض كل منهما ثمانية أقدام ، وارتفاعه عشرون قدما ، فى حين أن كلا من الجهات الشمالية والغربية والشمالية الشرقية ، كانت محمية بأبراج مراقبة منيعة ، وان هذا الحصن لم يكن سوى مخزن كان الملوك يخزنون به اللبان كما عثرت البعثة على آثار عمرها ألفان وثلاثمائة سنة .

واكتشفت البعثة أيضا بئرا بينها وبين الآثار المصرية أوجه شبه كبيرة ، فالأحجار التى استخدمت فى بنائه هى أحجار الجرانيت التى بنيت بها الأهرامات والطريقة التى اتبعت فى البناء هى نفسها التى اتبعت فى بناء الأهرامات ، فالبئر أشبه بهرم أو مسلة ولكنه فى وضع معكوس ، فقاعدته ضيقة ، ويأخذ البناء فى الاتساع شيئا فشيئا حتى يصل طول ضلع قمته إلى متر تقريبا[1] .

ومن يدرى ؟ فلعل المستقبل يكشف عن المجهول ، وتؤكد الحفريات تفاعل الحضارات بعضها مع بعض ، ولعل التقدم العلمى يكشف عن دور اللبان فى تحنيط الجثث الذى مازال الطب الحديث على تقدمه يجهل سره .

---

(١) هكذا فى الأصل (د. شلبى) .

منطقة حنـــون :

تقع منطقة حنون شمالى جبال القرى فى حدود النجد ، على بعد ستين كيلومترا شمالى صلاله ، وتعتبر هذه المنطقة من أكبر مراكز تجميع اللبان فى ظفار • وقد أكدت الحفريات التى قامت بها بعثة « وندل فلبيس » فى منطقة حنون أن هذه المدينة كانت مركزا يتوسط منطقة نمو أشجار اللبان ، وتعتبر منطقة حنون من أجود مناطق اللبان •

وقد شيدت محطة فى حنون بهدف تجميع العمال فيها فى موسم استخراج اللبان ، وقد ذكر أن السلطات التى شيدت سمهرم من أجل التحـــكم فى تصدير اللبان هى التى شيدت محطة التجميع فى « حنون » ، حيث يصل العمال محروسين بالعساكر إلى محطة « حنون » فى موسم جنى اللبان •

واحـــة اندهـــور :

تقع على بعد ٤٠ ميلا شمالى مرباط ، وقد اشتهرت بأنها منطقة تجميع أجود أنواع اللبان فى جنوب شبه الجزيرة العربية قاطبة ، وقد شيدت القلاع فى هذه المنطقة لحفظ اللبان وتجارته • وتعتبر هذه المنطقة قلب منطقة إنتاج أجود أنواع البخور فى ظفار قاطبة وتعود أهميتها القصوى إلى أنها تقع على أهم الطرق التى تربط حضرموت بالخليج العربى ، إذ هى محطة توقف هامة فى طريق القوافل إلى الخليج وقد تتجه القوافل غربا إلى حضرموت •

وقد عمل حكام حضرموت على الاحتفاظ بأندهور ليسيطروا على تجارة اللبان ، وان القلعة التى كانت تطل من سفح الجبل على هذه الواحة لهى دليل على حرص السلطات الحضرمية للسيطرة على طرق تجارة اللبان •

ميناء ظفار :

كان يحمل إليه اللبان من جبال ظفار وبه يقسم ويوزع ولا يسمح بحمله إلى غيره ، وقد ذكر بطليموس أنه كان موضعا مقصودا تقصده السفن الذاهبة إلى الهند والآيبة منها وكذلك إلى الخليج وسواحل افريقية وقد كان هناك اتصال مباشر بين ميناء ظفار ومنطقة حنون ، وهذا الميناء هو المنطقة المعروفة الآن باسم البليد وتقع على الساحل إلى الشرق من صلالة وقد أطلق عليها اسم « المنصورة » فى أيام أحمد بن محمد آل حبوضى ومما يقال عن هذه المنطقة إنها كانت تحكم بواسطة أمير أخذ يحتكر إنتاج اللبان ولم يسمح لأحد أن يتصرف فيه ، كان ذلك فى أيام الملك الساسانى « أنوشروان » •

وقد وصف ابن بطوطه البليد بأنها مدينة تميزت بكثرة المساجد التى بنيت كلها باتجاه ٢١٠ درجة شمال غرب ، وهذا الاتجاه هو الاتجاه المضبوط لمكة ، حيث يتجه المصلى إلى القبلة باتجاه المحراب تماما ، وهذه الدقة فى تحديد القبلة لهى دليل دامغ على استخدام العلوم التطبيقية عند هؤلاء الناس فى تلك الآونة[1] وكانت البليد مركزا تجاريا عظيما فى الفترة التى سبقت عصر النهضة فى غرب أوربا •

ميناء مخا :

من موانىء اليمن المهمة على البحر الأحمر ، وكان مقصودا ، تصل إليه السفن البيزنطية ، والسفن الآتية من مصر ، ومن هنا كانت تتزود تلك السفن ببضائع البلاد العربية ، وتبيع فيه ما استوردته من مصر ، أو من سواحل حوض البحر المتوسط ، وقد تتجه السفن من ميناء مخا إلى السواحل الأفريقية ، مخترقة مضيق المندب ، وقد تتجه إلى عدن ، ثم تواصل سيرها نحو السواحل الأفريقية ، بعد أن تتمون بما تحتاج إليه من ماء وزاد ، أو

---

(١) وندل فليبس : عمان المجهول — طبعة ١٩٧١ صفحة ١٨٦

تتجه إلى ميناء « اكيلا » الواقع على مقربة من رأس الخيمة ، للاقلاع منه إلى الهند وهو أقرب طريق يوصل العرب الجنوبيين وعرب سواحل عمـان إلى تلك البلاد .

مدينـة جرهـا :

من المدن التى كان لها نشاط فى تجارة اللبان ، فقد قال « سترايون » : إنها تقع على خليج عميق ، أسسها مهاجرون كلدانيون من أهل بابل وهم يتاجرون بالطيب والمـر والبخور ، تحملها قوافلهم التى تسلك الطرق البرية ، ويذكر « أرسطوبولوس » أنهم ينقلون تجارتهم بالبحر إلى بابل وفيها يعاد نقلها بالطرق البرية إلى مختلف الأنحاء ، وقد ذكر بعض الكتاب أن المدينة كانت مركزا من المراكز التجارية الخطيرة ، وسوقا من الأسواق المهمة فى بلاد العرب ، وملتقى طرق القوافل الواردة من العربية الجنوبية ، والواردة من الحجاز والشام والعراق ، كما أنها كانت سوقا من أسواق التجارة البحرية ، تستقبل تجارة أفريقية والهند والعربية الجنوبية ، وتعيد تصديرها إلى مختلف الأسواق ، بطريق القوافل البرية ، حيث ترسل من طريق « حائل » تيماء إلى موانىء البحر المتوسط ومصر ، أو من الطريق البرى إلى العراق ومنه إلى الشام ، وقد ترسل فى السفن إلى بابل ، ومنها بالبر إلى موانى البحر المتوسط ، وذكر القدماء أن الجرهائيين تاجروا مع حضرموت ، فرحلت قوافلهم إليها ، وكانت تعود وهى محملة بحاصلات العربية الجنوبية ، وهى بضاعة نافقة ذات أثمان عالية فى الأسواق التجارية لذلك العهد ، وتاجروا مع النبط بإرسال قوافلهم التى قطعت الفيافى مارة بمواضع الماء والآبار إلى « دومة الجندل » ، ومنها إلى « بطرا » عاصمة النبط . أما التجار الذين يريدون أسواقا أخرى غير أسواق النبط ، فكانوا يتجهون نحو الشمال ، فيدخلون فلسـطين قاصدين غزة ، أو يتجهون وجهة أخـرى هى وجهة « بصرى » وبقية بلاد الشام .

ميناء قنا :

كان الميناء الوحيد لحضرموت الصالح للاتجار بحرا مع الهند وأفريقية ، أخذته من « حمير » وكانت تتحكم بطول الساحل بين عدن « وقنا » ، ولها أسطول من السفن للاتجار مع الساحل الإفريقى ، وقد كان اتصال حضرموت بالخارج عن طريق ميناء قنا فقد كانت السفن تأتى إليه وتخرج منه ، لتذهب إلى افريقية والهند وعمان وأرض فارس ، وقد قال عنه اريانوس إنه الميناء الرئيسى لملك أرض اللبان •

وقد ذكر هذا الميناء « يلينوس » كذلك فقال « إن السفن التى تأتى من مصر فى طريقها إلى الهند أو السفن الآتية من الهند إلى مصر كانت ترسو إما فى ميناء قنا وإما فى ميناء أوكلير » على ساحل البحر عند المضيق •

وذكره مؤلف كتاب « الطواف حول البحر الأريترى » كذلك فقال :

ميناء قنا ميناء حضرموت وله تجارة واسعة مع عمان على الخليج ومع سواحل الهند ومع سواحل الصومال فى أفريقية •

وفى ميناء قنا يجمع اللبان والبخور وغير ذلك ويصدر إلى الخارج إما بحرا حيث تنقلها وسائل النقل البحرية ومنها بعض الوسائط التى تطفو على سطح البحر كالقرب المنفوخة بالهواء وإما برا حيث تنقلها القوافل • ويقع هذا الميناء إلى شرق عدن وعلى مسافة منه جزيرتان هما جزيرة الطيور وجزيرة القباب •

ويرى أكثر الباحثين الآخرين أن ميناء « قنا » هو المحل المعروف باسم حصن غراب فى الزمن الحاضر ، وحصن غراب قد بنى على مرتفع من صخر أسود على لابة بركان قديم ، يشرف على المدخل الجنوبى الغربى لخليج أقيم عليه الميناء فيحميه من لصوص البحر ومن الطامعين فيه وقد زاره بعض السياح مثل « ولستيد » فوصفه وزاره (B. DOE) سنة ١٩٥٧ وتحدث عنه •

وحصن غراب هو (عرمويت) وهو حصن مدينة قنا لا المدينة نفسها ولاتزال آثار مخازن مائه القديمة باقية وهى صهاريج تملأ بالأمطار عند نزولها لتستعمل وقت انحباسها ، وقد أمكن التعرف على موضع البرج الذى يجلس فيه الحرس والمراقبون لمراقبة من يريد الوصول إلى المكان ، أما ما يسمى « ببير على » فى هذه الأيام فانها مستوطنة حديثة بنيت على أنقاض تلك المدينة القديمة •

وميناء قنا الذى تحدثت عنه الكتب العربية والأجنبية له ذكر فى ظفار •• لذا استولت علىّ رغبة ملحة ودفعتنى عزيمة آسرة إلى البحث عن تحديد موقعه والتعرف على خصائصه فاتصلت ببعض المواطنين مثيرا تساؤلى عن هذا الميناء فكان ردهم غير كاف ولا شاف ، وقد هدانى التفكير إلى الاتصال بسكان المنطقة الشرقية وهم أقرب إلى مناطق اللبان الكثيفة والواسعة وأدرى بالتعامل مع البحر من سواهم وأثرت معهم التساؤل وبعد لأى علمت منهم أن هناك موقعا على ساحل البحر بالقرب من مدينة مرباط ينطقون اسمه حسب لهجتهم الجبالية « قيان بإمالة القاف » عند ذلك صممت على زيارة هذه المنطقة لأستطلع بنفسى مشاهدة هذا الموقع ، وأتعرف على معالمه ، فاستقرت بنا السيارة على شاطىء البحر بعد ساعة ونصف من مغادرة صلالة ، فشاهدت خليجا سدت فوهته برمال البحر البيضاء ، يمتد شمالا إلى منخفض شبه دائرى تقدر مساحته بكيلومتر عرضا وثلاثة طولا ، قامت على حوافه تلال من الصخور ، بعضها نارية ناتجة عن الانصهارات البركانية • ردم أكثر هذا المنخفض بفعل عوامل الطبيعة ، ونمت عليه أشجار بحرية ، بينما جانب من هذا المنخفض لاتزال به بعض المياه ، تعيش فيه قلة من الأسماك ، ويحتضن الصخور من الجانبين فضاء واسع ينساح شرقا وغربا وشمالا ، وهناك بعض القبور إلى الشرق من هذا الموقع تدل على أنه

كان آهلا بالسكان ، ولكن بدون تأكيد من حيث ما يربطهم بأهمية الماضى • والدلائل تشير إلى أن هذا الموقع هو قنا الذى أشارت إليه الكتب بكونه ميناء استراتيجيا من حيث وقاية السفن من العواصف وقربه من جبل سمحان الذى يطل عليه مباشرة من الشمال ، وتقع خلفه أكثر منازل اللبان جودة وكثرة ، ثم توسطه بين موانىء الشاطىء التى تستقبل القوافل من مصادر اللبان ، ومن ثم يحمل فى سفن صغيرة إلى قنا • يبعد هذا الموقع شرقا عن مرباط بحوالى ١٥ كيلو مترا كما يقع ميناء سمهرم إلى الغرب منه بحوالى خمسين كيلو مترا وكلا الميناءين يتشابهان من عدة وجوه :

أولا : الموقع الذى يتميز به كل منهما ، فهما يتميزان بالموقع الاستراتيجى الرائع •

ثانيا : قربهما من أهم مناطق إنتاج اللبان فميناء قنا قريب من منطقة حوجر التى تتميز بكثرة اللبان وجودته وميناء سمهرم قريب من منطقة النجد وعيون التى تليها فى الجودة والإنتاج •

ثالثا : شطآنهما الصخرية العالية التى تقى السفن غوائل العواصف عندما يهيج المحيط الهندى فى أحد أعاصيره أو عواصفه الموسمية المعتادة فى فصل الصيف •

وقد يؤدى التنقيب مستقبلا فى هذا الموقع وما حوله إلى الكشف عن كثير من الأسرار التى تحكى قصة حضارة عمان فى حقبة من الزمان •

دور مملكة سبأ فى تجارة اللبان وطرقه :

ورد فى « أرميا » أن « شبا » كانت ترسل اللبان إلى إسرائيل وأشير فى سفر « أيوب » أن قوافل « شبا » كانت تسير نحو الشمال حتى تبلغ إسرائيل ، وفى هذه الإشارة دلالة على الصلات المستمرة التى كانت بين العبرانيين والسبئيين ، وعلى أن السبئيين كانوا هم الذين يذهبون إلى

العبرانيين يحملون إليهم الذهب والأحجار الكريمة والطيب واللبان ، فتبيع قوافلهم ما عندها فى أسواق فلسطين ، ثم تعود حاملة ما تحتاج إليه من حاصلات بلاد الشام ومصر وفلسطين .

وكانت البتراء أهم عقدة طرق يمر بها المعينيون والسبئيون ومنها يتجه الطريق نحو البحر الميت لمن يريد الاتجار مع بلاد الشام ، وطريق آخر ينتهى بغزة لمن يريد الاتجار مع هذا الميناء المهم .

وكان اللبان من أهم المواد التى تاجر بها العرب الجنوبيون ، تاجروا بتصديره إلى بلاد الشام ومصر والعراق .

وقد أشير فى التوراة إلى قوافل سبأ ، وهى قوافل كانت تسير من العربية الجنوبية مخترقة العربية الغربية إلى فلسطين فتبيع ما تحمله من سلع هناك . وقد كان السبئيون يسيطرون على العربية الغربية حتى بلغت حدود مملكتهم أرض فلسطين ولم تشر التوراة إلى وجود قوافل بحرية وسفن للسبئيين فى البحر الأحمر تتاجر مع فلسطين ومصر .

سارت حكومة سبأ على سياسة التوسع التجارى ، وهذا التوسع يقتضى السيطرة على الطرق فبذلت جهدها لبسط سلطانها على الطرق والمسالك وجعلها تحت نفوذها وحكمها ، وبعد استيلائها على بقية الحكومات العربية الجنوبية الأخرى ، وضعت الطرق الجنوبية المؤدية إلى أرض اللبان والمواد الأخرى التى اشتهرت بها العربية الجنوبية ، وإلى الموانىء والمرافىء التى تتاجر مع أفريقية والهند وتستورد منها السلع النفيسة الثمينة تحت نفوذها وحكمها وحسنتها وشقت طرقا جديدة لأغراض حربية واقتصادية ، وبلطت بعض مواضع فيها لتقاوم السيول والأمطار ، وأحكمت جوانبها ، وحصنتها بالحجارة الصلدة حتى تقاوم السيول التى تنحدر من المرتفعات على هذه الطرق ، فلا تلحق الأذى بها ولاتزال آثار تلك الطرق باقية ، وقد كتب عنها السياح . وقد اتجهت أيضا نحو السيطرة على الطرق البرية المؤدية إلى بلاد الشام ، ولهذه الطرق أهمية كبيرة بالنسبة إلى اليمن والعربية الجنوبية ،

وهى طرق موازية للطرق البحرية الممتدة فى البحر الأحمر ولها شأن خطير فى التجارة العالمية ، وقد أسست مواضع حراسة لحراسة القوافل ، ووجه السبئيون أنظارهم نحو العراق وموانىء الخليج العربى ــ كذلك استخدموا الطريق الممتد من « نجران » إلى « السليل » ومن هنــاك إلى الخليج والعراق •

خاتمـــــة

ماذا ينبغى أن تكون نظرتنا إلى اللبـــان :

ان البخور أو اللبان بترول العالم فى الزمان القديم ، والمر والصموغ العطرية والمنتوجات الزراعية الأخرى التى اشتهرت بها العربية الجنوبية ، وكانت مصدر رخائها ، ومصدر تنافس الدول الكبرى عليها فى ذلك الزمان ، قد زالت أهميتها بالتدريج ، وذهب أثر سحرها بتبدل الأيام • وظفار والمناطق الأخرى ، وإن كانت لاتزال ترى أشجار اللبان تنبت فيها على الفطرة حتى اليوم ، قد زالت دولة هذه الأشجار ، فلا تأتى للسكان بالذهب والفضة • فقد تغير ذوق العالم ، وتبدلت تجارته ، تغير الكثير من مفاهيم سكانه ، وصار يفتش عن الذهب الأسود ، منتوج الطبيعة فى باطن الأرض • وفى هذه المواضع من العربية الجنوبية ، وفى الأودية وحافات الهضاب والجبال التى كانت تنبت بها تلك المواد الثمينة ، والتى لاتزال تنبت على الطبيعة ، تشاهد كهوفا ومغاور غريبة وآباراً وكتابات جاهلية وآثار مقابر تتحدث كلها عن قوم كانوا قد استوطنوا هذه الأماكن قبل الإسلام بزمن طويل ، فهى الآن أطلال آثار ترجو من الأحياء توجيه نظرهم إليها لإحيائها ولاستنطاق آثارها وكنوزها لتحدثهم عن ماضيها القـــديم •

نعلم جيدا أن مصادر الدخل القومى لأية دولة تقوم على موارد مختلفة ، بعضها ثابت دائم لا ينقطع والبعض الآخر موقوف بزمن معين ، وعلى سبيل المثال الزراعة مثلا فهى من الموارد الخالدة ما خلدت الأرض ، وما تدفقت الميـــاه •

أما البترول فإنه وإن كان يدر المـــال الوفير ، ولكنه محدود الأجـــل قصير الأمد ، واللبان من تلك الموارد الثابتة الباقية ما بقى الزمان • فإذا علمنا أن الدول الصناعية مازالت تجد فى طلبه للانتفاع به فى صناعة الأدوية والزيوت والمساحيق والشموع ، وإذا علمنا أن بعض أصحاب العقائد الدينية يتهافتون عليه ، إذا علمنا كل هذا فلماذا لا نولى اللبان اهتمامنا ؟ وقد هيأ

الله لنا طبيعة توافق نمو أشجاره ، فضلا عن أن أرض اللبان ماتزال كما كانت فى القديم وما برحت الأشجار تنمو فيها دون حاجة إلى أدنى جهد يبذله الإنسان ، وهذه الأرض قد لا تصلح لانبات أشجار أخرى غير أشجار اللبان ، وهى مساحات شاسعة لا يستهان بها ، والخبرات لدينا متوفرة ، والأيدى العاملة لا نفتقر إليها والذى نحتاجه فقط هو :

١ ــ تبصرة سكان مناطق اللبان بقيمة هذه الأشجار ، فلا يتركونها نهبا للإبل والأغنام ، كما يجب أن يضنوا بها على النار •

٢ ــ العمل على فتح أسواق لهذه المادة الغالية ، فتروج فى الحديث كما راجت فى القديم ، بل قد يكون رواجها الآن أكثر من ذى قبل ، خاصة وقد يسر العلم اتصال الدول بعضها ببعض ، وسهل طرق المواصلات ويمكن أن يكون لمعامل الأبحاث أثر فى تكشف مازال خافيا علينا فى مادة اللبان •

٣ ــ تم الاهتمام بتنمية الموارد الأخرى كمورد الزراعة والصناعة وصيد الأسماك ، فماذا يضيرنا لو وجهنا عناية خاصة لشجرة اللبان ، وعندئذ نضيف إلى الموارد موردا آخر ، ونحقق ارتفاع مستوى الدخل لدى البدو سكان مناطق اللبان •

٤ ــ القيام بدراسة تصنيع اللبان فى الخارج ، لنقيم عليه هنا فى أرضنا صناعة جديدة حديثة ، فتوفر له سوقا محلية تحض على المنافسة فى طلبه وطلب مستخرجاته مما يرفع أسعاره عالميا •

كل هذه المقترحات يمكن التصدى لها بفعالية عن طريق تكوين مؤسسة قومية تهتم بإنتاج اللبان من النواحى التالية :

١ ــ حماية شجرة اللبان من التلف بواسطة الإبل والأغنام والحريق •

٢ ــ العمل على تطوير نموه عن طريق خلق جهاز فنى متخصص فى

فن حماية الغابات وتنظيمها ورعايتها ، وزراعة أشجار جديدة فى مناطق إنتاج أجود نوع منه ، حيث بذلك يتم شغل مساحات كبيرة بأعداد هائلة من الأشجار مما يقرب المسافات بينها وبالتالى يوفر كثيرا من الزمن والجهد المبذول فى استخراجه .

٣ — الإشراف على تسويقه بواسطة الدولة ، حتى تضمن ثبات أسعاره بما يغرى البدوى على استثمار أشجاره بصورة منتظمة فعالة .

إن أسلافنا الأولين برعوا فى الصيدلة والطب وفى الكيمياء وفى كثير من العلوم ، ونحن نملك من الإمكانات أكثر مما ملكوا فلماذا لا نجد كما جدوا ، ولماذا لا نتخذ من العلم وسيلة لمواكبة ركب الحضارة الحديث ، إننا نأمل الكثير والكثير فى ظل النهضة المباركة بريادة صاحب الجلالة السلطان المعظم « قابوس المعظم » .

قد يقول البعض إن أجور العمال ارتفعت وهذا يؤثر على تسويق اللبان فى الخارج ، ولكننا نقول إن سعر اللبان قد ارتفع أيضا فى الأسواق العالمية ، ثم إن العامل يمكن أن يقوم بهذا العمل مقابل نسبة معينة من الإنتاج ، وهذا سيدفعه طبعا إلى مضاعفة الجهد المبذول .

إن أى إنتاج زراعى آخر وراءه جهـد كبير يتمثل فى إعداد التربة والحصول على البذور والرى والتسميد وقد يصاب المحصول بالآفات ، فتذهب هذه الجهود هباء ، ولكن أشجار اللبان لا تحتاج إلى شىء من هذا ، اللهم إلا عملية الاستخراج . ومازال البدو المقيمون بمناطق اللبان يتعشقون هذا العمل ولا يرضون عنه بديلا ، ويمكن استغلال هذه الطاقات البشرية فيما يعود على الأمة بالخير الوفير .

وبعد : فمن المسلم به أن دور اللبان فى التاريخ القديم كان أقوى تأثيرا وأكثر عائدا ، وأوسع انتشارا منه فى العصرين الأوسط والحديث بالنسبة للمنطقة ، وان الخوض فيه يزامن بدون شك تاريخها العريق ويكون معه

وحدة عضوية منذ بدأ التاريخ الإنسانى يروى تحرك الجماعات البشرية على ظهر هذه الأرض • فإذا جاءت المصادر على ذكر ظفار أضافت بأنها تشتهر بتصدير اللبان ، وإذا تحدثت عن اللبان قالت بأنه يصدر من ظفار • وما حكاه التاريخ ما هو إلا نذر يسير من هذا الدور الذى لعبه اللبان فى حياة المنطقة ، وما كشفت عنه الآثار المبدئية فى سمهرم ما هو إلا بصيص من نور يطل على هذا الدور ، ويحكى قصة حضارة لما يكتشف نسيجها ويرسم خطوطا ينتظر أن تتبين ملامحها •

وبالرغم من كل هذه الأهمية لمادة اللبان إلا أننى لم أعثر فيما اطلعت عليه من المصادر التاريخية ما يلقى الضوء فى هذا المجال مما يتفق وما كان للبان من أهمية وما لعبه من دور فى الزمن القديم ماعدا نتفا مبتورة ، وجملا قصيرة لا تعين الباحث على الاستطراد ولا تقدم البراهين لإغرائه بالمتابعة •

لذلك لم يبعد أكثر ما تحدثت فيه عن الإطار الذى لمسته من مشاهداتى • وعشت معه جزءا من حياتى • أو استوحيته من المصادر المقروءة وقدمته إلى المطلع آملا أن يجد فيه ما يفى باستنطاق الخطوط العريضة ثم الخروج بتحليلات أدق واستنتاجات أعمق •

لذا فإننى ألتمس المعذرة والصفح من المتطلع إلى إشباع رغبته فى هذا الميدان آملا أن يدرك قصور باعى فى البحث وكثرة مشاغلى فى محيط الوظيفة •

وأخيرا لابد من كلمة شكر وتقدير أوجهها إلى الأخوة الذين ساعدونى فى إنجاز هذه الدراسة وضحوا بالكثير من ثمين أوقاتهم لتزويدى بما كنت فى أمس الحاجة إليه بصدد هذا البحث وهم الأساتذة / السر أحمد العمرابى ، وأحمد الباشا ، وعوض عيسى فإليهم أكرر صادق الامتنان والعرفان بالجميل •••

ثبت بأسماء المصطلحات التى وردت فى البحث

المَنْزِلة :: بفتح الميم وتسكين النون مع كسر الزاى موقع مميز بحدود معينة نمت فيه أشجار اللبان وسيطر عليها أشخاص معينون •

المُغْرَة : بضم الميم وتسكين الغين مع فتح الراء هى الأنثى من شجر اللبان والجمع مُغَر بضم الميم وفتح الغين •

تَيْس : بفتح التاء وتسكين الياء الذكر من أشجار اللبان •

الفُفْل : بضم الغين وتسكين الفاء ، الشجرة التى تدر كثيرا من اللبـــــان •

التُّلِيَّة : بتشديد التاء المضومة وفتح اللام مع تشديد الياء المفتوحة اسم لشجرة اللبان فى بدء حياتها •

ثَـــال : بفتح الثاء اسم لأوراق شجر اللبان •

البَغْوَة : بفتح الباء وتسكين الغين مع فتح الواو اسم للزهرة التى تثمرها شجرة اللبان •

الثَّرْميت : بتشديد الثاء المثلثة المفتوحة وتسكين الراء اسم لعناقيد الزهر التى تتشكل فيها الحبوب •

التوقيع : الجرح الأول للشجرة عند بدء عملية استخراج اللبان •

السَّعَف :: بتشديد السين المفتوحة وفتح العين كل جرح للشجرة يأتى بعد الجرح الأول المسمى بالتوقيع فهو سعف أول وسعف ثان وسعف ثالث وهـــكذا •

الكَشْم : بفتح الكاف وتسكين السين • اسم للانتهاء من عملية استخراج اللبان ونمو لحاء الشجرة •

الطَّبِين الكبير : بتشديد الطاء المفتوحة وكسر الباء وهو الشخص الذى يستأجر المنزلة أو المنازل من الملاك •

الطبين الصغير : بتشديد الطاء المفتوحة وكسر الباء • الشخص الذى يشرف على عملية جمع اللبان من قبل التاجر وتوزيع احتياجات العمال اليومية •

العوِين : بفتح العين مع كسر الواو • العامل الذى يقوم بعمليتى التوقيع والسعف لاستخراج اللبان •

اللقْط : بسكون القاف : الفصوص النقية البيضاء المنتقاة من كمية اللبان •

المُطَيَّب : بضم الميم وفتح الطاء وتشديد الياء المفتوحة : اللبان بعد أن تعزل عنه الحجارة ولحاء الشجر •

الثارَة : بفتح الراء : حجارة صغيرة يشبه لونها لون اللبان •

مصطلحات خاصة بالأوزان :

البَهار : بفتح الباء : ١٠ مدالى •

المِدْلاة : بكسر الميم مع تسكين الدال = ٣ فراسل •

الفَراسلة : بفتح الفاء = ١٠ امنان •

المَنّ : بفتح الميم مع تشديد النون = ٢ ١/٣ رطل •

الهَنْدَر : بفتح الهاء مع تسكين النون وفتح الدال = ٥ فراسل وهو وحدة الوزن التى تعبأ فى كيس إلى الهند خاصة •

المراجـــــع

١ ــ وندل فليبس « عمان المجهول » طبعة ١٩٧١ •

٢ ــ دنتشس أوف سنت البان « حيث وقف الزمن » ــ صورة عمان ١٩٨٠ •

٣ ــ المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام « للدكتور جواد على » الجزء الأول والثانى والسابع •

٤ ــ دائرة معارف القرن العشرين « لمحمد فريد وجدى » •

٥ ــ دكتور « جورج جانزن » ــ ظفار سلطنة عمان ــ ١٩٨٠ •

٦ ــ الموسوعة العربية ــ إشراف محمد شفيق غربال •

ثانيًا

تاريخ عُمان ونشاطها الداخلى
من مطلع الإسلام حتى الآن.

سلطنة عمان
وزارة التراث القومي
المكتبة
الرقم التسلسلي : ٢٤٧٨
الرقم الخاص :

عُمان حصن الأمان للعروبة والإسلام

للأستاذ الدكتور سعيد عاشور

بسم الله الرحمن الرحيم

كان علم التاريخ من العلوم النقلية التى عنى بها المسلمون عناية فائقة فارتقى على أيديهم فى سرعة مرموقة ، وتعددت آفاقه ، وتفرعت ألوان كتابته وصارت له أهدافه ومنهجه العلمى الذى يميزه عن بقية العلوم النقلية .

ومع أن كتابة التاريخ بلغت على أيدى المسلمين درجة من الرقى والسمو لا نظير لها فى العالم أجمع طوال العصور الوسطى ، سواء من ناحيتى الكيف أو الكم ، إلا أن المشتغل بالتاريخ الإسلامى تستوقفه أحيانا عدة حقائق تتطلب منه فكرا موضوعيا وحكما أمينا صادقا .

ويعنينا من هذه الحقائق أن المؤرخين المسلمين لم يوزعوا اهتماماتهم بعدالة بين كافة أرجاء الدولة الإسلامية ، وانما ركزوا عنايتهم على ما جرى ويجرى فى قلب الدولة ، وعواصم الخلافة فيها ــ فى المشرق والمغرب سواء ، وأهملوا ــ اهمالا جزئيا أو كليا ــ معظم مناطق الأطراف البعيدة نسبيا عن مراكز الخلافة وحواضر الحكم .

وتبدو هذه الحقيقة بوضوح عندما نتأمل تلك الثروة الضخمة التى خلفها المؤرخون المسلمون ، والتى تشمل مؤلفات وموسوعات متعددة الألوان ــ مثل كتب الحوليات والسير والطبقات والتراجم والانساب والخطط والآثار والوقائع والحوادث ... وغيرها . فنجدها تسلط الأضواء فى المقام الأول على أقاليم الخلافة ومدنها وحكامها وأعيانها وعلمائها ، وما كانت تموج به من تيارات سياسية وحضارية وحربية .. أما ماعدا ذلك من أعضاء الدولة الإسلامية فى المشرق والمغرب ، وخاصة الأصقاع التى لم تكن قريبة من قلب الدولة الإسلامية الكبرى ، أو من قلب إحدى الدويلات ذات الثقل التى تفرعت عنها ، فلا نجد عنها فى موسوعات التاريخ الاسلامى سوى اشارات عابرة

سريعة بحيث يظل دورها فى التاريخ كدور الجندى المجهول فى حماية أطراف الدولة وأبوابها ومداخلها ، أو فى الذود عن الاسلام وتراثه وحضارته •

وربما أحس بعض أبناء هذه البلاد فى أواخر العصور الوسطى — مثل القيروانى[١] والجزنائى[٢] ومرعشى[٣] والنرشخى[٤] — بما تعرضت له بلادهم من اهمال على أيدى جمهرة السابقين من مؤرخى المسلمين ، فعمدوا الى وضع مؤلفات محلية عالجوا فيها تاريخ بلادهم أو مدنهم أو أقوامهم •

أما الحقيقة الثانية التى تستوقف نظر المشتغل بالتاريخ الاسلامى ، فهى أن الاتجاهات الفكرية والمذهبية والسياسية لعبت دورها فى بعض جوانب الكتابات التاريخية •

ومهما قيل من سمو الكتابة التاريخية عند المسلمين ، وما بلغته من حيدة وأمانة وموضوعية ، فان علينا أن نذكر دائما أن المؤرخ بشر ، يخضع بدرجة أو أخرى — لعواطفه ، ويتأثر بما ورثه عن آبائه وأجداده من معتقدات ، وينفعل بما يحيط به من آراء ، وتيارات روحية وفكرية • وربما سها قلم المؤرخ أحيانا وخاصة اذا عاصر حلقة من حلقات التاريخ اضطرمت بنيران التعصب والخلاف العقائدى ، فاتّهم مذهبا مخالفا لمذهبه بالكفر أو رمى أهله بالزندقة والإلحـــاد ، بل ربما رددت بعض الأحاديث ونسبت زورا وبهتانا الى الرسول عليه الصلاة والسلام ، للترويج لفكرة معينة أو تمجيد مذهب وتسفيه آخر ، من مذاهب أهل القبلة •

حقيقة ان هذه المآخذ وأمثالها ، لاتنتقص كثيرا من عظمة التراث العربى

---

(١) ابن أبى دينار القيروانى صاحب كتاب المؤنس فى أخبار افريقية وتونس •

(٢) أبو الحسن على الجزنائى صاحب كتاب زهرة الآس فى بناء مدينة فاس •

(٣) ظهير الدين بن نصير الدين ، صاحب كتاب تاريخ طبرستان ورويان ومازندان •

(٤) أبو بكر بن جعفر — صاحب كتاب تاريخ بخارى •

الاسلامى فى حقل الدراسات التاريخية ، ولكنها تشـــكل فى بعض الأحيان سحابة قاتمة تحجب الصورة الحقيقية لتراث أمة اختارها الله عز وجل لتكون خير أمة أخرجت للناس • ولعل هذا هو السبب فى تلك الدعوة التى انطلقت أكثر من مرة فى ربع القرن الأخير على ألسنة بعض الغيورين على صورة الأمة الاسلامية وتاريخها ، من ضرورة النظـــر فى اعادة كتابة التـــاريخ الإســـــلامى •

ولكن حدث فى كل مرة ـــ للأسف ـــ أن تتلقف بعض الحكومات هذه الدعوة لتجد فيها فرصة سانحة لتفسير التاريخ الاسلامى تفسيرا مغرضا ، يتفق وبعض النظـــريات السياسية والمذاهب الاقتصـــــادية ، أو النزعات الاقليمية ، أو المعتقدات المذهبية ، التى من شأنها أن تعمق وتشوه صورة الاسلام وتاريخ أهله ، وتضع تاريخا جديدا فى ضـــوء مفاهيم يبرأ منها الاسلام ، ويعوذ بالله منها المؤمنون المخلصون ، الأمر الذى جعلنا فى ضوء ما لمسناه واكتشفناه من اتجاهات مغرضة ، نفضل ارجاء النظر فى تنفيذ مثل هذا المشروع مؤقتا ، الى أن تصفو القلوب وتستيقظ الضمائر •

ولعله من الغريب أن نسمع بين حين وآخر عن جمعيات ومؤتمرات تعقد فى شتى أنحاء العالم المسيحى الغربى لتحقيق وفاق بين الاسلام والمسيحية والتقريب ـــ ما أمكن ـــ بين أتبـــاع الديانتين ، وقد شاركنا فى بعضها مع جمهرة من وزراء الأوقاف ورجال الفكر والدين فى العالم الاسلامى •

ومع ذلك فاننا لا نسمع عن مؤتمر واحد أو جمعية اسلامية واحدة تدعو المسلمين جمعيا ـــ على اختلاف مذاهبهم ـــ لاجتماع موحد تحت شـــعار لا اله الا الله محمد رسول الله ، ليتجادلوا بالتى هى أحسن ، ويعملوا مخلصين على ترميم تلك الشروخ التى أصابت البناء الاسلامى على مدى أربعة عشر قرنا ، ولعله مما يبعث على الأسف حقا أن يعيش أهل القبلة الواحدة اليوم ، مثلما عاش أجدادهم منذ قرون طويلة ، منشقين على أنفسهم مذهبيا ، بكل ما يحمله هذا الانشقاق من معان واخطار تهدد فى المقام الأول وحدة الأمة

الاسلامية ، وتصيب المسلمين فى صميم قوتهم ، فضلا عما يتركه هذا وذاك من انعكاسات على التاريخ وعلى كتابة التاريخ •

وكان عمان من أجزاء الدولة الاسلامية التى تعرض تاريخها للنكران على مدى قرون طويلة • ذلك أن تطرف موقعه فى الجنوب الشرقى لشبه جزيرة العرب ، وبعده نسبيا عن المسرح الرئيسى للنشاط السياسى والحضارى فى قلب الدولة ، جعله فى معظم حلقات التاريخ الاسلامى يبدو فى صورة طرف ناء من أطراف الدولة ، لا يرد ذكره فى موسوعات التاريخ الكبرى الا فى صورة اشارات متباعدة ، ترتبط غالبا بعلاقته ببعض البلدان القريبة مثل البصرة أو فارس • أما ما كان يجرى داخل عمان من تيارات محلية فكرية أو ••• حربية أو سياسية ، فلم يحظ بقدر ذى شأن فى كتابات المؤرخين المسلمين •

ومن الخطأ المبالغة فيما يدعيه بعض الباحثين بأن فقر عمان وقلة مواردها الطبيعية كانت عاملا أساسيا وراء عدم العناية بها وبتاريخها فى عصور الخلافة ، ذلك أن من يدرس تاريخ عمان فى العصـــور الوسطى الاسلامية ، يجد هذه البلاد باعتراف جمهرة الجغرافيين والرحالة ــ من أغنى أجزاء الدولة الاسلامية وأوفرها ثروة • ففيها الماء والزرع والضرع ، ولها من حسن الموقع ما جعل منها مركزا تجاريا مرموقا بين الشرق والغرب •

وقد وصف البشارى المقدسى صحار ــ قصبة عمان ــ بأنها بلد « عامر ، آهل ، حسن ، طيب ، نزه ، ذو يسار وتجار ، وفواكه وخيرات ، أغنى من زبيد وصنعاء • أسواق عجيبة وبلدة ظريفة ••• » •

ثم يتتبع المقدسى مدن عمان واحدة بعد أخرى ، مؤكدا وفرة الماء فى كل منها مما جعل الحياة سهلة ، والنشاط ممكنا فى ذلك الركن من شبه الجزيرة العربية • فقال عن نزوى ــ من مدن عمان ــ « اذا غلب الوادى فى الشتاء دخـــله شربهم من أنهار وآبار » وقال « شربهم من أنهار وآبار قد التفت بها النخيل » •

وهكذا حتى أجمل كلامه عن عمان بأكملها بأنها « كورة جليلة ... كلها نخيل وبساتين ، عامة سقياهم من أنهار قريبة » .

أما ابن بطوطة الذى زار عمان فى القرن الثامن الهجرى ـ فقد وصفها بأنها « كلها ذات أنهار وحدائق وأشجار ونخل ... » . كذلك وصفها ياقوت بأنها « تشتمل على بلدان كثيرة ذات نخل وزروع » . هذا فى حين قال ابن خلدون عنها : « بها مياه وبساتين وأسواق ، وشجرها النخيل » .

يضاف الى الثروة النباتية والزراعية ما كانت تجنيه عمان فى تلك العصور من استخراج اللؤلؤ ، شأنها شأن غيرها من بلدان الخليج . وقد تعددت مواقع مغاص اللؤلؤ فى عمان ، وأهمها فى صور ورأس الخيمة ، وبينهما مسيرة خمسة أيام . هذا وان كان أثمن أنواع اللؤلؤ وأندره يستخرج من دما ، وهى قرية على ساحل عمان ، وقد جاء فى المصادر أن تاجرا من عمان وفد على مكة يحمل اثنين من الدر « لم ير مثلهما قط » .

علىأن ثراء عمان فى تلك العصور لم ينجم عن مواردها الزراعية والبحرية ، بقدر ما أتى من نشاطها التجارى . فالماء والزرع جعلا الحياة ممكنة وسهلة ، ولكن الموقع الممتاز هو الذى ساعد على توفير الثراء ورأس المـال . ذلك أن الموقع الجغرافى يمثل دائما أبدا الركيزة الأساسية للنشاط التجارى ، الأمر الذى مكن شعب عمان من القيام بدور خطير من التجارة بين الشرق والغرب منذ زمن يرجع الى حوالى سنة ٥٠٠٠ قبل الميلاد .

واشتهر من المراكز التجارية فى عمان مركزان هما مسقط وصحار . أما مسقط فكانت ميناء عمان الرئيسى ، والنافذة العريضة التى يطل منها على العالم ، فتأتى اليها السفن من السند والهند ، وتمر عليها المراكب القادمة من البصرة فى طريقها الى الصين محملة بالبضائع ، فضلا عن السفن القادمة من شرق افريقية وبلاد الزنج .

ولم يكد يختتم القرن الثالث الهجرى (التاسع للميلاد) حتى كان تجار

مسقط قد ارتبطوا بعلاقات تجارية وثيقة مع سومطرة وسيام وكانتون ، بل لقد اسهموا فى نقل الديانة الاسلامية الى تلك الجهات ، فضلا عن تطعيم لغاتها المحلية بمفردات من اللغة العربية .

وكان التجار العمانيون يجلبون معهم من تلك البلاد مختلف المنتجات الآسيوية كالأقمشة الحريرية والأوانى الخزفية ، وأنواع البخور والطيب ، وغيرها من البضائع التى تقام لها أسواق عظيمة فى مسقط ، ومنها تحمل عبر الخليج الى دجلة والفرات ، حيث تتفرع الطرق التجارية ، اما الى الشام ومصر ، واما الى آسيا الصغرى ، واما الى سهول روسيا شمالى البحر الأسود ... ويشق معظمها طريقة الى أسواق أوربا .

وأما صحار فكانت المركز التجارى الثانى فى عمان ، وبينها وبين مسقط مائة وأربعة وخمسون ميلا « ويقصدها فى كل سنة من تجار البلاد ما لا يحصى عددهم » . وذلك أن « بها متاجر البحر ، وقصد المراكب ، وهى أعمر مدينة بعمان وأكثرها مالا ، ولا تكاد ... تعرف على شاطىء الخليج مدينة أكثر عمارة ومالا من صحار ... » .

ولاشك فى أن موقع صحار المطل على المحيط الهندى جعل منها محطة ممتازة ، تخرج منها السفن التجارية متجهة شرقا وغربا ، وترسو بها السفن للتزويد بالماء والطعام فى طريقها من أفريقية واليمن الى الهند والصين أو العكس . وهى فى جميع الحالات تحمل ألوان الغلات والبضائع من هذه الجهة أو تلك ، فضلا عن أن تجار المرور أو السفن العابرة المارة بصحار ، كانوا عند رسوهم فيها يبتاعون منها ما يحتاجون اليه من « أنواع التجارات » . لذلك لا عجب اذا وصف بعض الجغرافيين المسلمين صحار بأنها « دهليز الصين ، وخزانة الشرق والعراق ، وغوث اليمن » .

وهكذا عاشت عمان زمن ازدهار الدولة الاسلامية ، فى رخاء . وقد عاين المقدسى — فى القرن الرابع الهجرى ، العاشر للميلاد — ذلك الاقليم بنفسه فقال : « والتجارات فى هذا الاقليم مفيدة لأن به غرضتى الدنيا ... فالى

عمان يخرج آلات الصيادلة والعطر كله — حتى المسك — والزعفران — والبقم والساج والساسم والعاج واللؤلؤ والديباج والجزع والبواقيت والأبنوس والنارجيل والقند والاسكندورس والصبر ، والحديد والرصاص والخيزران ، والغضار والصندل والبلور والفلفل ، وغير ذلك » •

ومرة أخرى نؤكد أن تجارة عمان فى تلك العصور الاسلامية المزدهرة لم تقتصر على ما كان هناك من علاقات مع الهند وجنوب آسيا وشرقيها ، وانا لدينا من الشواهد التاريخية القومية ما يثبت أن سفن عمان وصلت الى سفالة (موزمبيق) ، وأقصى شواطىء بلاد الزنج فى شرق أفريقية • وكان العمانيون يحملون شتى ألوان البضائع المطلوبة فى تلك الجهات ، ويعودون منها محملين بالذهب والعاج والرقيق والعنبر •

ولا يفوتنا فى هذا الصدد أن ننوه بتجارة المرور بين الشرق والغرب ، وهى العملية التى قام بها تجار من اليهود أطلق عليهم اسم اليهود الراذانية[1] • وقد وصفهم ابن خرداذبه فقال انهم « يتكلمون العربية والفارسية والرومية والأفرنجية والأندلسية والصقلبية • وأنهم يسافرون من المشرق الى المغرب ، ومن المغرب الى المشرق برا وبحرا • يجلبون من المغرب الخدم والجوارى الغلمان والديباج ، وجلود الخز والفراء والسمور والسيوف ••• » •

ثم يمضى ابن خرداذبه فى وصف الطرق التى كانوا يسلكونها فى نشاطهم التجارى ، ومنها أنهم كانوا يأتون من بلاد الفرنجة (فرنسا الحالية) فيسلكون طريق البحر انطاكية : « ويسيرون على الأرض ثلاث مراحل الى

---

(١) تعددت الآراء فى تفسير أصل هذه التسمية ، ومن هذه الآراء انهم ينسبون الى حوض الرون فى جنوب فرنسا ، حيث كان مركزهم الذى ينطلقون منه واليه .

الجابية ثم يركبون فى الفرات الى بغداد • ثم يركبون فى دجلة الى الابلة ، ومن الأبلة الى عمان والسند والهند والصين ••• »[١] •

على أنه ثمة ملحوظة أخيرة عن نشاط عمان التجارى ، هى أنه بالاضافة الى الرحلات البحرية التى اشتهر بها العمانيون ، والتى أوصلتهم بعيدا الى شواطىء البلدان الآسيوية والافريقية ، فان الروابط البرية لم تنقطع بين عمان وداخل شبه الجزيرة العربية • وقد عرف منذ القدم طريق برى تسلكه القوافل ، يربط عمان بغرب العراق وبلاد الشام ، فكانت السلع اليمنية والهندية والآسيوية تحمل برا عبر شبه الجزيرة الى أسواق الشام :

على أنه يبدو أن هذا الطريق لم يحظ بأهمية الطريق البرى الآخر الذى كان يتجه من اليمن الى الشام مارا بغرب شبه الجزيرة بحذاء ساحل البحر الأحمر • ولعل خطورة الطريق الأول وانقطاعه وقلة المحطات التجارية فيه ، بالاضافة الى ارتفاع درجة الحرارة فى الأراضى العمانية جعل النشـــاط التجارى لعمان يرتبط بالبحر •

ويبدو من المصادر المعاصرة أن هناك انطباعا عاما ساد عند المسلمين فى تلك العصور بأن عمان بلد بعيد ناء • من ذلك ما قيل من أن ابن عمر روى عن النبى (ص) أنه قال « انى لأعلم أرضا من أرض العرب يقال لها عمان على شاطىء البحر ، الحَجة فيها أفضل أو خير من حجتين من غيرها » •

كذلك روى عن الحسن البصرى أن المراد بقوله تعالى « يأتين من كل فج عميق » أى يأتين من عمان[٢] • وربما كان لهذا الانطباع السائد عن بعد عمان أثره فى قلة الاهتمام بأمره •

على أن هذا البعد الجغرافى من ناحية ، وضعف الروابط بين عمان وقلب

---

(١) ابن خرداذبه : المسالك والممالك ، ص ١٥٣ .
(٢) القزوينى : آثار البلاد وأخبار العباد ، ص ٥٦ .

العالم الاسلامى فى تلك العصور من ناحية أخرى ، كانا من العوامل التى ساعدت على تمتع عمان فى كثير من حلقات تاريخه بقدر من الاستقلال الذاتى الذى لم ينعم به كثير من الأقطار والبلدان والولايات الاسلامية ، الأخرى ، الأكثر قربا من مركز الخلافة والأكثر ارتباطا بعجلة النشـــاط السياسى والحضارى فى الدولة الاسلامية •

وفى ظل الاستقلال الذاتى الذى نعم به عمان فى كثير من حلقات تاريخه فى ظل الاسلام ، استطاع هذا البلد أن يحافظ على شخصيته قوية مكتملة عبر عصور التاريخ ، دون أن تتعرض للذوبان والانصهار ، أو على الأقل للتغيير والتبديل ، مثلما حدث لكثير من أجزاء الدولة الاسلامية التى فقدت بعض عناصر شخصيتها وذاتيتها فى بوتقة الدولة الكبيرة الواحدة •

* * *

وان من ينظر الى سلطنة عمان اليوم يجد هذا القطر مازال يقف شامخا فى ذلك الركن الجنوبى الشرقى من شبه الجزيرة العربية يمثل كيانا حرا له شخصيته الفريدة وسياسته المستقلة ومميزاته التى تميزه عن كافة الكيانات المحيطة به داخل الاطار الشامل الكبير وهو اطار عربى اسلامى •

وان بُعد عمان نسبيا عن قلب الدولة الاســـلامية ومركز السلطة أيام سطوة الخلافة ، جعـــل أهل عمان قادرين على الاحتفاظ بحريتهم ليس السياسية والادارية فحسب بل الفكرية والعقائدية أيضا •

فالخلافة كانت تستطيع أن تتعقب الخارجين على ارادتها المخالفين لمبادئها المعتنقين لغير مذهبها ••• كانت تستطيع أن تتعقب هؤلاء جميعا فى مصر والشام والحجاز •

ولدينا الكثير من الأمثلة عما فعله الأمويون بالعلويين فى العراق والحجاز وما فعله العباسيون بالأمويين والعلويين جميعا فى الشام والحجاز •

ولكن الخلافة العباسية لم تستطع أن تمنع قيام دولة للأمويين فى الأندلس وأكثر من دولة للعلويين فى المغرب الأقصى وافريقية ، ولم تستطع أن تقف دون انتشار المذاهب والآراء المعارضة فى اليمن وعمان وغيرهما من أطراف الدولة •

وبعبارة أخرى فان كثيرا من المذاهب والتيارات الفكرية التى خالفت سلطة الخلافة فى اتجاهاتها لم يكن أمامها سوى أن تأوى الى مناطق الأطراف فى الدولة حيث تجد مأمنا وميدانا حرا لنشاطها الفكرى والعقائدى ومنفذا طلقا للدعوة لآرائها بعيدا عن رقابة الحكام وارهابهم •

وهذا هو السر فى أن المذهب الأباضى وجد متنفسا فى عمان وافريقية •

وليس من باب المصادفة أن يكون التشيع قد وجد هو الآخر مجالا للحركة فى منطقة الخليج واليمن فضلا عن بعض أطراف العالم الاسلامى •

ولاشك فى أن هذه أمور لم ترض عنها الخلافتان الأموية ثم العباسية ، فحاولتا بين حين وآخر ارسال حملات الى عمان ــ موضوع بحثنا ــ لضرب الآراء المعارضة ولكن أهل عمان كانوا دائما بحكم موقع بلادهم وطبيعتها فى حصانة من أن تصيبهم ضربة خطيرة تحول بينهم وبين الطريق الذى اختاروا السير فيه[1] •

وفى ظل المذهب الأباضى ظهرت منذ منتصف القرن الثانى للهجرة الثامن للميلاد سلسلة من الحكام ، ارتبط بهم اسم عمان فى أزهى حلقات تاريخه فى العصور الوسطى وفجر الحديثة •

---

(١) نشير فى هذا الصدد الى الدراسة العلمية الطيبة التى قام بها الدكتور عوض خليفات بعنوان (نشأة الحركة الاباضية) وهو كتاب نشرته الجامعة الأردنية سنة ١٩٧٨ .

ذلك أن أئمة عمان وسلاطينها لم يقلوا عن غيرهم من حكام الدولة الاسلامية المعاصرين غيرة على الاسلام ورغبة فى الجهاد •

ثم ان عامة أهل عمان فقد عرفوا دائما بالتدين من جهة والحرص على عروبتهم وعروبة الأرض التى ارتبطوا بها من جهة أخرى •

وان نظرة يلقيها الباحث على خريطة الدولة الاسلامية لتظهر له أن الاقدار اختارت عمان ليكون قلعة أمامية للعروبة والاسلام •

وحارسا أمينا يحرس تلك البوابة الرئيسية للعالم الاسلامى فى طرفه الجنوبى الشرقى •

فبالنسبة للعروبة يحتل عمان ركنا من شبه الجزيرة العربية ، يمثل طرفا من أقصى أطراف الوطن العربى • وفى مواجهة عمان مباشرة توجد عناصر إسلامية ولكنها غير عربية ، ويشهد التاريخ على أن مطامع هؤلاء فى الأرض العربية — على الشاطىء المقابل لهم — كانت دائما واضحة وقوية وبخاصة قبل الاسلام •

وعلى الرغم من أن آخر بقايا النفوذ الفارسى طردت نهائيا من عمان فى مطلع الاسلام ، فقد استمر الفرس يتحينون الفرصة تلو الأخرى للاغارة على الشاطىء العربى للخليج ، ويحاولون الاستيلاء على عمان بالذات •

ولكن عمان — حكومة وشعبا — وقف بالمرصاد لمثل هذه المحاولات ، وتصدى أهله بشجاعة نادرة للدفاع عن عروبة الشاطىء الغربى للخليج • بل لقد قابل أهل عمان الهجوم بالمثل ، فعبروا الى الشاطىء الفارسى ، وأقاموا لهم مستوطنات عربية هامة فى كرمان وغيرها •

وبذلك نهض عمان برسالة واضحة لحماية الكيان العربى ، وحراسة

احدى البوابات الرئيسية للوطن العربى فى الجنوب الشرقى لشبه الجزيرة العـــربية •

واذا كان الفرس الذين أغاروا على شاطىء الخليج العربى عندئذ مسلمين فان الهنود الذين دأبوا على مهاجمة شواطىء عمان والخليج ليعتدوا على البلاد والعباد ، لم يكونوا مسلمين ، وانما أطلق عليهم أهل عمان اسم « كفار الهنـــد » •

يذكر السالمى فىحديثه عن الامام غسان بن عبد الله اليحمدى سنة ١٩٢هـ (٨٠٨م) أن « البوارج وهم كفار الهند يقعدون بأطراف عمان ، ويسلبون منها ، ويسبون ، ويمضون الى ناحية فارس والعراق »[١] •

ومرة أخرى لم يقف أهل عمان مكتوفى الأيدى أمام ذلك الخطر الذى هدد الوطن فى ركن من أشد أركانه حساسية • وأدرك حكام عمان ان العدو اذا اقتحم تلك البوابة الأمامية أو القلعة الحدودية على حافة الوطن العربى ، فان الطريق سيغدو مفتوحا أمامهم الى قلب الأمة العربية •

وهكذا ، لم يكتف حكام عمان بانشاء أسطول قوى من السفن الحربية لحماية شطوط عمان من قراصنة الهنود ، والدفاع عن عروبة الشاطىء الغربى للخليج ، وانما أظهروا رغبة فى تأديب الهنـــود ، وضربهم فى عقر دارهم لاستئصال شرهم ، فوقف الامام غسان فى رعاياه يقول لهم « أنا أريد حرب الهند ، وبيت المال لايكفى » • وطلب من التجار قرضا للجهاد ، يكون سداده وأداؤه من بيت المال • فعاونه التجار فى ذلك • وهذا المثل واحد من كثير •

واذا كان هذا هو دور عمان فى حماية العروبة وأرضها ، فان دوره فى حماية الاسلام وأهله وديارة ، وفى الجهاد الدينى كان أكبر وأعظم •

---

(١) السالمى : تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان ، ج ١ ص ١٢٣ (طبعة القاهرة ١٩٦١) •

ذلك أنه حدث قرابة منتصف القرن الرابع للميلاد ، وقبل مولد الرسول عليه الصلاة والسلام بنحو قرنين من الزمان ، أن تحولت الحبشة الى دولة مسيحية •

وبظهور الاسلام وانتشاره ظلت الحبشة تمثل شوكة خطيرة فى جانب الدولة الاسلامية من ناحية الجنوب ، وخاصة بعد أن انتابت الكنيسة المسيحية فى كل مكان موجة من الحسرة والألم والغضب ، لخروج بلاد كانت تعتد بها مثل مصر والشام من دائرة المسيحية الى دائرة الاسلام •

ولاشك فى أن الحبشة بالذات كانت أكثر غضبا وألما ، بعد أن تم للعرب المسلمين فتح مصر ، نظرا لأن الكنيسة الحبشية منذ قيامها كانت تابعة للكنيسة المرقسية المصرية ، بحيث كان بطريرك الكنيسة المرقسية بالاسكندرية هو الذى يعين مطرانا للكنيسة الحبشية ، كلما خلا ذلك المنصب •

لذلك أخذ الأحباش ينظرون الى انتشار الاسلام فى مصر بعين القلق ، ويراقبون تحول أهلها سريعا الى الاسلام بعين الغضب[١] •

ولما كان من الصعب على الحبشة أن توجه ضربة مباشرة ضد قلب الدولة الاسلامية ، تعبر بها عن روح الاستياء التى تملكت كنيستها وشعبها ، فانها لم تجد وسيلة لذلك التعبير فى أول الأمر سوى مهاجمة شواطىء المسلمين القريبة منها ، وخاصة فى جنوب شبه الجزيرة العربية •

وكان نصيب عمان من تلك الضربات المسيحية كبيرا منذ البداية ، حيث لم ينس المسيحيون أنه كانت هناك كنيسة مسيحية كبرى فى مزون (صحار) منذ القرن الخامس للميلاد ، وان هذه الكنيسة رغم ما حققته من شهرة فى

---

(١) Coulbeaux : Hist. Politique et Religieuse d'Abyssinie, Tome 1, p. 160f &
Budge : Hist. of Ethiopia, vol. 1, p. 153f.

ذلك الركن الجنوبى الشرقى لشبه الجزيرة العربية ، فانها لم تلبث أن ذبلت وانهارت أمام تيار الاسلام ، عندما امتد الى عمان[١] .

وربما زاد من مخاوف مسيحىّ الحبشة أن العمانيين فى ظل الاسلام مارسوا نشاطا تجاريا واسعا على شواطىء شرق افريقية ، حيث أقاموا مستوطنات عربية اسلامية أسهمت فى نشر الاسلام فى تلك الجهات .

على أن أئمة عمان لم يقفوا موقف المتفرج أمام تهديد الأحباش وعدوانهم على ديار الاسلام ، فأعلنوا عليهم الجهاد ، ووقفوا لهم بالمرصاد ، ولقنوهم درسا بعد آخر .

من ذلك أن امام عمان الصلت بن مالك الخروصى — فى النصف الأخير من القرن الثالث الهجرى ، التاسع للميلاد — ما كاد يعلم بعدوان الأحباش على جزيرة سقطرى — جنوبى عمان — حتى جمع الجيوش وجهز المراكب ، وشحنها بالمجاهدين والسلاح ، ولقن الأحباش درسا قاسيا[٢] .

ويسترعى نظر الباحث ، العهد الذى قدمه ذلك الامام للغزاة فى تلك الغزوة ، وما يحويه من حث لأهل عمان على الجهاد فى سبيل الله ، ومن نصح للمجاهدين فى البر والبحر ، بالاعتصام بحبل الله والترابط ، ومعاملة أهل الذمة من المسيحيين وفق أحكام الشريعة الاسلامية ، والتمييز بين من يقرأون الانجيل ومن لا يقرأونه من الاعداء .

ويخطىء من يظن أن الحبشة كانت بمعزل عن الحروب الصليبية عندما دخلت مرحلتها النشطة فى أواخر القرن الخامس الهجرى ، الحادى عشر

---

(١) اندرو ويليامسون : صحار عبر التاريخ (ترجمة محمد أمين عبد الله) ص ١٥ .

(٢) السالمى : تحفة الأعيان ، ج ١ ص ١٦٦ وما بعدها .

للميلاد • ففى ذلك الدور ازدادت هجمات الأحباش على شواطىء شبه الجزيرة العربية بوجه عام ، وشواطىء عمان والخليج بوجه خاص •

هذا فضلا عما لجأ اليه ملوك الحبشة من اضطهاد المسلمين فى بلادهم[١] •

وفى مرحلة معينة من مراحل الحركة الصليبية ، لجأت البابوية والكنيسة الغربية الى السعى للانفصال بالحبشة المسيحية ، للقيام بعمل مشترك يستهدف تطويق العالم الاسلامى من الشمال والجنوب • وفعلا تبودلت الرسائل وسعى السفراء بين الجانبين ، وأعدت الحبشة قوات كبيرة للزحف على العالم الاسلامى وتدمير الحرمين فى الحجاز وغزو مصر من الجنوب[٢] •

ولكن يبدو أن صعابا عديدة اعترضت تنفيذ مثل هذه المشروعات الضخمة ، فاكتفى الأحباش بالاغارة بين حين وآخر على شواطىء المسلمين فى جنوب شبه الجزيرة العربية ، وخاصة فى عمان •

وفى ذلك الدور اختار حكام عمان ألا يقتصر دورهم على الدفاع وانما اتبعوا المبدأ القائل بأن الهجوم خير وسائل الدفاع •

وكان أن أخذ المجاهدون يخرجون من عمان لمهاجمة الأعداء فى عقر دارهم وحفل التاريخ بأخبار ضربات وجهها العمانيون فى تلك المرحلة من مراحل الحركة الصليبية للأحباش ، على أرض الحبشة ذاتها •

ثم كان التطور الخطير — لا فى تاريخ الحركة الصليبية فحسب ، بل فى

---

(١) Budge : Hist. of Abyssinia; vol. 1, p. 288f. &
وانظر أيضا القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ص ٣٣٢ .

(٢) العينى : عقد الجمان ، ج ٢٣ ص ٣٠٥ (مخطوط) ، وللباحث كتاب الحركة الصليبية ج ٢ ص ١٢٠٩ وما بعدها .

تاريخ العالم أجمع باكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح فى أواخر القرن التاسع الهجرى ، الخامس عشر للميلاد •

ومع مستهل القرن العاشر للهجرة ــ السادس عشر للميلاد ــ كان البرتغاليون قد ثبتوا أقدامهم فى الهند ، مما شكل خطرا من نوع جديد على منطقة الخليج ، فضلا عن المدخل الجنوبى للبحر الأحمر •

ومهما يقال من ارتباط هذه الخطوة بحركة الكشوف الجغرافية ، بوصفها مظهرا من مظاهر النقلة الأوروبية من العصور الوسطى الى العصور الحديثة ، فاننا نقرر أن المحاولات لاكتشاف طريق بحرى حول افريقية يصـــل به الأوروبيون الى الهند ، هذه المحاولات جاءت وليدة للحركة الصليبية ونتيجة من أهم نتائجها •

ذلك أن الغرب الأوربى المسيحى أدرك أن القوة الحربية الضاربة التى تمتعت بها سلطنة المماليك ، انما هى منبثقة من اقتصاد مثير وثروة طائلة ، حصلها سلاطين المماليك من وراء احتكار التجارة بين الشرق والغرب • وكان ذلك فى وقت سيطر التتار على طريق التجارة الرئيسية بين الشرق والغرب بحيث لم يبق منها بعيدا عن سيطرتهم آمنا من عبثهم سوى طريق البحر الأحمر ومصر •

وفى حلبة الصراع بين الغرب الأوروبى المسيحى من ناحية ، وسلطنة المماليك فى مصر والشام من ناحية أخرى ، نادت البابوية بفرض حصـــار بحرى على شواطىء مصر والشام ، لمنع التجار الأوروبيين من التردد على موانيهما والمتاجرة مع المسلمين وبالتالى حرمان المماليك من المورد الأول لثروتهم ، مما يؤدى الى اضعافهم حربيا وتمكين العالم المسيحى الغربى من استرداد بيت المقدس منهم[1] •

ولما كان الغرب الأوربى فى تلك العصور لا يستطيع الاستغناء عن

(١) Heyd : Hist. du Commerce, II, p. 26.

حاصلات الشرق — وخاصة التوابل — فانه كان لابد من البحث عن طريق آخر يمكن الحصول منه على منتجات الشرق الأقصى والهند •

ومن هنا بدأت الجهود المكثفة والمحاولات الغربية التى كللت فى أواخر القرن التاسع الهجرى ، الخامس عشر للميلاد بالوصول الى الهند وبحر العرب عن طريق رأس الرجاء الصالح •

وبوصول البرتغاليون الى مياه بحر العرب ، يكون الغرب الأوربى المسيحى قد نجح فى تطويق العالم الاسلامى فى مرحلة من مراحل التاريخ ، نطلق عليها اسم مرحلة ذيول الحركة الصليبية •

ولاشك فى أن الوجود البرتغالى فى الهند وبحر العرب صار فى حقيقة الأمر يمثل رأس حربة موجهة الى المسلمين فى جنوب شبه الجزيرة العربية ، وحصر العالم الاسلامى فى الشرق الأوسط بين فكى الكماشة الصليبية •

ولا أدل على تأجج الروح الصليبية فى قلوب البرتغاليين عندئذ من أنهم سارعوا الى اجراء اتصالات مباشرة مع الأحباش للقيام بعمل حربى مشترك ضد المسلمين ، وغزو المسلمين من الجنوب فى الوقت الذى يطبق الغرب الأوربى على المسلمين من الشمال •

ولم تكن هذه الفكرة فى حد ذاتها مفاجئة للأحباش أو جديدة عليهم ، لانه من المعروف فى التاريخ أنهم سبق أن شرعوا فى اعداد حملة كبيرة فى النصف الأخير من القرن الثامن الهجرى — الرابع عشر للميلاد ، للزحف على مصر والأماكن المقدسة فى الحجـــاز ، فى الوقت الذى قام بطرس لوزجنان — ملك قبرص — بحملة صليبية شهيرة على مدينة الاسكندرية سنة ٧٦٧هـ (١٣٦٥م)[1] •

---

(١) المقريزى : الالمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الاسلام ص ٤ ، العينى : عقد الجمان ج ٢٣ ورقة ٣٠٥ (مخطوط) ، النويرى السكندرى : الالمام بالأعلام ،سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ص ١٢١٠ .

وعلى الرغم من عدم امكانية تنفيذ هذا المشروع فى ذلك الوقت ، فإن فكرة ضرب المسلمين من الجنوب ظلت تراود عقـول الأحباش ، فدارت مراسلات بين اسحوق الأول ملك الحبشة وملوك الغرب الأوربى حول نفس الموضوع فى أوائل القرن التالى ، وان كانت هذه الاتصالات أيضا لم تسفر عن شىء[1] .

ولكن يبدو أن الموقف تغير باكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح ووصول البرتغال الى الهند وبحر العرب ، ذلك أنهم بادروا عندئذ بارسال العمال والآلات الى ملك الحبشة فى محاولة لتحويل مجرى نهر النيل عن مصر وتجويعها .

وفى نفس الوقت قفز البرتغاليون على عمان من ناحية ، ومدخل البحر الأحمر من ناحية أخرى فى محاولة لاحكام الحصار على الوطن العربى من ناحية الجنوب ، وسد المنافذ والأبواب التى يطل منها المسلمون على شرق افريقية وجنوب آسيا وشرقها .

وهكذا تعرض عمان منذ وقت مبكر — يرجع الى أوائل القرن العاشر للهجرة السادس عشر للميلاد لهجمات البرتغاليون ، ومن المرجح أن تكون أول اغارة قام بها البرتغاليون على مسقط حوالى سنة ٩١٤هـ (١٥٠٨م) بحيث لم يكد ينتصف ذلك القرن حتى كانوا قد سيطروا على شواطىء عمان ، فضلا عن شواطىء شرق افريقية وموزمبيق ، حيث اتخذوا من ممباسة مركزا لهم فى تلك المنطقة .

على أن هذا الأمر لم يتم فى سهولة ، وانما واجه البرتغاليون مقاومة شديدة من عمان وأهله ، فلم تقف جهودهم عند حد الدفاع عن شواطىء عمان فحسب ، بل أيضا عن شواطىء الاسلام والمسلمين فى الخليج وجنوب شبه الجزيرة العربية وشرق افريقية .

---

(1) Kammerer : Le Mer Rouge, Tome 1, partie 2, pp. 249-354.

وهكذا ظهر أهل عمان مرة أخرى فى صورة المجاهدين ، المدافعين عن الاسلام وأهله ، وما أشبه الدور الذى قاموا به ضد البرتغاليين فى بحر العرب والخليج فى القرنين السادس عشر والسابع عشر ، بالدور الذى قامت به سلطنة المماليك فى مصر فى القرون الثلاثة السابقة ، وان كان التشبيه مع الفارق بحكم الظروف والموقع الجغرافى .

وفى مجال الجهاد ضد البرتغاليين ، سجل التاريخ صفحة ناصعة لامام عمان المؤيد ناصر بن مرشد بن مالك اليعربى ، الذى شن حربا شعواء على البرتغاليين فى النصف الأول من القرن الحادى عشر للجهرة ــ السابع عشر للميلاد ــ ففتح الصير وهى جلفار ، التى كانت مركزا للبرتغاليين « فذل المشركون وطلبوا الصلح » وذلك سنة ١٠٤٣هـ (١٦٣٣م) .

وظل هذا الامام صامدا للبرتغاليين رغم تفوقهم فى آلات الحرب والسلاح حتى وفاته سنة ١٠٥٠هـ (١٦٤٠م) .

وبعد وفاة الامام ناصر بن مرشد ، بويع لابن عمه الامام سلطان بن سيف بن مالك « فقام بالعدل وشمر ، وجاهد فى ذات الله وما قصر » .

وقد توج الامام سلطان جهاده ضد البرتغاليين بفتح مسقط وانتزاعها من أيديهم ثم انه استمر بعد ذلك « يجاهد أين ما يجدهم فى بر وبحر ، فاستفتح كثيرا من بلدانهم ، وخرب كثيرا من مراكبهم ، وغنم كثيرا من أموالهم » .

بل بلغ الأمر بالعمانيين انهم طاردوا البرتغاليين ولاحقوهم عبر البحار فى الهند من ناحية ، وفى شرق افريقية من ناحية أخرى ، من ذلك أن الامام سلطان بن سيف بن مالك قام بفتوحات فى أرض الهند ذاتها وأنزل خسائر جسيمة بالبرتكيسية ، (البرتغاليين) .

ولو كان المعاصرون من العرب عنوا بتسجيل هذه الحروب والوقائع ، لوجدنا الآن بين أيدينا صفحات خالدة فى تاريخ الجهاد ، يفخر بها كل مسلم

وكل عربى ، « ولكن الطبع غلب عليهم ، فقد جرت العادة عندهم باهمال التاريخ »[١] .

أما الامام سيف بن سلطان المتوفى سنة ١١٢٣هـ (١٧١١م) فقد «حارب النصارى فى جميع الأقطار ، وعمل مراكب عظيمة ليحاربهم فى البحر» وكان أن اتسعت دائرة الجهاد فى أيامه حتى أنه غزا الهند ، ثم انتقل الى ساحل شرق افريقية ليطرد البرتغاليين من مراكزهم شمالى موزمبيق ، فاستولى على «ممباسة والجزيرة الخضراء وكلوة وبت وغيرهن من البلاد » .

وقيل أن الذى استولى على ممباسة وكلوة هو والده الامام سلطان بن سيف ، ومهما يكن من أمر فالذى يعنينا هو أن أئمة عمان واصلوا حركة الجهاد ضد الاستعمار المسيحى الغربى فى ذلك الدور ، وانهم لم يتوقفوا عند حدود بلادهم ، وانما لاحقوا العدو بين شواطىء شرق افريقية والهند ، حماية للوطن العربى الاسلامى من ناحية الجنوب[٢] .

وهنا تبرز حقيقة كبرى تسترعى انتباهنا وتتطلب منا نظرة عميقة فاحصة ، ذلك أن المتأمل فى هذه الأحداث السابقة ، يسترعى انتباهه أن عمان كان يقف وحده فى ذلك الركن من أركان العالم العربى الاسلامى ضد الاستعمار البرتغالى المسيحى .

لقد حاولت سلطنة المماليك فى مصر أن تضرب البرتغاليين فى بحر العرب — غربى الهند — فى مطلع القرن العاشر الهجرى ، السادس عشر للميلاد (٩١٤هـ = ١٥٠٨م) ولكنهم بعد أن حققوا نجاحا ملحوظا أصيبوا بنكسة فى العام التالى فى موقعة ديو البحرية ، ذلك نتيجة لطول خطوط مواصلاتهم من ناحية فضلا عن الظروف التى أحاطت عندئذ بسلطنة المماليك وهى فى دور الاحتضار من ناحية أخرى .

---

(١) السالمى : تحفة الاعيان ، ج ٢ ص ٤٥ .
(٢) ابن رزيق : الفتح المبين فى سيرة السادة البوسعيديين ص ٢٩٥ .

ولم تلبث أن سقطت دولة سلاطين المماليك أمام الغـزو العثمانى ، فبسط العثمانيون سيطرتهم على مصر والشام ومعظم أنحاء الوطن العربى •

واذا كان العثمانيون قد أبلوا بلاء حسنا فى الجهاد وحمـاية الوطن الاسلامى من الزحف الاستعمارى الاوربى ، فان دور العثمانيين فى هـذا الصدد كاد ينحصر بصفة رئيسية ، فى حوض البحر المتوسط •

أما فى بحر العرب ومدخل الخليج والشواطىء الجنوبية لشبه الجزيرة العربية ، فان عمان وقف وحده ــ حكومة وشـعبا ــ طوال بضعة قرون ، يدافع الاستعمار الغربى بكل ما أوتيه من قوة وشراسة •

ثم ان الفتوح والغزوات الخارجية ، والحروب والمنازعات الداخلية ، لم تصرف حكام عمان فى تلك العصور عن النهوض ببلادهم ، والقيـام بسلسلة من الاصلاحات التى جعلت من بلادهم نقطة مضيئة ، يشـع منها بريق الحضارة فى ذلك الركن الجنوبى الشرقى من شبه الجزيرة العربية •

واذا كانت أخبار الحروب والمنازعات قد استأثرت بالجزء الأكبر من كتابات المؤرخين ، الا أن المؤرخ المدقق لا يصعب عليه اكتشاف الجـانب الحضارى فى التراث العمانى •

وقد أفرد ابن رزيق فصلا فى كتابه « الفتح المبين » جعل عنوانه (ذكر مشاهير العلماء العمانية) ذكر فيه عددا ضخما من مشاهير علماء عمـان وفقهائها وبيان بمؤلفاتهم التى أثرت المكتبة الاسلامية فى علوم الفقه والحديث والتفسير والنحو وغيرها مما لا يتسع له المقام •

ولا شك فى أن الحروب والفتن التى تعرض لها عمان فى فترات القلاقل من تاريخه ، تسببت فى ضياع الجزء الأكبر من هذا التراث الفكرى الكبير الذى كان كفيلا باثراء المكتبة العربية • من ذلك ما تردد فى كتب التـاريخ من أن الفتنة التى وقعت فى عمان سنة ٢٨٠ هـ صحبها (دفن الأنهار واحراق

الكتب[١] ومرة أخرى ، حدث عندما أغار أولاد الريس على عمان سنة ٦٧٥ هـ ، أن دخلوا العقر (وأحرقوا مخازن المسجد الجامع المتصلة به ، وأحرقوا الكتب)[٢] .

ومع ذلك فاننا نسمع عن الامام بلعرب بن سلطان أنه أقام فى جبرين مدرسة للعلماء والمتعلمين ، وأجزل لهم العطاء ليشجعهم على الانقطاع لحياة العلم .

ومن العلماء الذين برزوا فى عمان فى ذلك العصر — فى النصف الثانى من القرن الحادى عشر للهجرة ، السابع عشر للميلاد — الشيخ خلف بن سنان الغافرى ، والشيخ سعيد بن محمد بن عبيدان ، ومن الأدباء راشد بن خميس الحبسى الاعمى .. وغيرهم .

وكان للفن نصيب فى تلك النهضة ، فيصف بعض المعاصرين حصن جبرين (بيرين) بأنه قصر عال يجرى فى وسطه نهر جار ، به من الصنائع العجيبة والنقوشات والتصاوير مالا يحصى ولا يوصف وزينت جدرانه من الداخل بآيات من القرآن الكريم كتبت بخط جميل .

ومن الواضح أن هذا الازدهار الحضارى كان نتيجة للنشاط الاقتصادى وخاصة فى ميدان التجارة ، هذا فضلا عن الغنائم التى كان يحصل عليها المجاهدون « حتى كادت أن تفيض البيضاء والصفراء من أيدى الناس » .

وقد أدت هذه الثروة الى تمكين الائمة من « تشييد الحصون والمعاقل واجراء الأنهار ، وغرس الأشجار ، واحياء الموات[٣] ليعيش فيها الناس بأرغد عيش وأتم نعمة »[٤] .

---

(١) السالمى تحفة الاعيان ، ج ١ ، ص ٢٦٢ .
(٢) ابن رزيق : الفتح المبين ص ٢٩٣ .
(٣) اى استصلاح الاراضى .
(٤) السالمى : تحفة الاعيان ، ج ٢ ص ٩٠ .

وبعد ، فلعله يتضح من هذه اللمحة التاريخية عن الخطوط العريضة لتاريخ عمان فى العصور الوسيطة ومستهل الحديثة ، أنه مهما يكن من أمر الخلافات والمنازعات الداخلية ، فان الملامح الرئيسية لصورة عمان فى تلك العصور تعطى انطباعا قويا للمؤرخ الصادق الحس بأن عمان ظل دائما قلعة أمامية للعروبة والاسلام •

ولولا صمود عمان فى وجه العجم الذين ما فتئوا يغيرون على الشاطىء الغربى للخليج مرة بعد أخرى ، لصار الخليج اليوم بشاطئيه فارسيا أعجميا ولكن أهل عمان هم أصحاب الفضل فى الاحتفاظ للشاطىء الشرقى بعروبته ، بعد أن صـــمدوا فى قوة واصرار أمام كافة المحـــاولات التى بذلها العجم للاستقرار على الجانب الغربى للخليج •

ومن ناحية أخرى ، وقف عمان وأهله بالمرصاد للمحاولات التى قام بها غير المسلمين للتسلل الى شبه الجزيرة العربية عبر بحر العرب والخليج •

وهكذا حتى ظهر الخطر البرتغالى ممثلا للتيار الصليبى من ناحيـــة والتيار الاستعمارى الغربى الجديد من ناحية أخرى ، فتصدى له العمانيون فى قوة وحزم ، وضربوا مثلا رائعا فى قصة الجهاد وبذلك حموا ذلك الركن المتطرف من أركان العالم الاسلامى من هجمة شرســـة قام بها عدو له من الامكانات وقوة السلاح ما كان كفيلا بأن يحقق له سبقا وتفوقا كاسحا ، لولا أنه اصطدم بقوة الارادة •••••ارادة أهل عمان •

ويزيد من خطورة الدور البطولى الذى نهض به عمان فى حماية العروبة والاسلام أن حلقاته الرئيسية جاءت فى وقت ضعفت فيه الخلافة العباسية وانحلت أمورها ، وتفككت أوصالها ، حتى سقطت فريسة ســـهلة أمام تتار هولاكو والوثنيين الذين أقاموا منذ منتصف القرن السابع للهجرة ـــ الثالث عشر للميلاد دولة فى فارس والعراق استمرت بضعة قرون •

وجاء ذلك مصحوبا بازدياد أطماع العالم المسيحى فى الوطن العربى

الاسلامى فبدأت مرحلة من مراحل التاريخ ترك فيها أمر الدفاع عن كل ركن من أركان العالم الاسلامى لقوة محلية تزعمت حركة الجهاد فى ذلك الركن •

وهكذا قام المرابطون والموحدون بالدفاع عن المغرب العـربى وقام الأيوبيون ثم المماليك بالدفاع عن منطقة الشرق الادنى ، وقام العمانيون بالدفاع عن منطقة الخليج وبحر العرب والشـواطىء الجنوبية والشرقية لشبه الجزيرة العربية •

وبعبارة أخرى فان عمان كان يمثل فى العصور الوسـطى وصـدر الحديثة مركزا من مراكز ثلاثة نهضت فى أمانة واصرار بمهمة الدفاع عن العروبة والاسلام فى ذلك العالم الفسيح الممتد من المحيط الى الخليج •

واذا كانت سلطنة بنى عثمان قد ظهرت على المسرح لتحل محل القوى الاسلامية فى حوض البحر المتوسط فى تحمل مسئولية الجهاد ، فان دور الدولة العثمانية ظل محدودا فى حماية شواطىء شبه الجزيرة العربية المطلة على الخليج وبحر العرب مما ترك عمان شبه وحيد ليقوم بدوره البطولى الذى اختاره له القدر فى حماية تلك المنطقة •

وهنا لابد لنا من كلمة أخيرة فى الموضـوع هى أن الكتاب والمؤرخين الغربيين دأبوا فى كتاباتهم على دمغ حركة الجهاد الاسـلامى فى الخليج وبحر العرب بطابع القرصـنة ، فالمجاهـدون المسلمون الذين دأبوا على الخروج من موانى عمان والجزر الواقعة عند مدخل الخليج للتصدى لسفن الأوربيين ليسوا فى نظرهم الا قراصنة هددوا حرية الملاحة وقطعوا الطريق على التجار الآمنين دون أن يكون لهم أى هدف سوى السلب والنهب •

لقد نسى هؤلاء الكتاب المغرضون أو تناسـوا حقيقـة هامة هى أن الحروب الصليبية بين المسلمين والمسيحيين ، اتصفت فى جميع حلقاتها وكافة أدوارها بطابع الاغارة على شواطىء العدو والتربص لسفنه ومتاجره •

هذا الى أن الجهاد عند المسلمين ليس فى البر فقط وانما كان أيضا فى البحر ، حتى أطلق على رجال الأسطول فى الدولة الاسلامية اسم المجاهدين .

ثم لماذا نسلط الأضواء على ما قامت به السفن الاسلامية والمجاهدون المسلمون من تصد لسفن الاعداء لأسر من فيها والاستيلاء على ما تحمله من أموال وبضائع وننسى ما قامت به سفن القوى الأوروبية وخاصة الايطالية من عدوان وسلب ونهب على شواطىء افريقية وتونس فضلا عن شواطىء مصر والشام فى عصر الحروب الصليبية وحتى القرن السادس عشر للميلاد .

نعم ، لماذا يغمض هؤلاء عيونهم عما جاء فى مصادر التاريخ المعاصرة من أن بعض الجنوية صادفوا سفينة اسلامية موسوقة بالبضائع ، وهى فى طريقها من الاسكندرية الى طرابلس الغرب ، فأسروها وذهبوا بها الى قبرص سنة ٧٧٠ هـ (١٣٦٨ م)[١] ؟

لماذا لا يشيرون الى ان الفرنج أخذوا سنة ٨٢٧ هـ (١٤٢٣ م) مركبين من مراكب تجار المسلمين قرب ثغر دمياط ، فيهما بضائع كثيرة وعدد من الناس يزيدون عن مائة رجل ؟ لماذا لا يلمحون الى أن القراصنة الأوروبيين سرقوا فى عرض البحر المتوسط سفينة محملة بالهدايا مرسلة من برسباى سلطان المماليك فى مصر الى السلطان مراد العثمانى[٢] وهذه الأمثلة قليل من كثير .

ان ما فعله العمانيون وغيرهم من أهل الخليج ضد السفن والمتاجر غير الاسلامية كان وجهة نظرهم — ووجهة نظر العصر الذى عاشوا فيه — ضربا

---

(١) النويرى السكندرى : الالمام بالاعلام ، ج ١ ورقة ٩٨ أ — ٩٩ ب من النسخة المخطوطة بدار الكتب المصرية .
(٢) خليل بن شاهين الظاهرى : زبدة كشف الممالك ص ١٣٨ .

من ضروب الجهاد ولا يتجاوز بأى حال ما كان يفعله نصارى الفرنج بالسفن والمتاجر الاسلامية طوال قرون عديدة ، فى قلب ديارهم ومياههم •

اذا أغار الفرنج على بلاد المسلمين واحتلوا أرضهم وأقاموا عليها الحصون والقلاع وتحرموا فى مياههم وتربصوا بسفنهم وأسروا من فيها من رجال ، ونهبوا ما فيها من أموال وبضائع •• عندئذ تغمض العيون وتتوقف الأقلام وتسدل الستائر ، ويعتبر هذا عملا انسانيا مشروعا فيه شفاء لقلوب رجال الكنيسة الغربية وأتباعها •

أما اذا خرج المسلمون فى البحر لدفع عدو ترك بلاده فى أقصى الغرب الأوربى وقطع آلاف الاميال الى أقصى الشرق ليهدد البلاد والعباد فى أوطانهم وأرزاقهم وينهب ثرواتهم الطبيعية ، فعندئذ يصبح المسلمون قراصنة يباشرون عملا غير مشروع يتعارض مع القانون •••• قانون الغاب•

ان أسوأ ما يمكن ان يقع فيه المشتغل بالتاريخ هو أن يقيّم عصورا مضت بمعايير العصر الذى يعيش فيه فلكل عصر قيمه ومثله ونظرته الى الحياة ومقاييسه التى يقيس بها الأمور ويزن بها الأحداث •

وثمة خطأ آخر يمكن أن يقع فيه الباحث فى التاريخ هو أن ينظر الى الأمور بعين واحدة فيغبن جانبا لحساب جانب آخر وينظر بعين الرضا الى فريق ولكنه ينظر بعين السخط الى فريق آخر •

ولكن مهما تتباين وجهات نظر المؤرخين وتتضارب أقوال الباحثين ، فان هناك حقائق كبرى فى التاريخ تظل قائمة شامخة لا شك فيها ولا جدال حولها •

ومن هذه الحقائق ان عمان ظل منذ دخول أهله فى دين الله يمثل قلعة أمامية حصينة للعروبة والاسلام •

أ • د / سعيد عبد الفتاح عاشور

دولة اليحمدي في عُمان

من ١٧٥ ـ ٩٦٧هـ = ٧٩١ ـ ١٥٦٠م

سليمان بن خلف الخروصي

مقـــــدمة

الحمد لله الذى جعل التاريخ عبرة وعظة ، وقص علينا فى القرآن الكريم عن أخبار الأمم الماضين ما فيه ذكرى وبينة • والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث من صميم العرب ، وعلى آله وصحبه هداة الخلق والدعاة الى الحق ، الذين سجل لهم التاريخ العربى أنصع الصفحات •

وبعد : فان أجل ما تعتز به الأمم والشعوب هو تراثها الحضارى الذى يعكس مدى تراثها التاريخى ، ويجسد حضارتها العربية ، وأدوارها الذهبية ، فالتراث هو الذى يترجم الحقائق التاريخية الى واقع ملموس حى متجسم •

وانه لمن دواعى الفخر والاعتزاز ، أن يقام هذا المهرجان الكبير مهرجان التراث العمانى ــ الذى تنظمه وزارة التراث القومى والثقافة ، ونحن بهذه الأيام السعيدة نستقبل عيدنا الوطنى العاشر فالمهرجان التاريخى الخالد ، فاتحة خير لهذه المناسبة السعيدة الغالية المباركة ، وقبل أن أبدأ حديثى فى موضوع البحث وهو :

(دولة اليحمد فى عمان)

يجب أن أعرف قبل كل شىء « ما التراث » وما هى « الثقافة » ؟

فالتراث كلمة عربية عريقة ، عميقة الجذور متينـــة الأســـاس ثابتة الدعائم ، يعتز بها كل كريم نبيل ويؤمن بخلودها كل حر عربى • ويحافظ عليها كل همام أبى •

ومعناها لغة ما يخلفه الميت لورثته من مال ومجد ، فيقال فلان ورث المال والمجد عن فلان اذا صار مال فلان ومجده اليه •

كما يقال توارثوا المجد كابرا عن كابر ، وهم فى ارث مجد ، وفى المنجد ورث يرث ورثا وورثا وارثا ورثة وتراثا وتراث أى أمة من الأمم هو موروثها الحضارى فى شتى العلوم والفنون والآداب •

وتراثنا العربى هو كل ما أبدعه العقل العربى من ذخائر العلم والفكر والأدب ، ويتناول ما دون من آداب وقصص وأشعار فى العصر الجاهلى ، كما يتناول الآثار الدينية والفقهية والتاريخية والفنية التى تركتها الحضارة الاسلامية على اختلاف عصور التاريخ منذ بدء ظهور فجر اشراقة الاسلام ، حتى العصر الحديث بل حتى اليوم •

كما قال بعض الدكاترة المعاصرين ، انها تطلق لفظة التراث بالمعنى الواسع على نتاج الحضارة فى جميع ميادين النشاط الانسانى من علم وفكر وأدب ، وفن ومأثورات شعبية وآثار ومعمار وتراث فلكلورى واجتماعى واقتصادى واجتماعى وكثير من هذا التراث سجله الأجداد فيما خلفوه لنا فى مخطوطات عربية تتناول البحث فى جميع فنون المعرفة المختلفة من تفسير وحديث وفقه وأدب ولغة ونحو وتاريخ وفلسفة وطب ورياضيات •

والثقافة كلمة حية متطورة من حيث مدلولها الصحيح وأبعادها الفكرية ومراميها الوجدانية ، فهى من جهة صفة من صفات العقل والنفس ، ومن جهة أخرى نمط من التفكير والسلوك ، وهى المؤسسة الوحيدة التى يلتقى عندها البشر من مختلف الأجناس فى وفاق وانسجام ، ومعنى الثقافة عند العرب الأوائل هى التسوية والتثقيف هو تثقيف الرمح ، أو اللعب بالسيف قال الشاعر العربى :

وكأن لمع بروقها
فى الجو أسياف المثاقف

روى ابن عبد ربه فى العقد الفريد عن عبد الله بن قتيبة قوله :

من أراد أن يكون عالما فليطلب فنا واحـــدا ومن أراد أن يـــكون أديبا فليتفنن أو فليتوسع فى العلوم والأدب بهذا المعنى يقارب مدلول الثقافة ، يقول ابن العميد : كتب الجاحظ تعلم العقل أولا والأدب ثانيا ، وكان الخليل ابن أحمد وابن دريد الأزديان العمانيان والجاحظ وابن خلدون وابن قتيبة والسيوطى من أعلام الثقافة العربية •

أما المعاصرون فقالوا عنها أشياء كثيرة ونأخذ من أقوالهم موجزا ، وملخصا ، الثقافة هى ما يتصف به الرجل الذكى من ذوق وحسن انتقادى ، وتنمية ملكات العقل واثراؤها ببعض التمارين الفكرية ، وكل ما فيه استفادة للذهن وتهذيب للذوق ، وملكة للنقد فهى ثقافة والثقافة هى التى تصـــــنع شخصيات الأمة ــ أى أمة ــ وتبرز معالمها وتجدد حضارتها وتحدد خصائصها وتقرر قوانينها وتقاليدها ، بل هى التى تكون جهاز الأمة العام وأدبها ، وغناءها وما يطربها أو يشجيها •

وانا ننظر الى الثقافة نظرة اكبار واجلال ، لانها تراث نزل من السماء ولم ينبت من الأرض ، انها جملة العقائد والعبادات والقوانين والأخـــلاق والحقوق والقيم والمثل التى حوتها رسالة الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم •

وهى كذلك جملة الآداب والاشعار والصور التى أثرت على العرب ، فاللغة العربية هى لغة الوحى الالهى والثقـــافة اجمـــالا هى ديننا ودنيانا وماضينا ومستقبلنا ، وهى أصلنا الذى انبثقنا منه ، وفرعنا الذى نمتـــد معـــه •

وبعد تعريف التراث والثقافة ننتقل لموضوع البحث •

تمهيـــــد

عمان قطر اسلامى عربى أصيل مجيد بحسبه صريح بنسبه ، اشتهر بملوكه وسلاطينه وأئمته وخطبائه وعلمائه وقادته وأبطاله الخالدين •

وتقع سلطنة عمان فى أقصى جنوب شرقى شبه الجزيرة العربية على ساحل يمتد على ما يزيد على ١٧٠٠ كيلو متر وتقدر مساحتها بـ ١١٩ر٣٠٠ ألف ميل مربع • ومن أبرز مدنها العاصمة مسقط ــ نزوى ــ صحار ــ سمائل ــ الرستاق ــ نخل ، صور ، بهلا ، ابرا ، ازكى ، البريمى ، عبرى ، ولا يوجد احصاء رسمى عن عدد السكان ، ويقدر بمليون ونصف مليون ، واعتقد أنهم أكثر من ثلاثة ملايين •

ومناخ سلطنة عمان حار صيفا بارد شتاء ، وهى ذات سلاسل جبلية تبدأ من رأس مسندم ثم تسير موازية للساحل فى شكل منحى حتى قرب رأس الحد • والجهات الداخلية من السلطنة عبارة عن هضبة يبلغ ارتفاعها ١٣٠٠ مترا ويزداد هذا الارتفاع فى وسط الهضبة ــ الجبل الأخضر الذى يبلغ ارتفاعه ١٠ر٠٠٠ عشرة آلاف قدم •

لِمَ سميت عمـــان ؟ :

سميت بعمان بن قحطان بن هود النبى عليه الصلاة والســلام على الصحيح وهناك روايات أخرى ، قيل سميت بعمان بن ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ، وقيل سميت بعمان بن يقثان بن ابراهيم وقيل بعمان بن سباء بن يقثان بن ابراهيم ، وتأتى رواية خامسة انها سميت بواد للعرب فى مأرب ، وتسمى « بأرض ماجان » فى عهد السومريين وذلك فى الألف الرابع قبل الميلاد وتسمى « بأرض ابليتاء » فى عهد البابليين ، وسميت « مزون » فى فترة قصيرة ثم رجعت الى اسمها الأول ، وهى عمان •

الأمم التى سكنت عمان :

أول من سكن عمان من الأمم « السومريون » وهم أول من أخرج الى العالم النحاس ــ أخرجوه من عمان ثم الكلدانيون ، ثم قوم عاد ، ومنازلهم بالأحقاف وهى رمال عمان من الجهة الجنوبية قال ابن خلدون : ان يعــرب

ابن قحطان لما غلب على عاد ، وانتزع اليمن منهم ولى على عمـــان أخاه عمان بن قحطان •

وهناك رواية أخرى تناقض رواية ابن خلدون • ان عمان بن قحطان جاء الى هذه البلاد على أثر منافسة بينه وبين أخيه يعرب بن قحطان فملك عمان ، وحملت هذه البلاد العربية اسمه ، ثم الفينيقيون ، فسكنوا صور المدينة المعروفة حتى اليوم ، ثم ارتحلوا فنزلوا لبنان وهناك بنوا مدينة ســموها باسم صور المدينة العمانية ثم الأشــوريون ، ثم ارتحلوا فحــل محلهم البابليون ، وازدهرت عمان فى أيامهم ، ونشطت تجارتها ، ثم السبأيون آل سبأ بن يفثان بن ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام •

ثم جاء عمان بن ساق الفنجديهى أحد الملوك العظماء ، فملك عمان ، ثم طسم وجديس ثم ارتحلوا فنزلوا اليمامة من نجد ، ثم الغزو الكسروى لفترة قصيرة ، ثم ملك مالك بن فهم من ولد الأزد بن الفوث بن نبت مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشحب بن يعرب بن قحطان بن هــود النبى عليه الصلاة والسلام ، وأبناء عمه الأبطال المغاوير وهم « اليحمد ، ومعوله ، وعبرة والحدان والندب وبنو على بن سودة وغيرهم من القبــائل الأزدية العربية فأخرجوا الغزو الكسروى ، وسكنوا عمان ولحقتهم قبائل عدنانية •

فالقبائل العمانية الموجودة اليوم محفوظة أنســابها ، تسرد أنســابها مسلسلا صحيحا الى قحطان بن هود عليه الصلاة والسلام •

وقد لمع نجم عمان فى الجاهلية وبرز اسمها فى الاسلام وشاركت فى الفتوحات الاسلامية ، وحملت رسالة العروبة وأعطت الانسانية الكثــير والكثير وهى مهد العلماء والأعلام ، وأرض الأمجاد والبطولات وكانت منذ تاريخها مضرب المثل بالفصاحة والبلاغة والخطابة •

قال الجاحظ فى البيان والتبيين : لربما سميت من لا علم له يقول : ومن أين لأهل عمان البيان قال : وهل يعدون لبلدة واحدة من الخطباء والبلغاء

ما يعدون لأهل عمان ، منهم مصقلة بن الرقية أخطب الناس قائما وجالسا ، ومبتدئا ومجيبا • ثم من بعده ابنه كرب بن مصقلة ، ولهما خطبتا العرب العجوز فى الجاهلية والعذراء فى الاسلام •

ومن خطباء عمان فى العصر الجاهلى قيس بن خارجة بن شيبان ، وكان يخطب من لدن تطلع الشمس الى أن تغرب يأمر بالصلة وينهى عن القطيعة ، ومن خطباء عمان وعلمائها صحار العبدى وهو أول من ألف فى الأدب وأمثال العرب وكان صحابيا ومنهم مازن بن فضوبة السعدى الطائى وهو أول من أسلم من أهل عمان ، وفد الى النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة المنورة فى قصة طويلة وقد ذكره ابن حجر فى الاصابة وابن عبد البر فى الاستيعاب •

ومن الصحابة أيضا من أهل عمان كعب بن برشة الطاحى ، والنعمان ابن ثابت العتكى ، وعمرو بن شداد الليثى فهؤلاء خمسة من الصحابة من أهل عمان وكلهم مذكورون فى الاصابة للحافظ ابن حجر ، وابن عبد البر فى الاستيعاب •

ومن أهل عمان جيفر وعبد أبناء الجلندى بن المستكبر ، ولهما كتب النبى صلى الله عليه وسلم كما كتب لسائر الملوك مثل كسرى وقيصر والنجاشى ، وأرسل اليهما عمرو بن العاص واجتمع بهما فى صحار وبعد حوار بين جيفر وعمرو ، أسلم جيفر وعبد ، ولقد أعتنق أهل عمان هذا الدين الجديد طواعية وبمحض رغبتهم وكان لهذا أحسن الأثر فى نفوس الرسول عليه الصلاة والسلام ولقد ساهم الاسلام فى اثراء التراث العمانى كما فتح أمام عمان آفاقا واسعة لوضع أسس متينة لحياتها الروحية تنبع من تعاليم الاسلام السمحاء •

وكان عمرو بن العاص أميرا على عمان فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، وأهلها له سامعون مطيعون ، وملوكها بنو الجلندى آنذاك مناصحون له مؤازرون • ولما بلغه موت النبى صلى الله عليه وسلم توجه الى المدينة وصحبه من أهل عمان وفد رفيع المستوى برئاسة عبد بن الجلندى

للانضمام الى الركب العربى الاسلامى والالتفاف حول رايته الخفاقة ، مؤدين حق الواجب والأخوة الصادقة فقابلوا الخليفة أبا بكر الصـــديق رضى الله عنه ، وقام أبو صفرة العمانى أحد أعضاء الوفد خطيبا فقال يا خليفة رسول الله هذه أمانة كانت فى أيدينا ، ووديعة فى ذمتنا لرسول الله ، وقد برئنا منها اليك ـــ يعنى عمرو بن العاص فأثنى عليهم أبو بكر خيرا وقام عمرو بن العاص خطيبا فلم يدع شيئا من المدح والثناء الا قاله فى أهل عمان •

وقد وجه[1] أبو بكر الصديق عبد بن الجلندى الى قتال الغساسنة ملوك الشام وأمره على صحبه العمانيين السبعين رجلا وعلى أبناء عمه الانصار ، فخرج قائدنا العمانى الى الشام وقاتل الغساسنة ورجع مكللا بالنصر •

ومن أهل عمان صعصعة بن صوحان وزيد بن صوحان ، وكانا من أفصح الناس ومقامهما فى وقعة الجمل وصفين معروف •

ومنهم مرة بن البليد ولم يكن أجود منه ارتجالا وكان رسول المهلب ابن أبى صفرة الى الحجاج •

ومن أهل عمان المهلب بن أبى صفرة البطل الخالد والقائد العظيم فى العصر الأموى ، وبنو المهلب كلهم أبطال قادة ســـجل لهم التاريخ العربى أروع الصفحات ومنهم بشر بن المغيرة بن أبى صفرة ولم يكن فى الجزيرة العربية أنطق منه وأفصح وعرفجة بن هرثمة والجحاف بن حكيم ومنهم كعب بن مسور • قاضى الخليفة الثانى عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن البصرة •

ومنهم الامام أبو الشعثاء جابر بن زيد اليحمدى الأزدى من أهـــل فرق من أعمال نزوى والمعروف عند الخاص والعام وكان من تلامذة خـــير

---

(١) القصة مشهورة فى كتب التاريخ ذكرها الواقدى وابن الاثير والسالمى فى تحفة الاعيان .

الامة عبد الله بن عباس وقد أخذ العلم عن سبعين من الصحابة البدريين على قلتهم وأخذ العلم عن باقى الصحابة ، وقد سكن العراق وفيه يقـول ابن عبـاس :

عجبا لأهل العراق كيف يحتاجون الينا يسألوننا وعندهم جابر بن زيد لو سأله أهل المشرق والمغرب لوسعهم علمـه ، ولما بلغ موته أنس بن مالك خادم النبى صلى الله عليه وسلم قال : اليوم مات عالم العرب •

وقد روى عنه أئمة الحديث كالبخارى ومسلم وغيرهم •

ومنهم القائد العظيم أبو حمزة المختار بن عوف الذى روى بعض خطبه الامام مالك بن أنس ، والخليل بن أحمـد الفراهيدى امام اللغة العربية ومخترع علم العروض والعلامة المشهور ابن دريد وأبو العباس المبرد صاحب كتاب الكامل والربيع بن حبيب وضمام بن السائب وأبو مودود حاجب ومنير بن النير وموسى بن أبى جابر ومحمد بن المعلا وبشير بن المنذر •

ومن أهل عمان ذلك القائد العظيم ، والفاتح البطل موسى بن نصير العمانى الذى فتح بلاد المغرب كلها والأندلس ، وان فتح بلاد المغـرب والأندلس وإدخالها فى حظيرة الاسلام وتحت الراية العربية يرجع الفضل الأكبر فى ذلك لعمان •

فقد توجه اليها موسى بن نصير • بقومه الأبطال العمانيين فتحكى المصادر التاريخية ان أكثر الجند الذين مع موسى بن نصير والذين عبر بهم طارق البحر الى الأندلس هم عمانيون ، وقد استقر أغلبهم فى قلاع الصحراء الكبرى فى سجلماسة فى المغرب والجزائر وجبل نفوسة فى ليبيا وفى القيروان فى تونس ، ولذا رسخ المذهب الاباضى فى تلك البقاع حتى اليوم •

وقد روت أغلب كتب التاريخ ، أن الوليد بن عبد الملك بن مروان وجه الى افريقية موسى بن نصير العمانى أميرا عليها ، وذلك سنة ٨٩هـ (٧٠٩م)

فلما دخل موسى بن نصير القيروان ، بلغه أن بعض البربر قد خالفوا الطاعة فبعث اليهم ابنه عبد الملك بن موسى بن نصير ، فدارت معارك طاحنة كبرى وفى النهاية أخضعهم وبلغ الأسرى نحو ستين ألفا ، ولم يسمع بشىء أعظم منه ، ثم وطدت له افريقية ، وسار الى طنجة وفتحها وولى عليها مولاه طارق بن زياد ، فأخذ طارق بن زياد يعنى بالبربر فعلمهم القرآن وجعل منهم جيشا قويا .

واستمر طارق يدرب البربر تدريبا عسكريا حتى توجه باثنى عشر ألف جندى فى سنة ٩٢هـ فدخل الأندلس وكانت خاضعة للقوط ، منذ أوائل القرن الخامس للميلاد ، وكانت دولتهم قوية فى أول أمرها ، ثم ما لبث أن فسدت وسيطر عليها الاشراف رجال الدين والقادة فاقتطعوا البلاد وساموا الناس خسفا ، وأكثروا فيها الرقيق .

وكان أهل الأندلس يسمعون بأحوال العرب فى شمال افريقية وبعدلهم فيتمنون انقاذهم ، وقد حاول المسلمون منذ النصف الثانى من القرن السابع للميلاد فتح الأندلس ولكنهم فشلوا فى عهد الامبراطور قامبا ولما سيطر بطلنا العمانى موسى بن نصير على المغرب قام طارق بتدريب جيش بربرى قوى ثم فكر فى غزو الأندلس فغزا أولا (سبته) التى كانت تحت سيطرة الكونت جوليان حاكمها من قبل القوط ففتحها واتخذها منذ ذلك الحين مركزا لتهيئة الجيش المعد لغزو الأندلس .

ومن حسن الصدف أن الأسبان عزلوا امبراطورهم (غيطشة) وولوا (آضيل) مكانه وفى سنة ٩٠هـ (٧١٠م) عزلوه وولوا مكانه « رودريف » فانقسمت البلاد الى جزئين أحدهما مع آخيل والثانى مع رودريف وتحالف جوليان الحاكم الأسبق مع حزب آخيل للقضاء على رودريف كما كتب الى موسى بن نصير هذه الفكرة ، فأرسل موسى بن نصير سنة ٩١هـ جيشا ضم خمسمائة مقاتل بقيادة طريف بن مالك العمانى فدخل طريف بعض الثغور الجنوبية الأندلسية ، وعاد وهو منصور وغنم غنائم كبيرة .

وهذا شجع الأمير موسى بن نصير ، بطلنا العمانى على اتمام الغزو فجيش جيشا مكونا من سبعة آلاف مقاتل أكثره من البربر لفتح الأندلس بقيادة مولاه طارق بن زياد • فعبر طارق البحر على سفن جوليان ، ونزل باقليم البحيرة جنوبى آسيا •

وكان رودريف مشغولا بحرب آخيل ، فلما علم رودريف بمقدمه جمع جموعه وكانت تقرب من مائة ألف مقاتل ولقى طارق بن زياد • فتخوف هذا من كثرة جيش الكفر فاستنجد بموسى بن نصير ، فأمده بخمسة آلاف جدد والتقى الجمعان على ضفاف وادى ميكمة سنة ٩١ (٩ تموز سنة ٧١١م) وبعد معارك عظيمة كتب النصر لجنده •

ثم أخذ طارق بن زياد يفتح المدن الواحدة تلو الأخرى فاستولى على أشبيلية وقرطبة وطليطلة التى لم يبق فيها الا رجال الدين اليهود •

ولما علم موسى بالفتح العظيم كتب الى طارق أن يتوقف ليحضر اليه فلم يستمع طارق الى قوله لان فى ذلك وهنا للموقف وفى سنة ٩٣هـ (٧١٢م) قدم موسى بن نصير ففتح ماردة ثم التقى بطارق فعاتبه ثم سجنه ، ولما علم الخليفة بأمر طارق كتب الى موسى يأمره باطلاقه وسارا معا لاتمام الفتح فغنما (ارغوته) وقشتاله وكتالونه وسرقسطة وبرشلونه حتى بلغ جبال البرانس وتم لهما فتح الأندلس كلها ، ولجأ اشراف الأندلس الى الجبال الشمالية الغربية •

ولم تقف أطماع القائدين العمانيين عند هذا بل عزما على مواصلة الفتوح ، والوصول الى القسطنطينية عن طريق البر وجعل البحر المتوسط بحرا عربيا ، ولما بلغ ذلك الخليفة الوليد بن عبد الملك طلب اليهما الكف عن ذلك لما فيه من المغامرة ، ثم أن الوليد طلب من القائدين العمانيين العربيين أن يصلا اليه • فرحل موسى بن نصير الى دمشق بعد أن ولى ابنه عبد العزيز على الأندلس وبينما هو فى الطريق • بعث اليه سليمان بن عبد الملك ــ أخو الوليد أن يتأخر فى الطريق فان الوليد مريض وذلك طمعا فى استئثاره بالغنائم

والتحف • فلم يلتفت موسى لقوله — واستمر فى طريقه حتى دخل دمشق فحنق عليه سليمان بن عبد الملك ، وعزله عن الأندلس والمغرب • لما صار خليفة •

ولا يسعنا المقام أن نذكر رجالات عمان وقادتها وأبطالها وعلمائها وخطبائها فهم كثير ••• وكثير ••• وكثير •

دولة اليحمد فى عمان

هذه الدولة التى حكمت عمان منذ سنة ١٧٥هـ الموافق ٧٩١م الى سنة ٩٦٧هـ الموافق ١٥٦٠م • تخللها فترة وجيزة لبعض أئمة عمانيين من غيرهم فى عمان حوالى ثمانية رجال فقط ، ثم رجع الأمر اليهم ، وبالتالى تخللها فى العصور الأخيرة صراع قبلى داخلى بينهم وبين بنى نبهان وكانت الحرب سجالا مرة لهم وتارة عليهم — شأن أى حرب لكن سرعان ما كان يعود اليهم الحكم •

هذه دولة اليحمد التى اشتهرت بالعلم والعدل والفضل والاصلاح ، وحملت المسئولية الكبرى على أعظم مستوى بصدق وأمانة فنجد فيهم عدالة الحاكمين وزهد القادرين وقوة الودعاء وودعة الأقوياء واخبات النساك ، وعظمة الأملاك وقد اهتموا منذ فجر تأسيس حكومتهم بترتيب الدولة وتأسيسها وتنظيمها ترتيبا يعتمد على الاصلاح والقوة •

ويكاد يكون النظام الادارى للدولة الجديدة هو النظام الادارى للخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم ، فقد اهتمت دولة اليحمد بنشر العلم والحضارة والعدالة والاصلاح ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وقد اهتموا بالغا بالناحية العلمية والثقافية والاقتصادية والعسكرية ، تمشيا مع الأمة فى مضمار الحضارة ، وتطلعها للمعرفة والادراك فلعبت دورا بارزا فى ايجاد ثقافة اسلامية انتجت أطيب الثمار من فقه وأصول وحديث ولغة وأدب وشعر ، ونبغ من رجالاتها علماء أجلة كانوا عمدة التأليف وأئمة التصنيف تركوا لنا تراثا خالدا •

ولا نبالغ اذا سمينا أو أطلقنا عصرهم فى عمان ، عصر العلم وعصر النور أما من الناحية العسكرية فكان لها أيضا الدور الفعال الايجابى ، حيث يوجد لها أساطيل ضخمة تضم ألف قطعة بحرية واكتسحت جانبا كبيرا من الهند وافريقيا وملكت بمبى بالهند وغيرها من العواصم الهندية ، وقد تغنى شعراء عمان بأمجاد هذه الدولة قديما وحديثا قال الشاعر الكبير أبو مسلم ناصر بن سالم بن عدين الرواحى وهو يذكر هذه الدولة .

لا ينكر الناس ما للقوم من شرف
وكيف يلحق عـين الشمس نقصان

احســـابهم ومعـــاليهم ودينهم
كواكب وهدايات ورضـــــوان

وقال سعادة الشيخ عبد الله بن على الخليلى ــ مستشار وزارة التراث القومى والثقافة :

وحمـدنا لليحمـد الغر حـــكما
كان بالقســـط للأنام كفيـــلا

ورأيناهم على الـــبر خيـــلا
وعلى البر للعـــدا أســـطولا

وقال فضيلة الشيخ العلامة شقيقى سعيد بن خلف الخروصى من قصـــيدة :

وبعد الجلندى كم حمـدنا ليحمد
كراما لهم بالفضـل يعنو المخاصم

كما أشرت بذلك فى قصيدة تاريخية :

لله من يحمـد شم عيـــاهلة
سادوا الآنـام بأفضـال وارشاد

قد ذلّلوا الكون منقـــادا لامرهم
وصفدوا كل ذى غـل وأحقـــاد

النسب الذى تعود اليه هذه الدولة

ان نسب هذه الدولة عريق معروف فى الأزد ، والأزد هى أغلب القبائل العمانية ، ومن الجدير بالذكر أن نسب الأسرة المالكة الكريمة البوسعيد تتفرع من الأزد ، فنسب هذه الدولة يعود الى خروص بن شارى بن اليحمد بن عبد الله بن عثمان بن نصر بن زهران بن كعب بن حارث بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد بن الفوث بن ينت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبان بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود عليه الصلاة والسلام . وقال الشيخ العلامة سالم بن حمود السيابى فى كتابه العنوان عن تاريخ عمان صفحة ١٤٩ وهو يذكر دولة اليحمد قال ومن تلك الأئمة محمد بن الحسن الخروصى ، وقد عرفت العنصر اليحمدى لهذه الدولة والمراد بهؤلاء أئمة بنى خروص بن شارى بن اليحمد انتهى كلامه .

حكام دولة اليحمد

١ ــ محمد بن أبى عفان ــ ١٧٥ = ١٧٧هـ = ٧٩١ ــ ٧٩٣م .

كانت عمان فى ذلك العصر يملكها بنو الجلندى ويحكى التاريخ انهم فى العصور الأخيرة كانوا ــ ويا للأسف ــ أمراء غير صالحين فى الحكم ولا فى الشعب . والتاريخ كما يقال لا يجامل ولا يجابى ولا يدارى ولا يخجل ، بل يقضى على كل واحد له أو عليه فهو يسرد الوقائع ويقص الأحداث بأمانة وصدق وموضوعية والتاريخ أكبر شاهد عدل ، كثرت الفوضى فى البلاد وعم الظلم والجور ، فاجتمع العمانيون أهل الحل والعقد ورجال العـــلم والفكر ، فانتخبوا محمد بن أبى عفان اماما وذلك فى سنة ١٧٥هـ الموافق ٧٩١م .

صـــفاته :

كان رجلا قوى الارادة ماضى العزيمة ، صعب الشكيمة هماما بطلا شجاعا ، ولكنه كان جبارا غير مرضى السيرة ، فخلعه الشعب فى سنة ١٧٧هـ ٧٩٣م وعاش فى الحكم سنتين فقط • والى ذلك يشير سعادة الشيخ عبد الله بن على الخليلى فى قصيدته عمان فى سجل الدهـــر :

ثم ســـــــنا أمرنا حـــزما على
طاعة الله بقـــــــــوم صالحين

حـــــين قامت دولة اليحمـــــد فى
دوحـــة الايمـــــــان بين المؤمنين

بدأت بابن أبى عفـــــــــان فى
دولة قام بهـــا الحـــق المبين

كان فى اليحمـــــد من هاماتهـــا
صارما يفـــدى رقاب المـــارقين

غير انا ما ارتضينـــــــــا سيره
فاقمنـــــــا وارثا حامى العرين

٢ ــ الوارث بن كعب ١٧٧ ــ ١٧٩هـ = ٧٩٣ ــ ٧٩٥م :

انتهز بنو الجلندى الفرصة لمـــا خلع الشعب محمد بن أبى عفـــان فاستولوا على نزوى العاصمة آنذاك وازكى وسمائل ، ورجعوا على ما كانوا عليه من الظلم والجور والاستبداد بالحكم ، فقام العمانيون وفى مقدمتهم أهل العلم ، فانتخبوا الوارث بن كعب اماما وذلك فى سنة ١٧٧هـ ــ ٧٩٣م •

ويحكى التاريخ أن الوارث بن كعب كان يسكن هجار ــ قرية فى وادى بنى خروص وكان يرى الرؤيا فى نومه تدل على ظهور الحق فى يده •

صـــفاته :

كان مضرب المثل فى العدل والحلم والجود والأمانة والتقوى وكان آمرا بالمعروف ناهيا عن المنـــكر لا تأخذه فى الله لومة لائم ، غيورا على الوطن المقدس يجاهد فى سبيل الله صالحا مصلحا له كرامات كثيرة لا تعـــد ولا تحصى ومفاخر جليلة لا تحد ولا تستقصى •

الأحداث التاريخية فى عهده :

فى عهده أرسل هارون الرشيد الخليفة العباسى جيشا ضم ستة آلاف مقاتل بقيادة ابن عمه عيسى بن جعفر وهو أخو زبيدة زوجة الخليفة وأم محمد الأمين ، لاخضاع عمان تحت خلافته أو سلطته جاء هذا الأمير العباسى فى أساطيل بحرية •

ولما علم داود بن يزيد المهلبى وهو من عمال الخليفة هارون الرشيد وأحد أركان الدولة العباسية خبر تحرك هذا الجيش العباسى الى عمان بقيادة ابن عم الخليفة فقام وقعد وأخذته الحمية لقومه الأزد ووطن آبائه ومنبت أجداده عمان فهو حفيد المهلب ابن أبى صفرة العمانى ، الا أنه لا يستطيع اظهار ذلك فكتب سرا الى والى صحار وهو مقارش بن محمد اليحمدى فكتب الوالى الى الامام الوارث بن كعب ، يعلمه بالموضوع ويطلب منه تعليماته وتوجيهاته ، فأصدر الوارث أمرا الى ذلك الوالى بصحار يأمره فيه أن يلتقى بالأمير العباسى بمن معه من الجنود والأبطال العمانيين ، توجه الوالى اليحمدى وكله حزم وعزم وبطولة وشجاعة فى ثلاثة آلاف مقاتل فالتقى بعيسى بن جعفر بوادى حتى فوقعت بينهما معركة طاحنة كبرى كان النصر فيها حليف العمانيين وانهزم عيسى بن جعفر وتوجه الى أساطيله بالبحر فتوجه اليه البطل القائد أبو حميد فى ثلاثة مراكب فوقع القتال بينهم فى البحر وانتصر العمانيون على الرغم أن عدوهم يفوقهم عددا وعدة وأسر الأمير عيسى بن جعفر وحبس بصحار ومات فيه •

وفـــــاته :

قال الشيخ السالمى فى الجزء الأول من تحفة الأعيان صحيفة ١٢٠ ما نصـــه :

لم يزل الوارث اماما حسن السيرة ، قائما بالعدل حتى اختار الله له ما لديه ، وكان سبب موته أنه غرق فى سيل وادى كليوه حيث صار الوادى جارفا وغرق معه سبعون رجلا من أصحابه وسبب ذلك أنه كان له أسرى فى الحبس وكان الحبس فى ضفة الوادى عند المكان المسمى سوقم مائل • فقيل للامام أن الوادى سيلحق الأسرى المحبوسين فأمر باطلاقهم • فلم يجسر أحد أن يمضى اليهم خوفا من الوادى فقال الامام أنا أمضى اليهم اذ هم أمانتى وأنا المسئول عنهم يوم القيامة ، فمضى اليهم وأتبعه رجال من أصحابه فغمرهم الوادى مع الأسرى المحبوسين •

ودفن الامام الوارث فى وسط الوادى وقبره معروف حتى اليوم وكانت امامته اثنى عشر عاما وستة أشهر قال الشيخ أبو اسحاق ابراهيم اطغيش المغربى : يتجلى فى هذه القضية : كمال دين الامام ومروءته ، وجلال نفسه وأمانته ووفاؤه فانه لمـــا رأى اسراه فى خطر وهم أمانة فى عهده دفعه الواجب الى انقاذهم بنفسه • حين خاف الناس ان يقتحموا الخطر فلله در تلك النفوس الشريفة •

انتهى كلامه • والى هذا يشير النور السالمى فى جوهر النظام فى قوله :

ووارث بـــن كعب الخـــــروصى
فاز هنا بفضـــــله المخصـــوص

كان له فى السجن يوم خَجَـــرَى
ســـيل عليهم رآه خَطَـــرَا

ســـــــار اليهم بنفسه وقـــــد

قال امانتى فســـــــــار وقصـــد

فزاد ذاك الســـــيل حتى غرقـــــا

ومن غـــــدا وراءه منطلقـــــــــا

ســـــبعون مؤمنـــا مـــع الامـــام

ماتوا لأجـــــــل الحفظ والذمام

٣ ــ غسان بن عبد الله ١٨٩ ــ ٢٠٨هـ = ٨١٥ ــ ٨٢٤م ٠

بعد موت الوارث بن كعب رحمة الله عليه ، اجتمع العلماء وأهل الفكر والرأى فنصبوا غسان بن عبد الله اماما على عمان ٠

صـــفاته :

كان قمة فى المجد والعلم والعدل ، علامة كبيرا ، بصير بأحوال الناس عارفا بهم بعيد النظر سديد الرأى يحسب عاقبة كل أمر بدقة ٠ بل ويتدارك الأمر قبل وقوعه قوى الفراسة ، والفراسة هبة يمنحها الله لمن يشاء من عباده قليل من الرجال الذين يكادون يقرأون أفكار المتحدث اليهم قبل أن يعبر عنها بالحديث المسموع وغسان بن عبد الله من أولئك الرجال القلائل ٠

الأحداث التاريخية فى عهده :

كان المهلب بن جيفر أول حاكم عمانى اتخذ الأسطول البحرى فجمع أساطيل كبرى لحماية عمان ، وغزا الهند وغنم غنائم كبرى هائلة وأمن عمان من الداخل والساحل من القرصان وكان فى ذلك العصر منتشرا فى الجزيرة العربية بكثرة ٠

وجاء فى تحفة الأعيان للنور السالمى ما ملخصه : أن راشد بن سعيد بن شجاع الهنائى سار الى دما ــ السيب ــ فأنهبها وقتل واليها فوجه اليه غسان سرية لقتاله فانهزم راشد الهنائى والقى بنفسه الى اليحمد أعيان الرستاق فأخذوا له ولأصحابه أمانا من غسان فعفا عنهم الامام الا أنه أمر بقتل الأمير صقر بن محمد الجلندانى لانه هو رأس الفتنة والمحرض المتمرد على الامام غسان •

ومن دهاء غسان وسياسته حتى فى الأحكام الشرعية وللسياسة باب عظيم فى الشرع ما حكم به فى فلج الخطم من منح ، وذلك ان السيل الذى غرق فيه الامام الوارث اجتاحه وذهب به أصلا ولم يجدوا الى اخراجه سبيلا • الا فى أموال أهل نزوى • فأمر الامام غسان القاسم بن الاشعث أن يخفى نفسه ولا يتبين ، ثم أرسل الامام غسان الى العلامة القاضى سليمان بن عثمان ، فلما أتى اليه قال له يا أبا عثمان ما تقول فى فلج لقوم مثل فلج نزوى يمضى فى أرض سمد وهى لبنى أبى المعمر • فأتى السبل عليه فاجتاحه • فلم يقدروا على اخراجه الا فى أموال الناس فهل لهم ذلك • فقال سليمان نعم لهم ذلك ، فقال غسان يكون بالثمن أو بغير الثمن فقال عثمان بل لهم ذلك بالثمن فقال غسان • يكون بالثمن حينما يقول أصحاب الأرض أم بقيمة العدول فقال له سليمان يكون ذلك بقيمة العدول فلما عرف الامام غسان رأى القاضى سليمان بن عثمان فى ذلك تمسك به •

وكان سليمان بن عثمان هو الحجة فى العلم والدين وبالتالى كان من أهل الوجاهة والثروة والسيادة والمدافع عن أهل نزوى والمجيب عنهم ، فلما انصرف سليمان أرسل الامام غسان الى القاسم بن الأشعث فقال له ادع غرماءك فانطلق القاسم بن الأشعث فأتى بهم الى الامام فلما حضروا معه طلب القاسم بن الأشعث مجرى لفلجهم بالثمن فقال أهل نزوى لا نرضى فقال الامام عليكم مجرى لفلجهم بالثمن وهو رأى سليمان بن عثمان كبيرهم وشريككم • فقال أهل نزوى عهدنا بالشيخ سليمان هو المتصلب والمحامى والمدافع ، فما باله غير رأيه •

وانطلقوا توا الى سليمان وفى أنفسهم ما فيها فقضوا الى ذلك العلامة الكبير المطاع جلية الأمر وأخبروه بقول الامام غسان هذا رأى سليمان بن عثمان فقال سليمان بن عثمان كلمته المأثورة عزنى سليمان وانطلق مغضبا الى الامام غسان فقال سليمان انى قد رجعت عن ذلك الرأى ، وانسحبت عنه فقال الامام غسان لا وتمسك بذلك الرأى وقال الامام غسان لأهل نزوى اذهبوا فاخرجوا للقوم مجرى لفلجهم بالثمن ، فأبوا عن ذلك فقال لأهل منح اذهبوا فأخرجوا فلجهم من أموال هؤلاء فان عارضوكم وأشار الى أهل نزوى فنحن من ورائكم وفعلا نفذ القرار وأخرج الفلج •

وله أحكام وآراء كثيرة فى المخطوطات العمانية تنم عن سعة معرفة وغزارة علمه وعن دهائه وسياسته وفى عصره اطلق على نزوى بيضة السلام وقد جاء ذلك فى الشعر العمانى •

قال الشاعر العلامة الكبير أبو مسلم الرواحى :

واغرق بهـــا البيد حتى تستبين لهـــا
فرق على بيضـــة الســـلام عنـــوان
فان تيامنت الحـــــوراء شـــاخصة
لهـــا مع السحب أكناف واحضـــــان
فانزل فديتك عنهـــــا إنهـــــا بلغت
نزوى وطافت بهـــا للمجـــد أركان

وتوفى رحمه الله سنة ١٠٨هـ ٨٢٤م •

٤ ــ عبد الملك بن حميد ٢٠٨ ــ ٢٢٦هـ = ٨٢٤ ــ ٨٤٠م :

قام بعد نصب الامام غسان ، عبد الملك بن حميد • بانتخاب من أهل العلم ورجال الفتوى •

صـــفاته :

كان عالما صالحا مصلحا ، آمرا بالمعروف ناهيا عن المنـكر شهما جريئا وقد عمر وكبر السن ، فقام بأمر الدولة كرئيس وزراء ، موسى بن على وهو فى ذلك العصر كمرجع دينى لأهل عمان وشيخ الاسلام وعلم من الأعلام العباقرة المجتهدين ومن رسائل هذا العلامة الكبير للامام عبد الملك بن حميد قال :

فالاســلام من الله بمـكان رفيع ، وفى حصن منيع من أهل الريب والأدناس • أن تكون لهم سلطة فيخرقوا ستوره ويطفئوا أنواره ويطمسوا آثاره ، فأمن الله ذلك لهم وحماه عنهم ، وولاه الله الذين يتطهرون بطهوره ويستضيئون بنوره ويرعونه حق رعايته ويدينون الله بمخافته فأولئك أولياؤه من الناس ولهم حق الاعتصام والاستئناس وهى طويلة جدا وفى هذه الرسالة دليل قاطع على غيرة هذا العلامة الجليل للاصلاح وثقته بربه ، وتوفى رحمة الله يوم الجمعة شهر رجب سنة ٢٢٦هـ ٨٤٠م •

٥ ــ المهنا بن جيفر ٢٢٦ ــ ٢٣٧هـ = ٨٤٠ ــ ٨٥١م :

ان الحديث عن عظمة المهنا وبطولته وتاريخه المشرق تماما كالحديث عن نور الشمس نافلة وفضول وأن الكاتب أو المؤرخ ليعتز بالكتابة أو الحديث عن تاريخ المهنا بنجيفر ، تلك الشخصية القوية التى تفرض نفسها وتفرض احترامها ، وتفرض الأعجاب بها ، بويع بالامامة يوم الجمعة ٣ رجب ٢٢٦هـ ٨٤٠م •

صـــفاته :

كان المهنا بن جيفر عظيما فى كل شىء رجلا بكل ما تعنى الرجولة من معان عربيا بكل ما تجمع العروبة من قيم • مسلما بكل ما يعنى الاسلام من ايمان • عالمـا بكل ما يعنى العلم من تعاليم سامية عادلا بكل ما تعنى العدالة

من تنفيذ شريعة سمحاء كاملة ، وبالتالى كان قويا حازما فى مواقف الحزم والقوة وكانت له مهابة كبرى يتأثر بكل من يقابله ، ولا يقوم أحد من أعوانه مادام قاعدا حتى ينهض ، ولا يتكلم أحد فى مجلسة ، ولا يدخل أحد من جنوده الا بالسلاح ، وكان له ناب يفتر عنه اذا غضب ، فتظهر منه هيبة عظيمة قال المؤرخ ابن رزيق النخلى فى تاريخه الشعاع الشائع باللمعان فى ذكر أئمة عمان الذى طبعته وزارة التراث القومى والثقافة .

وناظـــره المهنـــــا فى جهـــــاد

فما نظر العـــــدو له ارتقـــــابا

امـــــام أمـــــة فى كـل عـــــين

يرى وبنـــــابه السيف استنـــــابا

كســـــــاه هيبة رب البرايـــــــا

فلا تبقى بهـــــا الاســـد اقتضـــابا

كما ذكره الشيخ عبد الله بن على الخليلى فى قصيدته « عمـان فى سـجل الدهر » :

والمهنـــــــا المرتضى فى عزمـــــــه

من بنى اليحمـــــــد خـــــير الآمرين

صـــاحب النـــــاب الذى يرهبـــه

كـــل من فى الأرض ان كـــاد يبـــين

وكان للامام المهنا بن جيفر أسطول ضخم (٣٠٠) قطعة بحرية وثمانية آلاف من الابل وستمائة فارس بنزوى فى ذلك العصر عدا الولايات الأخرى .

الأحداث التاريخية فى عهده :

كان وسيم بن جيفر المهرى فى أرض مهرة وهم بدو أهل ابل وغنم وتعد أراضيهم خصبة سهلة ، فأرسل الامام المهنا اليهم جنديا يدعى عبد الله بن سليمان الضبى فنزل رسول المهنا الى الأمير وسيم وبدأ به وقال : أرسلنى الامام اليكم أن آخذ صدقاتكم وقد وجبت عليك فريضتان ، فأبى وامتنع الأمير وسيم الا أن يعطيه صدقة واحدة وقال له مهددا ان شئت أن تأخذ فريضة واحدة والا فانظر الى قبور أصحابكم ، وكأنه يشير الى من قتل هناك من الشراة المجاهدين فى أيام عبد الملك بن حميد فسكت عنه عبد الله ورجع وكان معه رفيق .

فلما وصلا الى عزه تأخر عبد الله الضبى ، وأرسل رفيقه البدوى الى الامام فقدم عليه وهو فى مجلسه ، فعرف الامام من فرط ذكائه كأنه يحمل خبرا هاما ، فسكت عنه ثم دعا به منفردا فسأله عن عبد الله وكيف سيرته فى سفره وهل ثمة خبر ، فقص بما كان وسيم بن جيفر فانتقض الامام المهنا وقال ويحك أعرف ما تقول ، قال ما قلت الاحقا ، وما نطقت الا صدقا وغدا يصل عبد الله ، وهو يخبرك فقال الامام اكتم الحديث ولا تبده لاحد .

ويصل عبد الله بن سليمان الضبى فى اليوم الثانى ويقص على الامام بما تكلم به وسيم .

هنا قامت قيامة هذا البطل المهاب صاحب الناب فكتب الى ولى آدم ، والى سناو ، والى جعلان ، أن يتوجهوا الى أرض مهره ويأتوه بوسيم بن جيفر أسيرا ، ويأمر الامام القائد يحيى اليحمدى المعروف بأبى المقارش فى كتيبة من الفرسان أهل الخيل وأعلمه أن يصل أرض مهره بأسرع وقت ممكن، ويأتيه بوسيم ومن ينضم مع وسيم ، ثم أنفذ الامام كتيبة ثانية ، فالتقت الكتيبتان فى منح . ثم أنفذ كتيبة ثالثة فالتقت الكتائب الثلاثة فى عز . ثم لم تزل الكتائب تتراسل ينفذها الامام الواحدة تلو الأخرى ، موجفة فى طلب وسيم .

سارت هذه الكتائب حتى وصلت أرض مهره فوجدوا والى آدم قد سبقهم ، وقد نفذ الأمر فقبض على الامير وسيم ومعه بعض رجالات قومه ، فأتوا به الى نزوى • فأمر الامام بسجنهم فمكثوا مدة لا يستطيع أحد أن يكلم الامام فيهم ، حتى وصل أكابر المهرة وأعيانها واستعانوا على الامام بأعيان اليحمد واشرفها ، فأجابهم الامام الى اطلاقهم وشرط عليهم ثلاث حصال اما أن يرتحلوا من عمان ، واما أن يأذنوا بحرب واما أن يحضروا الماشية كل حول نزوى ويشهد العدول ، بأنها لم تتخلف منها شيء •

فقالوا : أما الارتحال من عمان فلا يمكننا واما الحرب فلا طاقة لنا بها ، وان كنا أولى عدد وبأس وصولة وجولة ، واما الماشية نحضرها تماما فالثالثة وان كانت صعبة ، نراها أهون وهى لنا أيسر فأطلقهم الامام ووفوا بما وعدوا فكانوا فى كل سنة يأتون بأبلهم وغنمهم الى نزوى لأخذ الصدقة •

ان هذه القصة ان دلت على شيء فانما تدل على عظمة هذا الامام وقوته ، وصرامته وموقفه الحازم وغيرته على أولئك الأبطال المجاهدين الذين ضحوا بدمائهم فى سبيل الله لاستقرار الأمن والسلام فى وطنهم الغالى المقدس وان لم يكونوا فى عهده ولا فى دولته ، بل كأبطال عمانيين ، وهو لعمرى جدير بالوفاء فى زمانه تحرك بنو الجلندى ويرأسهم المغيرة ابن روشن الجلندانى • فدخلوا توأم البريمى وكان أبو الوضاح واليا للامام فيها فقتلوه ، فأرسل الامام اليهم سرية بقيادة الصقر بن عزان وكان أبو مروان واليا للامام بصحار فبلغه الخبر فندب الناس وبلغ عدد جيشه اثنى عشر ألفا ، فوقعت بينهم معركة كبرى وكانت النتيجة أن انهزم بنو الجلندى ، ورجع كما يقال السيف الى نصابه والمياه الى مجاريها الطبيعية •

وفاته :

توفى رحمه الله ١٦ ربيع الآخر سنة ٢٣٧ هـ ٨٥١ م •

٦ ــ الصلت بن مالك ٢٣٧ ــ ٢٧٣ هـ = ٨٥١ ــ ٨٨٧ م

قيمة المرء فى الحياة الدنيا ، بقدر تأثيره فى مجرى الحياة ، وبهـذا الميزان توزن عظماء الرجال ويظهر من تفكيرهم الحـر وعبقريتهم جلائل الأعمال ، ويعرف العالم قيمتهم بل الكون ومن بين هؤلاء الرجال العظماء والقادة الأبطال ــ الامام الصلت بن مالك ، بويع بانتخاب العلماء وأهـل الرأى فى اليوم الذى توفى فيه • المهنا بن جيفر وذلك يوم الجمعة ١٦ ربيع الآخر سنة ٢٢٧ هـ ٨٥١ م •

صفاتـه :

كان رجلا من أفضل وأكرم الرجال فى عصره جوادا بجوده يملك قلوب الرجال ، طيب القلب دمث الأخلاق ، شديد الثقة بالله وبأخوانه سمحـا متسامحا صريحا صافحا عمن يسىء اليه مهما كانت خطيئته صادقـا يحب الصدق ويحث عليه علامة كبيرا وله فى المخطوطات العمانية أقوال كثيرة فى الشريعة تؤثر عنه ، وكان عهده خير العهود وفى هذه الدولة اليحمدية وصلت فيه دولة اليحمد الى درجات من الفخامة والاجلال والقوة والمال والعلم ، لولا بعض الفتن والمشاكل السياسية الداخلية التى مرت فى آخر عهده • لكان عصرا أمثل •

الأحداث التاريخية فى عصره :

ملك الصلت بن مالك عمان كلها الى قطر والاحساء وسقطرى ، وغزى الهند وأخذ جانبا كبيرا منها ، وأرسى أساطيله فى بمبى الهند وملكها وحكمها حزما وعزما ، ثم أوغل فى فتح مدن الهنـد وغنم غنائم هائلـة ، ويصفه المؤرخون بأن له اساطيل بحرية ضخمة قال أحد الشعراء العمانيون :

ملك الصـــلت الخروصـــى

ألف بوصـــــى وبوصـــــى

وذكر بعض المؤرخين أن الحبشة تغلبت على سقطرى فى عهد الامـام الصلت بن مالك فأرسل أسطولا مؤلفا من مائة سفينة استعادت سقطرى وطردت الحبشة من الجزيرة العربية كما ذكر نور الدين السالمى فى تاريخة تحفة الاعيان الجزء الأول ص ١٦٦ • القصة بكاملها ما ملخصها أن امرأة من أهل سقطرى ــ تدعى الزهراء كتبت للامام رسالة نظمية تذكر فيها له ما وقع من الحبشة وتشكو اليه جورهم • وتستنصره عليهم قالت فيها :

قل للامـام الـذى ترجى فضائلـه
ابن الكـرام وابن السـادة النجب

وابن الجحاجحة الشـم الذين هم
كانـوا سناها وكانوا سـادة العرب

أمست سقطرى من الاسـلام مقفرة
مـن الشرائع والفرقـان والكتـب

واستبدلت بالهـدى كفرا ومعصيـة
وبالأذان نواقيسـا من الخشـب

وبالذرارى رجـالا لاخـلاق لهـم
من اللئـام علوا بالقهـر والغلـب

• • • •

قـل للامـام الـذى ترجى فضائله
بأن يغيث بنـات الـدين والحسـب

كم من منعمـة بـكر وثيبـة
من آل بيت كريم الجـد والحسب

تدعـو أباها اذا ما العلج هم بهـا
وقـد تلقف منها موضـع اللبـب

أقـول للعين والأجفـان تسعـدنى
يا عين جودى على الاحباب وانسكبى

ما بال صلت ينـام الليـل مغتبطـا
وفى سقطرى حـريم باد بالنهـب

يا للرجـال اغيثـوا كل مسلمـة
ولو حبوتم على الاذقـان والـركب

حتى يعـود عمـاد الـدين منتصبا
ويهلك اللـه أهـل الجـور والريب

وهى قصيدة طويلة • قال النور السالمى فى تاريخه المذكور فجمع الامام الصلت الجيوش وجهز المراكب ويقال بأن جملة المراكب التى اجتمعت فى هذه الغزوة مائـة مركب ومركب فتوجهت الجيـوش وكان النصر حليف العمانيين فأخذوا البلاد وزحفوا ظافرين مستبشرين وفى عهده سنة ٢٥١ وقع فى عمان سيل جارف غرقت منه أكثر البلدان لاسيما بلدان الباطنة وسمائل وبدبد ، وعاش فى دولته (٣٦) سنة •

وفى أواخر سنة ٢٧٣ هـ — ٨٨٧ م خرج موسى بن موسى بن على بن بنى سامة بن لؤى بن غالب — وهو رجل عالم كبير مطاع فى قومه من أهل ازكى ، على الامام الصلت بن مالك متشبثا بدعوى غير موضوعية ولا سليمة ، يدعى ان الامام الصلت بن مالك قد أسن وضعف ومكث فى الامامة (٣٣) سنة وغيره أقدر على الحكم وأصلب عودا وأصلح جسما وأنفذ رأيا وأمضى عزيمة • فتوجه موسى بجيش يقوده حتى وصل فرق من أعمال نزوى ، فأقام وكتب إلى الصلت بن مالك • اما ان يعتزل بيت الامامة ، واما الحرب •

أرسل الامـــام الصلت بن مالك الى قواده والمقيمين بنزوى ، وكانت الشيخوخة قد أخذت منه فى جسمه فأجابوه بنوع من التلكؤ والاحجام وعدم المبادرة الى القتال فأحس منهم الخور والوهن ، هنا رأى ــ الصلت أن الاسلم عدم القتال ، فالكل عمانيون شعب واحد كيف يقتل بعضه بعضـــا فخرج من حصن نزوى الى منزل ابنه شاذان بن الصلت ، متمسكا بامامته ، بلغ موسى بن موسى خروج الصلت من حصن نزوى فقدم رجلا من اليحمد أيضا يدعى راشد بن النضر فبايعه اماما وذلك يوم الخميس ٣ ذى الحجة سنة ٢٧٣هـ ٨٨٧م .

٧ ــ راشد بن النضر ٢٧٣ هـ ــ ٢٧٧ هـ = ٨٨٧ ــ ٨٩٠ م

نصب موسى بن موسى ومن كان بجنبه من الشيوخ والعلماء راشد بن النضر وقدموه اماما غير أن جملة من العلماء وشيوخ القبائل كرهوا امامة راشد بن النضر ولم يبايعوه . منهم عمر بن محمد القاضى وموسى بن محمد ابن على ، وعزان بن تميم وعزان بن الهزبر والازهر بن محمد وشاذان بن الصلت ، ومحمد بن عمر بن الاخنس وعبد اللـــه بن محمـــد بن محبوب ، وأبو المؤثر الصلت بن خميس وغيرهم من العلمـــــاء الأكابر ولم يزالوا متمسكين بامامة الصلت بن مالك المنعزل فى بيته .

الأحداث الداخلية فى عهده :

فى أثناء امامة راشد بن النضر انقسم أهل عمان اقساما منهم راض بامامة راشد ومنهم ساخط عليه ، وهذا هو الأكثر ، فخرجت عليه أعيان اليحمد وبنو مالك بقيادة شاذان بن الصلت بن مالك بن الامام الاسبق المنعـــزل فى بيتـــه .

اجتمع هذا الجيش أولا بالرستاق ثم توجه الى نزوى ليعزل راشد بن النضر عن الامامة ، بلغ راشد بن النضر خبرهم فوجه اليهم الكتائب لقتالهم قبل أن يصلوا نزوى فالتقوا بالروضة قرب تنوف . فقامت بينهم معركـــة طاحنة كبرى ويالأسف يقتل العمانيون بعضهم بعضا وكانت النتيجة أن

انهزمت اليحمد وبنو مالك بن فهم أصحاب شاذان بن الصلت بعد ماقتل منهم رؤسائهم وأغلب أبطالهم ، وللشاعر العمانى ابن دريد قصائد غراء يرثى بها من قتل فى هذه المعركة ويحرض قومه الأزد على الأخذ بالثأر فجمعت اليحمد وبنو مالك جيوشها مرة ثانية أخرى لقتال راشـــد بن النضر ، ــ فدخلوا نزوى وبعد قتال عنيف اسروا راشد بن النضر وعزلوه عن الامامة .

٨ ــ عزان بن تميم ٢٧٧ هـ = ٨٩٠ م .

فى يوم الثلاثاء ٣ صفر سنة ١٧٧ ــ اجتمع العلماء وأهل الحل والعقد ، فنصبوا عزان بن تميم اماما لعمان وكان فى مقدمة المبايعين له من الاعـــلام والعباقرة موسى بن موسى بن على ومحمد بن موسى والصلت بن خميس وعبد الله بن محمد بن محبوب ونبهان بن عثمان ونعمان بن عثمان وعبنسة ابن كهلان ومروان بن زياد .

صفاتـــــه :

كان معدودا من العلماء الكبار فصيحا بليغا مفوها قوى الحجة شديد التأثير منيع الجانب صعب الشكيمة شجاعا بطلا .

الأحداث التاريخية فى عهده :

اختلف هو وأكبر عالم فى عهده الذى كان فى مقدمة المبايعين له وهـــو موسى بن موسى بن على الذى خرج كما اسلفنا على الصلت بن مالك ثم خرج على راشد بن النضر ، فموسى بن موسى يرى لنفسه الأولوية وانه أكبر علامة فى عمان ومطاع فى قومه ، فأقواله يجب أن يعمل بها وأراؤه لابد أن تنفذ ، وأنه ليس للامام أن يعمل شيئا الا بعد مشاورته ولا يولى ولا يعزل ولا يحل ولا يعقد الا بعد موافقته ، والامام عزان يرى أن موسى كواحد من العلماء ليس له ميزة عن غيره ، وليس له امارة والامام موجود فيهم .

من هنا وقع سوء التفاهم وساءت العلاقات . هنا فكر عزان بأن يعزل

موسى بن موسى عن القضاء وسلبه جميع الصلاحيات المخولة لـــه سابقا • فقام موسى وقعد وأبت نفسه الأبية أن يخضع لقرار عزان ، فجمع الجيوش يريد أن يهاجم الامام عزان بنزوى ففاجأه عزان بجيش أقوى من جيشـــه فوقعت المعركة بازكى ، وكانت معركة هائلة قتل فيها موسى بن موسى بن على ، وذلك يوم الأحد ٢٩ شعبان سنة ٢٧٨ هـ ٨٩٢ م •

بعد هذه المعركة التى قتل فيها موسى بن موسى غضبت النزارية حيث كانموسى كزعيم لهم ، فتوجه الفضل بن الحوارى ، وكان من أهل العلم والوجاهة الى الظاهرة ، يؤلب القبائل النزارية على الامام عزان بن تميم ولحقه أبو هدية من الباطنة والحوارى بن عبد الله السامى والحوارى بن عبد الله الحدانى ، وصل الفضل بن الحوارى البريمى واستعان ببنى عوف ابن عامر ، فجمع جيشا كبيرا ثم توجه بجيشه الى ينقل • فبايعوا الحوارى ابن عبد الله اماما لهم وذلك يوم ١٩ شوال سنة ٢٧٨ هـ ٨٩٢ م •

ثم توجهوا الى صحار بقيادة امامهم الحوارى بن عبد الله فوصل — صحار يوم الجمعة ٢٣ شوال ٢٧٨ هـ بلغ الامام عزان بن تميم اجتماع هذا الجيش الضخم بصحار ومبايعتهم للجوارى الذى نصب نفسه امامـــا فقامت قيامته ووجه اليهم جيشا كبيرا بقيادة الأهيف بن حجام الهنائى ، توجه هذا الجيش الى صحار فوصل مجز بالقرب من صحار •

وما ان علم الحوارى بن عبد الله وصـــول جيش عزان ، الا ونادى بالناس الى الخروج لقتالهم فالتقى الجيشان بالخيام فى عوتب بموضع يسمى القاع فكانت معركة عظمى ، يقتل العمانيون فيها بعضهم بعضا • كان هذا عاقبة الخلاف — (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) •

وكانت النتيجة أن انهزمت النزارية بقيادة الحوارى بن عبد اللـــه والفضل بن الحوارى ، وقتل فى هذه المعركة منهم حوالى ستمائة رجل منهم امامهم الحوارى بن عبد الله والفضل بن الحوارى ، وقتل من جيش الامام عزان خمسة وثلاثون رجلا وانفلت محمد بن القاسم وبشير بن المنذر من

المعركة متوجهين الى البريمى ، فهذه وقعة القاع وهى من المواقع المذكورة بعمان ولكنها مؤسفة محزنة وكانت هذه المعركة يوم الاثنين ٢٦ شـــوال ٢٧٨هـ .

بعد معركة القاع توجه محمد بن القاسم وبشير بن ثور عامل الخليفة العباسى ــ المعتضد الى البحرين وفى الواقع أن مسيرهم هذا الى محمد بن نـــور ، يعد جريمة وخيانة عظمى على الوطن الغالى المقدس ، فلو قـــدروا العواقب لسلم الوطن والدولة من الانحلال ولسلمت الأرواح ، تحـــدثا مع محمد بن نور ، وأطمعاه فى الاستيلاء على عمان وأن يضمها تحت طاعة الخليفة العباسى ، فرحب بهما وحبذ فكرتهما وأشار عليهما أن يذهب أحدهما الى الخليفة العباسى ، ويبقى أحدهما .

توجه محمد بن القاسم الى الخليفة العباسى ببغداد ، فأكرم الخليفة نزله ، واستقبله أحسن استقبال فشرح له الموضوع وآمله بملك عمـــان ، فارتاحت نفس الخليفة وكتب الى عامله محمد بن نور ، بأن يتوجه الى عمان ويأخذ من الجيش والسلاح والنقود ماشاء . جمع محمد بن نور الجيوش الغفيرة فبلغ عدد جيشه (٢٥) ألفا .

بلغ خبر هذا الجيش عمان ومن حيث أنهم مختلفون فيما بينهم ، وقع الخلاف والتعصب القبلى بين أهل عمان بين مؤيد مرتاح لقدوم هذا الجيش العباسى حتى ينتقم من الامام عزان وقومه اليمانيين ، ومن أسف يرى انه بلاء على الوطن الغالى المقدس ، ولو كانوا كلهم يداً واحدة لمـــا أهمهم ابن نور ولا جيشه العظيم ، ولو جاء بمائة ألف جندى ، فضلا عن (٢٥) ألفا . فهم قد هزموا جيوش الحجاج بن يوسف ، وانهزمت الجيوش الأموية البالغ عددها (٤٠) ألفا عندما كانوا يدا واحدة .

وصل محمد بن نور بجيشه فالتقت معه القبائل النزارية العمـــانية وانضمت تحت رايته فنزل أولا البريمى ، وبعد قتال عنيف أذعنت له ثم توجه الى الظاهرة ثم واصل مسيره الى نزوى ، ندب الامام عزان بن تميم

الناس لقتال محمد بن نور ، فرأى منهم الخذلان ، وذلك لامر اراده الله فخرج الامام عزان من نزوى الى سمد الشان ، ليجمع قبائل الشرقية الى القتال .

اذعنت نزوى لمحمد بن نور ، فتوجه بجيشه الى سمد الشان لقتال عزان بن تميم ، فخرج لقتاله بمن معه من الجنود القليلة العدد ، فقامت معركة هائلة قتل فيها الامام عزان بن تميم وأصحابه وجزوا رأسه وبعث بها ابن نور الى الخليفة المعتضد العباسى ببغداد وذلك يوم الاربعاء ٢٥ صفر سنة ٢٨٠ هـ .

ملك ابن نور عمان وخطب فيها لبنى العباس ثم ان الأهيف بن حجام الهنائى ، استنهض أهل عمان وراسل شيوخ القبائل ، لقتال ابن نور واخرجه من عمان . فاجتمع معه جيش لا يستهان به . عرف ابن نور باجتماع الجيش العمانى بقيادة الأهيف فدخل الرعب فى قلبه فخرج هاربا فاتبعه الأهيف فالتقوا بدما — السيب — فكانت بينهم معركة عظمى هائلة وكاد ينهزم محمد بن نور ، فتكون عليه الدائرة لولا المدد الذى جاء من بعض القبائل النزارية العمانية ، الموالية له ، فانهزم جيش الأهيف بن حجام بعد ما قتل فى هذه المعركة الشيخ العلامة الكبير منير بن النير ، وهو أحد حملة العلم الأربعة من العراق الى عمان ، وأحد المعمرين .

ولما انتصر ابن نور أو ابن بور على ما يسميه العمانيون المؤرخون قديما ، لم يرقب فى العمانيين الا ولا ذمة ففعل الأفعال الشنيعة ، وقتل العلماء والأعيان وكبس الأفلاج ، ففى مثل هذه الواقعة وغيرها عبرة لمن تدبر عاقبة التخاذل والانقسام والتحالف ، والانحلال والفشل وبقيت عمان (٤٠) سنة تحت النفوذ العباسى ، غير أنهم فى هذه الفترة الوجيزة يستعيدون نشاطهم فى بعض القرى والبلدان فيخرجون عامل الخليفة العباسى وظل الحرب والصراع بينهم سجالا ، واستمر نصب ائمة أكثرهم من اليحمد أيضا .

الأئمة المنصوبون فى هذه الفترة :

٩ — محمد بن الحسن
١٠ — الصلت بن القاسم
١١ — خالـد بن شعـوه
١٢ — عبد اللـه بن محمـد
١٣ — الحسن بن سعيد
١٤ — عمر بن محمد بن مطرف
١٥ — محمد بن يزيـد
١٦ — الحـكم بن المـلا
١٧ — سعيد بن عبد الله ٣٢٠ هـ ٩٤٧ م

كان الامام سعيد بن عبد الله من اعلم ائمة عمان وكان قمة فى المجـد والعلم والعدل وقتل فى معركة مناقى قرب الرستاق سنة ٣٢٨ — ٩٣٩ م

١٨ — راشـد بن الوليد

وكان اماما عادلا مرضيا ، وصفه أبو سعيد الكدمى من أكبر علماء عمان فى القرن الرابع الهجرى فقال : كان رحمه الله لرعيته لينا رفيقا ، بارا بهم شفيقا غضيضا عن عوراتهم مقيلا لعثراتهم بعيد الغضب عن مسيئهم ، قريب الرضا عن محسنهم مساويا فى الحق بين شريفهم ودنيئهم ، وفقيرهم وغنيهم وبعيدهم وقريبهم ، منزلا لهم منازلهم متفقدا لامورهم وأحوالهم مشاورا منهم لمن هو دونه صادق الفعل واللسان ، ورعا فى المحارم مجتنبا المآثم عاملا بما علم • سائلا عما نزل به ولزم ، متواضعا لمن هو فوقه محتملا للأمة حريصا على اصلاح المسلمين ، رءوفا رحيما بالمؤمنين وتوفى راشد بن الوليد ، وبقيت مدة حوالى (٦٥) سنة تداول فيها على حكم عمان الخلفاء العباسيين •

ذكر ذلك ابن الاثير فى الكامل فى حوادث سنة ٣٦٣ هـ وما بعدها •

١٩ — الخليل بن شاذان ٤١٧ هـ

فى الفترة ما بين ٣٤٢ — ٤٠٥ يحدثنا التاريخ بأن بنى مكرم وهم اسرة

عمانية ملكوا عمان بتأييد من بنى بويه عمال بنى العباس ، وبنـــو بويه هم الذين مدحهم الشاعر العمانى الكبير ابن دريد فى مقصورته المشهورة والتى مطلعها :

يا ظبيـــــة اشـــبه شىء بالمهـــــا
ترعى الخزامى بين اطـراف النقـــا

فقد أغدقوا على هذا الشاعر الكبير العمانى ، وكانوا له عونا على نشر العلم ، وهم الذين استوزر لهم ابن العميد والصاحب ابن عباد ، والذى يصفه المؤرخون بأنه كاتب الشرق وعماد ملك بنى بويه وصدر وزرائهم •

ولمـــا ضعف أمر بنى بويه ، استقل بنو مكرم بملك عمان واستفحل أمرهم وعظم شأنهم وجل قدرهم وتحدثنا المصـــادر التاريخية بأن منهم امراء عرفوا بالجود والسخاء كالأمير أبى القاسم على بن الحسين بن مكرم ، ممدوح الشاعر الكبير مهيار الديلمى كما نجد منهم الأمراء الثلاثة أبا الجيش ، والمهذب وأبا محمد وقد ضبطوا عمان حزما وعزما وادارة وقد ذكر ابن الأثير فى كامله اخبار بنى بويه وبنى مكرم بعمان •

فى سنة ٤٠٧هـ اجتمع أهل عمان فانتخبوا الخليل بن شاذان بن الصلت ابن مالك اماما لعمـــان •

صفاتـــــه :

كان عالما عادلا ، طيب القلب ، دمث الاخلاق جوادا محسنا محبوبا عند الخاصة والعامة ذا شعبية كبرى •

الأحداث التاريخية فى عهده :

كان الخليل بن شاذان اماما عظيما ، ملك عمان كلها فامنت به البلاد ، واستراحت فى ظله العباد وقدمت اليه الوفود العربية وذلك لمـــا عرف عنه من جوده وكرمه وبالتالى لمـــا بلغهم عنه من ظهور العدل ونشر راية الأمن

والســـلام وكان من أبرز من وفـــد اليه أبو اسحاق ابراهيم بن قيس بن سليمان الحضرمى وكان أحد قادة الاباضية فى اليمن وعلمائها وأبطالها وفد اليه هذا البطل المغوار مستنجدا ومستنصرا على أهل حضرموت واليمن فرحب الامام الخليل بن شاذان به وأكرم نزله وأحسن ضيافته وقد شرح القائد الحضرمى للامام الخليل مهمته وما يجدونه من الاضطهاد والجور من حكام اليمن فأيده الامام بالمال والرجال •

توجهت هذه الجيوش العمانية ، بقيادة هذا البطل المغوار صـــاحب السيف النقاد ، وبعد معارك وحروب هائلة دانت حضرموت للامام الخليل ابن شاذان ورفرف العلم العمانى خفاقا بها ، ولهذا البطل القائد الحضرمى قصائد بارعة أجـــاد فيها وأبدع يمدح الامام الخليل بن شـــاذان منهـــا قصيدته التى ألقاها عند مقابلته للامام الخليل يذكر قدومه من حضرموت الى عمان ويطلب من الامام الخليل النجدة والنصرة مطلعها :

لقد جاء بى مع بعد أرضى وأوطانى
رجـــاء لنصر الدين من نحو اخوانى
وذكر امام شـــاع فى الناس ذكـــره
وطاب الثنا فيه الخليل بن شـــاذان
فقطعت غيطانا وجاوزت أبحـــــرا
اليهم اجـــــر المجد من آل قحطان

ومن قصيدة له أخرى :

سل الوفـــد عنى يا امام الم اكـــن
تسربلت يـــوم الروع ثوب العزائـــم
وهـــل كان الا غـــير ما كنت ذاكـــرا
وهل نمت عن طرف الجواد وصارمى

• • • •

سـل الخطبا لمـا دعوا لك جهـره
على رغم أهل الجور بعـد التصادم
وسـل عرب البيـداء لمـا أذقتهـم
عشية خانوا العهـد سم الاراقـم

ولـه من قصيدة عصماء لمدح الامام الخليل :

من شـاء يعلم ما كانت أوائلنـا
فيه فسيرتنا تكفيـه برهـانـا
هـذا الخليل امـام المسلمين حـكت
انوار سيرته فى العـدل نيرانـا
يا أيها العلم العـدل الـذى كملت
لـه الخصـال مروآت وايمـانا

وفاتـه :

توفى ٤٢٥ هـ ومكث فى الامامة (١٧ سنة) رحمه الله ورضى عنه .

٢٠ ــ راشد بن سعيد المتوفى ٤٤٥هـ ١٠٥٣م :

بعد موت الامام الخليل ، نصب الامام راشد بن سعيد من « اليحمد »

صفاتـه :

يصفه المؤرخون بأنه كان اماما عظيما ، عالما كبيرا وشـاعرا مجيدا ، أديبا بارعا فهو معدود من العلماء والشعراء وبالتالى كان غيورا على الوطن المقدس ، مناضلا عنه مقاتلا يجاهد فى سبيل الله لا يخاف فى الله لومة لائم .

الأحداث التاريخية فى عهده :

كانت قبائل نهد وعقيل تسكن الاحساء فتمردت على الامام راشد بن سعيد وناصرت عليه عدوه فتوجه الامام راشد بن سعيد فى جيش كبير يقوده بنفسه ، فدارت بينهم معارك كبرى ، كان النصر فيها حليف الامام وقد رجع الامام راشد مكللا بالنصر ، وأخضع قبائل نجد كلها ورفرف العلم العمانى على تلك المناطق ، وللامام راشد بن سعيد فى ذلك شعر نفيس رائع ان دل على شىء ، فانما يدل على جزالة شعره ورقة ألفاظه وحسن اسلوبه وروعة خياله وقوته وحسن اقتداره كما يدل على سمو نفس الامام ، وبعد همته العالية وغزارة فهمه نقتطف منها :

لمن منزل قفر تخلت جوانبه
وغيره من ساقح القطر ساكبه
كأن لم يكن فيه من البيض شادن
تضاحكه اترابه وتداعبه
فاضحى اسى من بعد أن كان سلوة
تجر به أذيال خز كواعبه
كأن من الليل اللبوس ذوائبه
ومن بدر تم وجهه وترائبه

• • • •

من الجهل أن تعنى بأمر كفيته
وتترك ماكلفته لاتطالبه
اذا المرء لم يجعل مذاهب سعيه
لدى سعيه غالته يوما مذاهبه
ومن لم يفكر فى عواقب أمره
مدى دهره صارت عقابا عواقبه

ومـا هارب الا الى المـوت آيـب
ولا سالب الا وذا الدهـر سالبـه
مدى الدهر لاينجو من السخط والرضا
فاسخاطـه قومـا لقـوم مواهبـه
وما عاقل فى الناس من راح واغتدى
يطالب فى دنيـاه ما هـو غالبـه

• • • •

ولا خير فى خير ترى الشر بعـده
ولا فى أخ دبت اليك عقاربـه
ولا العيش الا اسمر اللون عاسـل
واسمر فى يوم عبـوس تلاعبـه
وقرن تعاطيه الحمـام وفـارس
تعاطيـه حينا ثم حينـا تضاربـه
ذرينى وخلقى يا ابنـة القوم اننـى
رأيت الأذى حربا لمن لا يحـاربه
على أننى إما امرؤ ضـمه الثـرى
واما فـتى حلت بقـوم كتائبـه
واما فـتى أبكـى عيون عداتـه
واما فـتى تبكى عليـه أقاربـه
واما فـتى يقضى عليـه حمامـه
واما فـتى تقضى الحمـام قواضبـه

وقد اثنى العلماء على الامام راشد بن سعيد ومدحه الشعراء بقصائد بارعة ومنهم القائد العظيم أبو سحاق الحضرمى الذى وفد الى عمان أيام الامام الخليل بن شاذان كما اسلفنا ، قال فى إحدى قصائده وهو يخاطب الامام راشـد :

أيا راشـــد أنـــا لعمرك نزدهـــــى
بذكراكم فى حضرمـــوت تعاظمـــا
اذا ما عمانى ألـــم بأرضنـــــا
احطنا بـــه نســـأله عنـــكم تزاحمـــا
هنيئا لكـــم اهلا لمـــا قـــد حباكـــم
له اللـــه من فضل له الحمـــد دائما

وله من قصيدة داليـــه

ونمضى بأيدينا خفـــاف صـــــوارم
ثقال الظبا مشحـــوذة بالمبـــــارد
معـــودة هتك الحمائـــــم اظهـــرت
سبيل امامينـــا الخليل وراشـــــــد

وتوفى رحمه الله فى شهر محرم سنة ٤٤٥ هـ — ١٠٥٣ م ودفن بنزوى .
ثم توالت مدة كان الصراع فى ذلك العصر يسود عمان فكان أمراء كبنى نبهان فى بلدان متعددة من عمـــان ولكن أهـــل العلم والفكر والرأى — يستعيدون نشاطهم فينصبون اماما فى عمان وأغلب الأئمـــة من اليحمـــد فيعود الحـــكم لليحمـــد .

وهذه قائمة بأسماء هؤلاء الأئمة

٢١ — حفص بن راشد بن سعيد
ولا يوجد تاريخ بالضبط لبيعته ووفاته .
٢٢ — راشد بن على — وتوفى يوم الأحـــد ١٥ ذى القعدة ٤٧٦ هـ ١٠٨٣ م .
٢٣ — عامـــر بن راشـــد
٢٤ — محمد بن أبى غســـان
٢٥ — الخليل بن عبد اللـــه
٢٦ — موسى بن أبى جابر — وتوفى ٥٤٩ هـ — ١١٥٤ م

٢٧ — محمد بن حنيش المتوفى ٥٥٧هـ ١١٧٩م .

٢٨ — مالك بن الحوارى بويع سنة ٨٠٩ هـ / ١٤٠٦ م وتوفى ٨٣٢ هـ / ١٤٢٨ م

٢٩ — أبو الحسن بن خميس بن عامر — بويع سنة ٨٣٩ هـ — ١٤٣٦م

٣٠ — عمر بن الخطاب بن محمد بويع سنة ٨٨٥ هـ — ١٤٥١ م .

وجاء فى جوهر النظام لنور الدين السالمى وهو يذكر الامام عمر بن الخطاب بن محمد قوله :

ومن بنى اليحمد من اسد الثرى
امام صدق كان يدعى عمرا
كذا أبوه يدعى بالخطاب
مساميا لعمر الصحابى
شابهه فى الاسم والتصلب
وجودة الرأى فلا تستعجب

٣١ — محمد بن سليمان — بويع سنة ٨٩٤ هـ — ١٤٨٨ م

٣٢ — عمر الشريف

٣٣ — أحمد بن عمر

٣٤ — أبو الحسن بن عبد السلام .

٣٥ — محمد بن اسماعيل بويع سنة ٩٠٦هـ — ١٥٠٠م .

وكان اماما عادلا شجاعا ، وفى هذا التاريخ بالذات كان أول نزول البرتغال الى سواحل عمان .

٣٦ — بركات بن محمد بن اسماعيل — بويع ٩٤٢هـ — ١٥٣٥م .

٣٧ — عبد الله بن محمد القرن

هذا ما يسر الله من هذا البحث ، وختاما الحمد لله الكبير المتعال الذى لا يفنى أولا وآخرا ، والصلاة والسلام على خير خلقه سيدنا محمد وعلى آله وصحبه .

(سليمان بن خلف الخروصى)

مصـــــادر البحث

١ ــ تحفــة الاعيان ــ لنور الدين السالمى

٢ ــ تاريخ أهل عمان المقتبس من كتاب كشف الغمة

٣ ــ العنوان ــ للشيخ سالم بن حمود السيابى

٤ ــ تاريخ العرب ــ الدكتور محمد أسعد طلس

سلطنة عمان
وزارة التراث القومي
المكتبة
الرقم العام : ٤٧٨
الرقم الخاص :

محتويات المجلد الأول

الموضـــــوع	الصفحة
مقـــــــدمات :	
ـــ تقديم لصاحب السمو معالى وزير التراث القـومى والثقـافة	٧
ـــ مقدمة بقلم المشرف على اخراج بحوث الندوة	٩
ـــ عمان فى التاريخ : من أقدم العصور حتى الآن للأستاذ الدكتور أحمد شلبى	١٣ ـــ ٦٢
بحوث الندوة	
القسم الأول	
البحوث العربية	
أولا ـــ عمان فى العصور القديمة :	
دور عمان الحضارى فى فجر التاريخ .. .. .. للأستاذ الدكتور رشيد الناضورى	٦٧ ـــ ١٥٦
أرض اللبان فى سلطنة عمان .. .. عبد القادر الغســـانى	١٥٧ ـــ ٢٦٢

الموضـــــوع الصفحة

ثانيا ـ تاريخ عمان ونشاطها الداخلى من مطلع الإســلام حتى الآن :

عمان حصن الأمان للعروبة والإسلام .. .. .. ٢٦٥ — ٢٩٢
للأستاذ الدكتور سعيد عاشور

دولة اليحمد فى عمــان .. .. ٢٩٣ — ٣٣٤
سليمان الخروصى

رقم الايداع ٣٧٦٧ لسنة ١٩٨١

سلسلة الفنون للتجليد والطباعة
٦ شارع البرامونى ـ عابدين ـ القاهرة ت : ٩١٤٨٨١